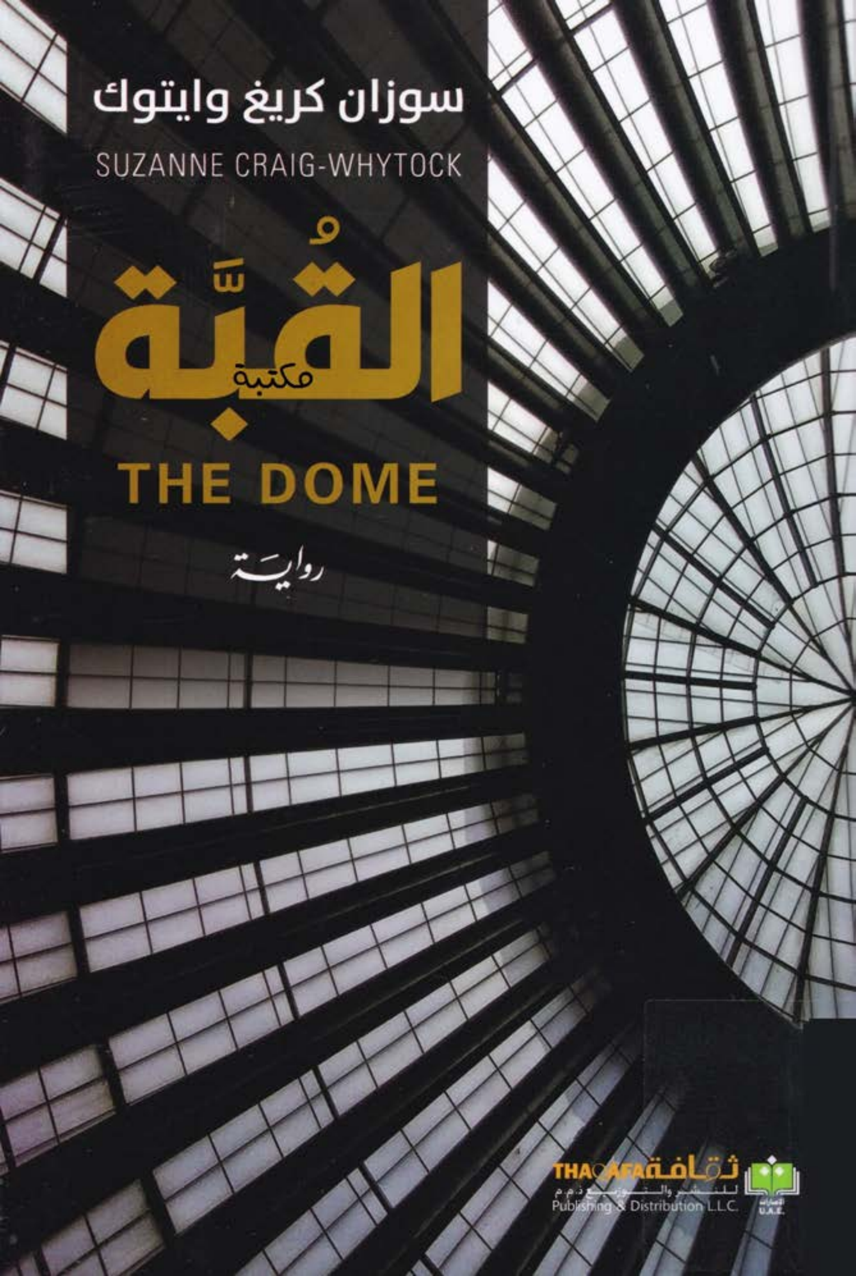

سوزان كريغ وايتوك
SUZANNE CRAIG-WHYTOCK
القُبَّة
THE DOME
رواية
THAQAFA ثقافة
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C.
الإمارات
U.A.E.


mohamed khatab


القُبّة
THE DOME

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE DOME
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
BOOKLAND PRESS INC., 15 Allstate Parkway,
Suite 600, Markham, Ontario L3R 5B4, Canada
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م.

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-9948-471-28-8



منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund



كابتال تاور، مركز أبو ظبي للمعارض ADNEC
ص. ب: 27977، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 6766700 (2-971+) فاكس: 6766972 (2-971+)
بريد إلكتروني: smartd_1@eim.ae



سوزان كريغ وايتوك

SUZANNE CRAIG-WHYTOCK



رواية

تعريب

نور العيون حامد

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



إلى عائلتي.

1 دي

صوت خفقان قلب، ووقع خطوات.

قال روغان: "أسرعي يا دي".

ردّتْ دي: "اتركها يا روغان، فالأمر لا يستحق المخاطرة".

قال روغان لاهثًا: "لا يمكننا أن نتغذى على هذا لمدة أسبوع، تابعي السير".

بدأت رئتاي تؤلمانني بمجرد أن وصلنا إلى مجموعة الدرجات الثالثة في المبنى السكني المهجور، ولكن اللوبوت كان يتبعنا، لذلك لم أستطع أن أبطئ من وتيرتي. لم يُظهر روغان أي إشارة إلى أنه سيتخلى عن البحث عن مكان للاختباء، على الرغم من أن أبواب كل الطوابق كانت مغلقة. الطابق الرابع - أبوابه مغلقة، الطابق الخامس - الشيء نفسه، الطابق السادس - كان صوت طنين اللوبوت يقترب، أخيرًا، عندما بلغنا الطابق السابع كان قفل الباب محطمًا، فدفعنا الباب، وتقدمنا عبر الممر في الوقت الذي كنا نتلفت خلفنا. كانت معظم الشقق التي مررنا بها فارغة، باستثناء الشقة قبل الأخيرة، على الرغم من أن نصف الجدار الخارجي كان محطمًا، إلا أن الشقة كانت تحتوي على بعض الأثاث، والأفضل من ذلك أنها كانت تحتوي على موقد قديم مع فرن.

يمكننا أن نخبئ الحلي هناك، ونختبئ في الخزانة، ثم ننتظر حتى يستسلم اللوبوت، أو نركض هربًا منه بعد أن نشتت انتباهه.

أغلقت باب الشقة، في الوقت الذي وضع فيه روغان الحلي في الفرن، ثم اختبأنا في خزانة ثنائية الدرفة مزودة بفتحات تهوية. استندتُ إلى جدار الخزانة، بينما جثا روغان لينظر من بين الألواح الخشبية.

همس لي روغان: "هشش. اسمعي". حاولت التحكم في تنفسي، حتى أتمكن من سماع ما يحدث. كان هناك صوت خافت؛ كان اللوبوت يحدث ثغرة في باب الشقة بواسطة أشعة الليزر التي يحملها. ثم سُمع صوت ارتطام، لقد سقط جزء من الباب على الأرض، وتلى ذلك صوت طنين منخفض. تنفست، ثم حبست أنفاسي مجددًا، في تلك الأثناء حلّق اللوبوت ببطء بجوار الخزانة، متتبعًا إشارة الرقاقة الدقيقة القادمة من الحلي. فجأة توقف وحلّق في الهواء، وصوّب هوائياته نحو الجهاز القديم. ثم سمعت ضجيجًا، كتم روغان ضحكته. عاد وأشار إليّ كي أكبت أنفاسي، فجثوت على ركبتي، ووضعت يدي على فمي حتى لا أضحك بصوت عالٍ. كان اللوبوت يصدم نفسه في الباب الزجاجي للفرن، لقد استطاع أن يستشعر إشارة الرقاقة ورؤية الحلي، ولكنه لا يعرف كيف يصل إليهما.

التفتُ إلى روغان، ومن خلال الضوء الخافت، لاحظتُ وجود بطانية قديمة على الرف فوقنا. أشرتُ إليها، فهزّ روغان رأسه. قد يكون هذا صعبًا وخطيرًا، لكن الخيارات المتاحة أمامنا كانت محدودة، علينا أن نتصرف بسرعة قبل أن يبدأ باستخدام الليزر على الزجاج.

حمل روغان البطانية، وفتح باب الخزانة بهدوء، كنت آمل أن يكون اللوبوت مشغولًا جدًا بالحلي، حتى لا يلاحظ أي شيء آخر.

بدأ روغان بالتقدم نحو اللوبوت الذي لم ينتبه له. أخيرًا، وعلى بعد ثلاث أقدام تقريبًا تنفس روغان بعمق، وألقى بالبطانية على اللوبوت، فسقط أرضًا.

قبل أن تُتاح للوبوت فرصة للهرب، قفز روغان على البطانية بكل قوته مرارًا وتكرارًا، حتى صمت اللوبوت بشكل كامل. ابتسم لي روغان ابتسامة المنتصر. ترددت ثم همستُ: "يجب أن نتأكد".

مشيت على أطراف أصابع قدمي إلى حيث كان روغان ينتظر، ورفعت طرف البطانية بحذر شديد.

من المؤكد أن اللوبوت دُمر - كانت أضواؤه مطفأة، وبدا محطمًا بالكامل.

حدّقنا إلى السهام التي تحمل مادة مخدرة، وقطع تحديد المواقع التي يحملها، ورأيناها تخرج منه وكأنها أحشاؤه. فجأة شعرت بالغضب، التفت إلى روغان، وقلت: "لقد تصرفت بطيش يا روغان. هل تدرك كم كنا قريبين من أن يُقبض علينا؟ أي جزء من جسدك ترغب في خسارته مقابل بضع عملات معدنية؟".

بدا متفاجئًا، وقطب حاجبيه، وقال مدافعًا عن تصرفه: "لن نخسر أي شيء، وهذا المبلغ يساوي أكثر من بضع عملات. وإلا، لما طاردنا اللوبوت لفترة طويلة، كما تعلمين، كان كل شيء تحت السيطرة، كل شيء جيد يا دي. هيا بنا الآن". فتح باب الفرن، وأخرج الحلي - عقدًا

وخاتمين – كانت تتلألأ في الضوء، وقال: "أولئك الأثرياء من الطبقة الغنية لن يفتقدوا هذه الحلي لأنهم يمتلكون الكثير منها. أيًا يكن الأمر، إنه ثمن بخس يدفعه هؤلاء الأثرياء لتجولهم بالقرب من ديفينيتي من دون أن يرافقهم أي من البلوز لحمايتهم".

تنهدت بإحباط، وقلت: "حسنًا، كان اللوبوت قريبًا جدًا، وأنا أحب يديّ وقدميّ كما هي، شكرًا جزيلًا لك".

غمزني روغان، وقال: "أنا أيضًا أحب يديك وقدميك، يا جميلتي".

قلت: "ايووو. تتكلم مثل الطبقة الغنية". وربتُّ على كتفه متصنعة الغضب، بدوره ربتَ على كتفي، ونظر إلى باب الشقة، وقال: "الوضع آمن. أيًا يكن الأمر، يمكنكِ دائمًا اختيار عين، على الرغم من أنني سمعت أنها مؤلمة جدًا. هيا، علينا أن نخرج من هنا قبل أن يتعقب بعض البلوز الطموحين اللوبوت، ويأتون إلينا". شعرت بالتوعك في معدتي عند التفكير في استئصال العين، ثم تغلبت عليّ موجة من المشاعر تراوحت بين القلق والترقب.

إنه أخي التوأم، سي. ركّزت، وأرسلت إليه مشاعر الهدوء والطمأنينة.

نحن لسنا متشابهين فقط – العيون الخضر، والشعر الذي كان يسمى الأشقر المائل إلى لون الفراولة، وذلك عندما كانت الفراولة تنمو، ولكننا كنا نتشارك الطول الموجي نفسه إن جاز قول ذلك.

نحن لا نقرأ عقلي بعضنا، ولكننا نستطيع أن نرسل المشاعر إلى بعضنا.

في الوقت الحالي، يشعر سي بخوفي وغضبي، وكنت أطمئنه أنني بخير. كان يغضب عندما أخرج للسرقة، وخاصة عندما أكون برفقة روغان، الذي كان مجازفًا حقيقيًا.

كان الاحتيال، أو الحصول على بعض الفكة من الطبقة الثرية، عمليتان متشابهتان، لكن السرقة الصريحة في وضح النهار لم تكن لذوي القلوب الضعيفة. هذا لا يعني أن الخيارات كانت متاحة لي، كنتُ وسي طفلين في دار العمل، ومثل جميع أجنحة المقاطعات، بمجرد أن تصل إلى عمر 15 عامًا، تُرسل إلى المجمعات الزراعية في الشمال، لتعمل في الزراعة. كان البديل هو الهروب، وتدبر أمرك نفسك بصفتك عاملًا حرًّا. بعد أن أمضينا معظم حياتنا في دار العمل، لم يرغب أي منا في إنهاء أيامه عبدًا مزارعًا في الشمال، لذلك شققنا طريقنا إلى ديفينيتي؛ مدينة خيام في مترو. لقد تُركت وسي في هابي فالي، إحدى دور العمل في الشمال، عندما كنا بعمر ثلاثة أشهر تقريبًا. بعد أعمال الشغب في فيراغ في عام 2087، وحروب المياه التي تلت ذلك، اعتاد الأهالي التخلي عن أطفالهم عندما يعجزون عن إعالتهم، وقد وصل معدل تخلي الأهل عن أطفالهم إلى حدود العشرين طفلًا في اليوم. لذا أعد الاتحاد، وهو مجموعة كبيرة من البلدان عبر الماء، نظام دور العمل. دُعي الأطفال وفقًا للأحرف بدل أن يمنحوا أسماء، وكنت وإياه الطفلين الثالث والرابع اللذين أُلقي بهما في دار العمل في ذلك اليوم، لذلك أطلقوا علينا اسمي سي، ودي. اسمانا الحقيقيان أطول بكثير، ويتضمنان التاريخ التخلي عنا أيضًا.

عندما يبلغ معظم الأطفال عامهم الرابع أو الخامس، كان يطلق عليهم ألقاب أو يختاروا بأنفسهم أسماء لهم، أما نحن فقبلنا أن نبقى سي ودي. لم تكن دور العمل رائعة، ولكن إذا ابتعدت عن المشاكل، ونفذت ما يطلبه منك الحُماة، وهم الكبار الذين يديرون المكان، يمكنك النجاة، وكانت طلبات الحُماة كثيرة.

عندما تبلغ السنة الأولى من عمرك، يفترض بك أن تبقى مع طفل أكبر سنًا، وهو ولي أمرك، والذي يعمل إما في مساكن الطلبة أو المطبخ اعتمادًا على من كان ولي أمرك، إما أن تتعرض للصفع بانتظام، أو يتم تجاهلك معظم الأوقات.

عندما تبلغ الخامسة من عمرك، تصبح مسؤولًا عن ترتيب الأسّرة، أو غسل الصحون، أو أعمال الحديقة. وفي العاشرة، تعمل في الحضانة مع الأطفال، أو في المطبخ حيث تعد الوجبات، أو في المدرسة حيث تُعلم الأطفال الآخرين عن التربة والنباتات من كتابٍ مدرسي، وعندما تبلغ الثانية عشرة، تبدأ في العمل في الحقول بدوام كامل، استعدادًا لعبودية مدى الحياة في بريدباسكيت، التي كانت تقع في المنطقة العلوية، حيث لا يزال وجود المزارع ممكنًا.

كل فاكهة وخضار الشمال يزرعها العبيد ويقطفونها، ومعظمهم من أطفال دور العمل، الذين فضلوا العمل في المزرعة مقابل ثلاث وجبات في اليوم، على أن يكونوا أحرارًا جياعًا. لكنها كانت حياة صعبة أيضًا. لقد سمعت أن معظم عبيد المزارع لا يعيشون حتى الثلاثين من العمر، لأنهم يتعرضون بشكل مفرط للمواد الكيميائية. كنت متيقنة أن فرصنا أنا وسي

ستكون أفضل إن هربنا، ما لم ينتهِ بنا الأمر في القبة، هذا كل ما في الأمر.

هربتُ وسي من هابي فالي قبل الذكرى الخامسة عشرة ليوم تركنا. لم يكن ذلك بمثابة عيد ميلاد بالضبط - لم يكن أحد يعرف حقًا متى ولدنا، لكن يوجد في دار العمل سجل بالتواريخ التي تركنا فيها جميعًا هناك، وإذا كنت (عبدًا مزارعًا جيدًا في طور الإعداد)، ستحصل على قطعة حلوى في ذكرى تركك كل عام. إنها شيء يُعبر عن الاحتفال حيث لم يكن لدينا أكثر من ذلك.

أيًا يكن الأمر، لم ننوِ الذهاب إلى بريدباسكيت، لذلك توجهنا إلى ديفينيتي، أكبر مدينة خيام في مقاطعة تريلوم، ونحن هنا منذ أكثر من عام.

إن السعي وراء لقمة العيش لم يكن سهلًا، يجني سي قليلًا من المال في السوق الخفية، حيث يبيع (القطع الجميلة) المصنوعة يدويًا إلى الأغنياء من الطبقة الثرية الذين يأتون إلى ديفينيتي يوم الأحد مع حراسهم الشخصيين من البلوز، ويبحثون عن أشياء فريدة، ليثيروا إعجاب أصدقائهم بها.

إنه نحات خشب مذهل - يمكنه أخذ بقايا قديمة من أي شيء ويحولها إلى فيل أو ببغاء، وهي تباع بسعر جيد لأنها تُعبر عن أشياء منقرضة، لا أعلم كيف يعرف أشكالها، لكنها جميلة، ويدفع الأثرياء كثيرًا من أجل الحصول عليها. تكمن مشكلتي أنني لا أستطيع الخروج وسي في الوقت نفسه، لأننا نعيش في عالم قاسٍ وإذا تركنا الخيمة من دون حراسة ستصبح وبما تحتويه ملكًا لأي شخص يضع يده عليها.

يجب أن يبقى شخص في الخيمة ليحميها، لذلك لا يرافقني سي

عندما أخرج للسرقة، وبالتالي لا أرافقه عندما يذهب إلى السوق، ونحن متفاهمان بشأن هذا الأمر. يداه هما أهم ميزاته - إذا قُبض اللوبوت عليه، فسيرسل إلى القبة، وعلى الأرجح سيفصل الحشد يديه على قدميه، وهذا ما يحصل للصوص عادة، إلا إذا أراد الشخص منح الحشد إثارة حقيقية واختيار التضحية بعينه، كما قال روغان. أما أنا فأكره السوق الخفية.

في الواقع، أنا لا أكره السوق، بل أكره الأثرياء. إنهم يأتون وهم يرتدون الملابس الأنيقة، ويتزينون بالجواهر باهظة الثمن برفقة خدّامهم وحراسهم وفي بعض الأحيان ترافقهم اللوبوتات التي تحلق حولهم لتؤمن لهم مزيدًا من الحماية، ومع ذلك تراهم يسعون وراء المقايضة بأبخس الأثمان. إنني أستشيط غضبًا، عندما أفكر بمقدار الوقت الذي يمضيه سي وهو ينحت القطع، ومقدار المبلغ الذي يدفعونه له مقابلها.

شعرت أن موجة قلقه أخذت تخبو، وأرسلت إليه فكرة عن المنزل، حتى يعرف أننا كنا في طريقنا إليه. ذات مرة سألني روغان عن (فكرة) المنزل، نظرًا لأنني لا أستطيع في الواقع إرسال صورة الخيمة إلى سي. الطريقة الوحيدة التي يمكنني وصفه بها، هي أن أقول إنه مثل المشاعر التي تنتابك عندما يمسك شخصٌ تحبه يدك.

أعلم أن الأمر يبدو غبيًا، لكن المنزل كان دائمًا بالنسبة إليّ هو سي، ولم يكن مكانًا على الإطلاق. كلما شعرت بالخوف أو الحزن، كنت ألجأ إليه لكي يمسك يدي ويضغط عليها بشدة، ويخبرني بأننا معًا، وبأن ما من شيء يستطيع أن يفرقنا. وبنظري كان ذلك هو المنزل.

ثم، وعلى سبيل الدعابة، أرسلت له شعورًا بالشبع؛ كنا سنأكل جيدًا بمجرد أن نرهن هذه الحلي التي حصلنا عليها بشق الأنفس.

2 سي

صوت خفقان قلب، وصوت نبضات في الرأس.

كنت أتجول خارج الخيمة منذ فترة طويلة بدت وكأنها ساعات، لألتقط دفق المشاعر التي تُرسلها لي دي. كالعادة، خشيت أن تكون أقدمت هي وروغان على فعل متهور. أملت أن أكون مخطئًا، ولكن خوفها أشعرني بالدوار. الآن ترسل لي دي شعور الهدوء، ومع ذلك أجد صعوبة في التركيز على النحت، على الرغم من أنه لا يفصلنا عن السوق الخفية سوى يومين، وعليّ نحت بعض السلع حتى أتمكن من بيعها. لم أستطع البقاء في الداخل فالمشاعر التي ترسلها دي تحملني على الجنون، كنت أسير ذهابًا وإيابًا أمام الخيمة، وطوال الوقت كانت تراقبني عائلة من واضعي اليد الذين ينتظرون ما سأقدم عليه. كانوا هزيلين وجائعين، ولم يبعدوا نظراتهم عني أبدًا، وكانوا يأملون أن أضطر للمغادرة، وعندها يسارعون بوضع أيديهم على الخيمة. حسنًا، ما كان ذلك ليحدث بالتأكيد – لقد عملت ودي بجد لجعلها منزلًا، ولن نسمح لواضعي اليد بسرقة هذا المنزل. لقد شعرت بشيء من الأسف عليهم؛ فقد كانت المرأة تحمل طفلًا ملفوفًا بالخرقلا يكف عن البكاء. كنت أعلم أنه جائع بالتأكيد، لكن لم يكن لديّ ما أقدمه له. أضف إلى ذلك،

أنا دي ستغضب إن قدمت لـه شيئًا. قالـت إن واضـعي اليـد مثـل القطـط الضـالة، إذا أطعمتهـا مـرة، فلـن تكـف عـن الـدوران حولـك. بعيـدًا عـن واضـعي اليـد، كـان بإمكـاني رؤيـة أولـد كينسـينغتون، والمينـاء في الجهـة المقابلـة، وكانـت مياهـه عكـرة وشـبه راكـدة، وكانـت سـفن الحاويـات القادمة مـن تشـين تقـترب مـن الأرصـفة، وتسـتعد لتفريـغ كـل شـيء مـن الملاعق إلى السيارات التي تسير بالطاقة الشمسية. استوردت أدناك كـل شيء – وأعني كـل شـيء – مـن الاتحـاد. لـم يكـن لـدينا خيـار، علـى مـا يبدو. لم أحصل في دار العمـل على الكثير مـن المعرفـة حـول التـاريخ، لكنني تعلمت الكثير عن الماضي مـن خـلال الاسـتماع إلـى أولـد مـاك، راوي تاريخ ديفينيتي. كان لكـل مدينـة خيـام راوي التـاريخ الخـاص بهـا وهو أحد الأحرار المعمرين، والذي سيخبرك بـأي شـيء تريـد معرفتـه، مقابل عملة معدنية أو قطعة خبز. معظم الناس لم يهتموا، لكنني لطالمـا اهتممت بمعرفـة الطريقـة التـي أوصـلت الأمـور إلـى مـا هـي عليـه الآن، والتي تسببت بالفجوة الكبيـرة بـين الأثريـاء وسـائر النـاس، لـذلك كنـت أصنع له منحوتات صغيرة من البقايا التي امتلكتها– خرز وأشياء من هذا القبيل– بحيث يمكنه مقايضتها بوعاء من الحساء في مطعم بلاوبلاو، ثم أجلس وأستمع إليه لأطول فترة ممكنة.

وفقًا لما صرّح به أولد ماك، عندما بدأت الصحراء في الزحف بـالقرب من الحدود، أصبحت الولايات الأميركية المجزأة بأمس الحاجة إلى المياه – فقـد وصـل اقتصـادها إلـى الحضـيض، ولـم يعـد بإمكانهـا تحمـل تكلفـة تشغيل أجهزة تحلية المياه بعد الآن – وسرعان ما انـدلعت أعمـال الشـغب،

والغارات، والمناوشات الحدودية، وتحولت إلى حرب شاملة حيث شنت فيراغ هجمات على مستودعات المياه الخاصة بنا، وهبطت قواتها شمالًا. لطالما عُرفت أدناك بأنها أمة مسالمة، لكنها أصبحت شديدة الحماية لمواردها الطبيعية في أعقاب ما أطلق عليه أولد ماك (كارثة بيئية عالمية). ومن دون جيش، أو آليات عسكرية، كانت الأمور تبدو قاتمة للغاية في أدناك القديمة. ولكن عندما بدا الأمر وكأننا انتهينا، أعلن زعيمنا الذي كان يُطلق عليه فيما مضى (رئيس الوزراء)، أننا قد شكلنا تحالفًا مع الاتحاد. الشيء التالي الذي نعرفه هو أن مئات من كتائب تشين، وآلافًا من جنود روس مع قنابل فلاس، وبنادق ليزر، وقنابل صدى، أحاطت بمستودعات المياه لحمايتها، وكانت قاذفاتهم ودباباتهم الكهرومغناطيسية تضرب فيراغ من الشمال. كان الجميع في غاية السعادة والارتياح في ذلك الوقت، لم يفكر أحد في السؤال عما أرادوه في المقابل.

ولكن كما تبين، كان الثمن الذي أرادوه باهظًا وهو سيطرة اقتصادية كاملة على أدناك. لم يكن الأمر مفاجئًا، بالنظر إلى أن الاتحاد، أو ما كان سابقًا تشين، وجان، وروسي، وإست إند، تكاتفوا معًا، وأصبحوا قوة عسكرية عظمى. كما أدت المعاهدة التي وُقع عليها، والتي ساعدت الاتحاد على إنقاذنا أيضًا، إلى توقف كل الصادرات والتصنيع بشكلٍ هائل، تمامًا مثل ما حدث في البلدان الأخرى التي دخلت الاتحاد.

الآن كل ما يشتريه الناس، ويأكلونه، ويرتدونه، ويستخدمونه يُصنع حصريًا في دول الاتحاد، ويستورد إلى هنا. ودعونا لا ننسَ أمر فوجيان؛ إنها جزء من الساحل الغربي لأدناك الذي تم تسليمه لتخفيف الاكتظاظ

السكاني الشديد على بر تشين الرئيسي. بالطبع، إذا لم تكن ثريًا، ومتوافقًا بطريقة ما مع الاتحاد، فستعيش في مدينة من الخيام مثل ديفينيتي، وستفعل ما في وسعك للبقاء على قيد الحياة. ربما كان الأمر أسوأ، على ما أعتقد- كان يمكن أن ينتهي بنا الأمر مثل فيراغ، بدلًا من بلد بلا مصدر دخل. لم يكن الأمر سيئًا للغاية بالنسبة إلى أشخاص مثلي، ممن لديهم نوع من المهارة أو الموهبة. سوف ينهال الأثرياء على أي شيء مصنوع يدويًا لأنه كان نوعًا من الحداثة. بالطبع، كانت السوق الخفية، وكل الأثرياء يعملون لصالح شركات الاتحاد، وكانت هناك غرامات ضخمة على أي شخص يُقبض عليه وهو يشتري أو يبيع سلعًا هناك. يتكرر إرسال المخالفين إلى القبة، وهو ملعب عملاق في وسط مترو، لكي يعاقبهم علنًا حاكم القبة، وليس الطبقة الثرية، بالطبع، فقط الأشخاص مثلي. والناس مثلي لا يمكن أن يكونوا أكثر اختلافًا عن الأثرياء، لو حاولنا ذلك. أتى الأثرياء إلى هنا من دول الاتحاد، وجلبوا معهم عاداتهم وسلوكهم الغريب. إنهم يفضلون الحصول على أفتح درجات البشرة، وارتداء ملابس خفيفة تُعامل بمواد حماية خاصة وهم يقضون معظم وقتهم تحت المظلات لحماية أنفسهم من أشعة الشمس، والأمطار الدافئة.

وكي يحافظوا على وجوههم بعيدة عن الشمس قدر الإمكان، يرتدون ما نطلق عليه (أقنعة سيم)، أقنعة سيليكونية خاصة تلائم وجوههم، ولكنها مطابقة لملامحهم الخاصة. من الغريب رؤيتهم وهم يتجولون في السوق الخفية، يتحدثون ويشيرون، ووجوههم ثابتة مثل الدمى.

يكفـي تفكيـرًا في الماضـي، فالحاضـر ماثـل أمـامي وأنـا أواصـل المشي، منتظرًا عـودة دي. كنـت أشـعر بها في ذهني دائمًـا، أحيانًا حتى عندما أكون نائمًا، ولم أستطع تذكر أي وقت لم يكن فيه الأمر على هـذا النحو. عندما كنا طفلين في دار العمل، كنت أعـرف متى كانـت تتعـرض لسوء المعاملة.

كانت تبدو عيناها حمـراوين، وتمشـي بصـلابة في بعـض الأحيـان، وتنكر بشدة أن هناك خطبًا ما، لكنها لـم تسـتطع أن تخدعني، لقـد كنـت أشـعر بخوفهـا وغضـبها. كانـت الأمـور أسـهل بالنسـبة إلـيّ؛ التزمـت الصمت، وفعلت ما قيل لي، وحاولت الابتعاد عن طريق الحُماة.

دي عنيدة بالفطرة، وهذا ما كان يوقعهـا في المشـاكل دائمًـا، إضـافة إلى الطريقة التي كانت تخاطب بها ولـي أمرهـا، والحُمـاة - وهـذا أسـوأ شيء يمكن فعله - الذين حرصوا على عدم حصولها على أي خـدمات خاصـة، أو حتـى اسـتراحة مـن العمـل في أيـام العطـل. حتـى أنهـا كانـت تُضرب في بعض الأحيان وتُحتجز لأيام في السقيفة.

بالطبع، هذا يعني أنني لم أحصـل علـى اسـتراحة أبـدًا. كنـا في هـذه الحياة معًا، ولن أتخلى عنها للحصول على قطعة رديئة مـن حلـوى يـوم الـترك، أو خمـس عشـرة دقيقـة إضـافية في أسـرة الأطفـال الصـلبة التـي يسـمونها أسّرة. ولكن بمجرد مغادرتنا العمـل، بـدأت أقـدر شخصـية دي حقًـا - في أكثـر مـن مـرة، حـال اعتـدادها وثقتهـا بنفسـها دون أن تقـدم عصابات واضعي اليد على سـرقة حاجياتنـا، كمـا أنهـا لـم تسـمح لـي أن أقايض التحف الجميلة التي أمضي أيامًا في صنعها بثمن بخس.

إنني بحاجة إليها الآن، فلدي عمل يجب عليّ أن أنجزه إذا رغبنا بتناول الطعام هذا الأسبوع، وكان القلق يستنفد طاقتي. كانت ترسل أفكارًا عن الرفاهية والشبع، لكن هذا لن يحدث إلا إذا تمكنت من نحت شيء مميز.

معظم ما أنحته هو حيوانات لم يسبق لي أن رأيتها، لكنني أحلم بها، وبعد أن أحلم بها عدة مرات، أشعر أنني أعرفها جيدًا بما يكفي لنحتها: الفيلة، النمور، والدلافين كلها مخلوقات انقرضت منذ عقود ولم يعد لها وجود إلا في ذهني.

في الآونة الأخيرة، كنت أحلم بوحش غريب المظهر طويل الرقبة بشكل لا يصدق، وساقان طويلتان للغاية، ووجه لطيف. لست متأكدًا مما هو عليه حتى الآن، ولكن بمجرد أن أنحته، سيخبرني باسمه شخص ما، ثري على الأرجح.

بمجرد أن وصل إحباطي إلى نقطة الانهيار، سمعت ضحكًا، ورأيت دي وهذا اللص روغان خلف الخيمة الأخيرة في صفنا. عندما رأتهما عائلة واضعي اليد، بدا عليها التوتر واليأس، ثم ابتعدت. نظرت الأم إلى من فوق كتفها بحزن، واضطررت إلى قمع موجةٍ من الشفقة.

صرخت دي عن بعد عدة خيام، قائلةً: "لا تجرؤ. ماذا أقول لك دائمًا؟ إذا أطعمتها مرة...".

تنهدت، وأكملت جملتها، قائلًا: "ستظل تحوم حولك". شعرت فجأةً بالإرهاق الشديد، وقلت: "ماذا كنتِ تفعلين؟ لقد قلقت عليك".

نظرت دي إلى روغان، ورفعت أحد حاجبيها. نظر إليها بخجل، ثم أخذت تنظر إلى السماء فوق خيمتنا متظاهرة بأن هناك شيئًا مهمًا

قالت: "لقد كانت مغامرة بلا شك. أحدهم، بدون ذكر أسماء، اعتقد أنها ستكون فكرةً رائعةً أن (نستعير) بعض الحلي من ثرية مع لوبوت".

صرخت مرعوبًا: "لوبوت". نظرت إلى روغان، وقلت: "ما الذي كنت تفكر به بحق الجحيم، أيها اللص الغبي؟".

نظر إليّ بشكل دفاعي، وقال: كل شيء على ما يرام، توقف عن التذمر. لقد حصلنا على ما أردناه، وحطمنا اللوبوت".

قلت: "لقد حطمته هل تمزح معي؟". كنت غاضبًا جدًا. يمكن للوبوت إرسال الصور – ماذا لو رأى وجهيهما، وكان فريق من البلوز في الطريق إلينا الآن بينما نتحدث؟

تدخلت دي، مستشعرةً خوفي، وقالت: "لم يرنا، سي، أعدك. تسلل روغان من خلفه بينما كان يحاول اختراق باب الفرن". تبادلت وروغان النظرات وضحكا، ثم قالت: "اهدأ، تعال إلى الخيمة، وانظر ما لدينا. لقد كسبت رزقي اليوم، يمكنك أن تريح يديك الليلة، وسنحظى بوليمة حقيقية بمجرد أن نبيع هذه الحلي. قد يكون واحدٌ منها ألماسًا".

شعرت بالهدوء الآن، عندما علمت أنهما بأمان، وبدأت أبدي الاهتمام بقصتهما، وقلت: "باب الفرن، أليس كذلك؟ هذا مثيرٌ للفضول. لكن دي، عليكِ أن تكوني أكثر حذرًا".

قالت دي: "أعلم. ماذا ستفعل من دوني، هاه؟". ضحكنا جميعًا، لكن في أعماقي، علمت أن ذلك صحيح. إن أصاب دي مكروه، سأكون بحالة ضياع حقيقية.

3 دي

الآن بعد أن شعر سي بالهدوء والطمأنينة، كانت الأولية بالنسبة إليّ رهن الحلي. كنت مصممةً على الحصول على سعر جيد، لأثبت لسي أن مغامرة اليوم كانت تستحق كل هذا العناء، وأفضل طريقة للقيام بذلك هي إعداد وليمة رائعة. خلال الأسابيع القليلة الماضية بالكاد كنا نتدبر أمرنا، وكنا نعتمد على آخر علب حساء اليخنة التي لدينا. كانت (اليخنة) هي الاسم الذي يُطلق على كل علبة من دون ملصق، تباع أو تتداول بسعر زهيد في متجر بلاوبلاو للمواد الغذائية التابع لديفينيتي.

ما كنت تستطيع معرفة ما تحتويه العلبة قبل فتحها؛ فقد يكون شيئًا شهيًا، مثل لحم مضغوط (هل هو لحم حقًا؟ لا أحد يريد أن يعرف)، أو قد يكون شيئًا مخيبًا للآمال، مثل حبوب الشمع. حولناها أنا وسي للعبة كنا نلعب (خمن ما يوجد في الداخل)، كل ظهيرة قبل الغداء لنلهي أنفسنا عن الجوع. في معظم الأحيان، كنا نأكل مرة واحدة في اليوم، حيث نتناول وجبتنا عصرًا، كي نستطيع تحمل الجوع طوال الليل. عندما نظرت داخل المبرد الصغير بالأمس، لم يكن فيه سوى ثلاث علب، وخسة صغيرة جدًا.

في الأسبوع الماضي، كانت الخسة أكبر حجمًا، ولكننا نأكل ورقة منها كل يوم، ونتذوق الرفاهية. الآن، تبدو منكمشة. كنت قد سرقتها

مباشـرة مـن حقيبـة تسـوّق إحـدى الثريـات التـي كانـت تتجـول حـول ديفينيتي، ربما كانت تبحث عن بعض بهارات السوق الخفية.

كانت من ذا فارم، وهي سلسلة حصرية من متاجر البقالة باهظة الثمن التي توجد فيها المنتجات الطازجة من الفواكه، والخضار التي تنتج في بريدباسكيت والتي لا يراها في العادة العمال الأحرار مثلنا. ربما كانت تظن أنها كانت بأمان، برفقة حارسين من البلوز، ولكنني خرجت خلسة من زقاق خلفهم، وانتزعت الخسة التي وضعتها أعلى حقيبتها، وركضت. بدأت تصرخ، وتجعد قناعها وتقشر. طاردني البلوز لبعض الوقت، لكننا جميعًا نعلم أنهم لن يمضوا بعيدًا من أجل استرجاع خسة. لقد كانت تتباهى ببضائعها بالقرب من مدينة الخيام. فتحت المبرد الصغير مرة أخرى الآن، فقط للتحقق مما كان لدينا. بدت الخسة أسوأ اليوم.

التفت إلى سي، ورفعت حاجبي، وقلت: "الطعام ينفد". لقد عرف على الفور ما كنت أفكّر به، وكتم روغان ابتسامة. قال سي متوسلًا: "دي، أنت تقتلينني، ألا يمكنك فقط أخذها إلى متجر بلاوبلاو؟ ومقايضتها ببعض (حساء اليخنة)". ومرر أصابعه عبر شعره الأشقر المائل إلى الحمرة وبدا مرتعبًا.

صاح روغان رافعًا يديه في الهواء: "يخنة، إنها تساوي أكثر بكثير من مجرد علبتين من طعام القطط".

قال سي مصرًا: "إنه ليس طعام قطط، إنه...".

قلت وأنا أضحك: "كفى. سي، كلانا نعرف أننا لن نتمكن من الحصول على ما نستحقه في بلاوبلاو، علينا الذهاب إلى تريك". أومأ

روغان برأسه، وقال: "إنها الطريقة الوحيدة التي سنحصل بها على ما يعادل نصف قيمتها. تريك هو الرجل المنشود".

كان تريك وسيطًا يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، ضئيل البنية بالنسبة إلى عمره، لكنه كان أقوى الأولاد في *ذا بيلت*. هرب من دار العمل عندما كان في السادسة من عمره، وفقًا للأخبار المتداولة، واستطاع العيش في الشوارع بمفرده.. بحلول الوقت الذي بلغ فيه الثامنة، كان زعيم عصابة، وكان قد طوّر شبكة من (الشركاء) الذين كانوا يدفعون أعلى قيمة للبضائع. لكن تريك كان أكثر من تاجر حلي معتاد. في الوقت الذي يتعامل فيه بلاوبلاو مع الأشياء العادية، يمكن أن يجد تريك مشتريًا للأشياء الخاصة، التي لا تقدر بثمن، لذلك كان معروفًا. علاوةً على أنه كان قاسيًا، كان داهية في مجال الأعمال، وعلى دراية بالمعادن والأحجار الكريمة، ولكنه أيضًا كان عادلًا وصادقًا للغاية مع أولئك الذين يحبهم ويثق بهم. أما بالنسبة إلى أي شخص آخر، فكان خطيرًا.

لم يسبق لي أن قابلته - لقد رأيته ذات مرة من بعيد - لكن روغان كان لديه اتصال مع شخصٍ يدعى أس- سام، والذي كان صلة وصل مع تريك، ويمكن أن يحددًا لنا موعدًا معه. بدا سي منزعجًا، وقال: "أفترض أن هذا يعني أنكما ستذهبان للقاء أس- سام، علمت من الطريقة التي يعمل بها عقلكِ الآن، أنني لن أستطيع منعكِ. حسنًا، فقط كونا حذرين".

ضحك روغان، وقال: "نحذر مِن مَن؟ أس- سام أحمق غير مؤذٍ".

قلت: "لا تكن جاهلًا، روغان، لا يوجد خطب في أس- سام، فقط لديه مشكلة في التحدث، لكنه ذكي وربما أكثر ذكاء منك".

قال روغان: "أيًا يكن، أحمقًا أو عبقريًا، ما من طريقة سواه للوصول إلى تريك، لنذهب".

خرج من الخيمة، وحدق إلى أشعة الشمس القوية. همست لسي: "عظيم، أصبح الآن مستاءً".

قال سي: "حسنًا، لقد أهنتِه. إنه يحبك حقًا، وأنتِ جرحت مشاعره".

همست قائلة: "يحبني؟ لا تكن سخيفًا. نحن صديقان، هذا كل ما في الأمر".

تصنع سي ابتسامة، وقال لي: "كما تريدين، يا أختي". ثم أصبحت تعابير وجهه جدية، وقال: "عنيت ما قلته بشأن أن تكونا حذرين، سمعت قصصًا رهيبة عن تريك وعصابته".

قلت: "أنتَ كثير القلق، سيعتني بي روغان، بما أنه يحبني كثيرًا، وأنتَ ستهتم بالخيمة. أنجز بعض الأعمال، - سيشتت ذلك عقلك قليلًا". قبلتُ خده، وغادرتُ الخيمة.

نظر إليّ روغان شزرًا، فلكمته على كتفه بخفة، وقلت: "هل أنتَ جاهز للذهاب؟ عدني أنك ستكون لطيفًا مع أس- سام".

قال روغان: "حسنًا، سأكون كذلك". وأشاح بنظره عني، لكن صوته كان أكثر ليونة. لكمني على كتفي بخفة، وابتسم لي. كان لديّ شعور مفاجئ غريب، ربما كان سي على حق، وأن روغان حقًا يحبني، لكنني تجاهلت ذلك الشعور. كان هناك عمل يتعين عليّ القيام به.

4 سي

انتظرت في الخارج حتى اختفتْ دي وروغان خلف صف من الخيام، ولم أستطع رؤيتهما، ثم دخلت الخيمة. لقد طلبتْ مني دي أن أعمل. حسنًا، كنت أعرف أنني سأضطر للقيام بشيء ما، لكن سيصعب عليّ التركيز. ذهبت إلى طاولة صغيرة حيث احتفظت بأدوات النحت الخاصة بي. لقد صنعت هذه الطاولة، والصندوق الذي يحتوي على الأدوات، من خشب سقط المتاع الذي تسرقه دي من الميناء. كانت الطاولة قذرة قليلًا، لكنني نحتُّ عليها تصميمًا لتبدو أكثر شبهًا بالأثاث الحقيقي. كان الصندوق مصدر فخري وفرحي. كانت المسامير قد نفدت مني لذا جمعتها بتقنية المفاصل المتشابكة، بالطريقة نفسها التي كان الأثاث يصنع بها قبل مئات السنوات.

كانت المفاصل المتشابكة شيء حلمت به، وكذلك الحلقات التي نحتّها على كامل الصندوق. تمامًا مثل حيواناتي، لم يكن لديّ أي فكرة من أين أتتني هذه الصور.

فتحت الصندوق، ولمست كل واحدة من أدوات النحت الخاصة بي باعتزاز. كانت أثمن كنوزي، إنها بالنسبة إليّ بمنزلة دي، لقد وجدناها بعد أن جئنا إلى هنا من دار العمل بفترة قصيرة، في أحد أكشاك السوق الخفية.

عندما نظرت إليها عرفت أنه يفترض بها أن تكون لي، وعندما لمستها، ومضت مئة صورة في رأسي. نظرت إليّ دي متسائلةً، مستشعرةً تدفق عواطفي، وهزّت رأسها. كانت صاحبة الكشك امرأة معمرة قاسية، تسمى العمة ماي.

ضحكَت في البداية عندما قدمنا لها عرضنا. سمحت لي باقتراض الأدوات حتى أتمكن من بيع ما يكفي من المنحوتات لدفع ثمنها. لكن بعد أن نظرت إلينا نظرة طويلة، قاسية -كنا صغيرين، ونحيلين، وقذرين لكننا مصران على كسب رزقنا - وافقت على رؤيتي وأنا أعمل، وأعطتني قطعة من خشب وجدتها في دلو يحوي سقط متاع، موجود تحت الرف. بعد أن نحتت قطعتي الأولى لها على الخشب وكانت حصانًا.. لم يسبق لي أن رأيت حصانًا، لكن لا بد أنها تعرف كيف يبدو، لأنها أعطتني الأدوات مقابل المنحوتة في ذلك الوقت والمكان.

عندما سألتها دي عن ثمنها، نظرت إليها بحزن، وقالت إنها يمكنها أن تحتفظ بها لفترة من الوقت. ثم صنعت لها بعض الخرز كي تبيعه لاحقًا.

احتفظت بواحدة لنفسي كهدية تذكارية، لا أزال أضعها في جيبي حتى اليوم، وهي شيء ألجأ إليه كلما كنت قلقًا، أو غير متأكد. في الآونة الأخيرة، كنت أُكثر من إخراجها، بحيث أصبحت مصقولة للغاية، وكانت تتدحرج بسلاسة بين أصابعي. بعد مقابلتنا العمة، بدأت دي بالنزول إلى الميناء كل يوم، والبحث عن قطع الخشب، أو أي شيء يمكن تحويله إلى شيء مفيد.

في غضون أسبوع، كنت قد نحتت ما يكفي من الحيوانات لبيعها في السوق الخفية. سمحت لنا العمة باستعارة طاولة، ووضعها خارج كشكها، بشرط أن أرسل إليها أيًا من زبائني من أجل (الأشياء الغريبة، والنادرة التي يمكن العثور عليها في الداخل).

لم يكن لديها شيء يمكن وصفه بالغريب أو النادر، لكنها بدت وكأنها صفقة ممتازة. بحلول المساء، بعت كل المنحوتات التي صنعتها خلال الأسبوع، وكسبت هي بعض المال أيضًا. أصبحت الصفقة دائمة؛ استفدنا من عدم الاضطرار إلى دفع ثمن كشك خاص بنا، واستفادت هي من الأعمال التي أحضرتها لها.

لن تكون سعيدة للغاية، إذا لم يكن لديّ ما أقدمه هذا الأسبوع، لذلك قررت البدء بالعمل، أو على الأقل بذل جهد حتى عودة دي. وأنا أرفع أدوات النحت الخاصة بي، لمست يداي شيئًا آخر كان مختبئًا تحتها، لم يكن كنزًا بالضبط، لكنه قادني وساعدني سرًا في النجاة من أسوأ لحظات اليأس.

لا تعرف دي أنني لا أزال أحتفظ به؛ لقد ألقته عليّ ذات يوم أثناء نوبة غضب، فاحتفظت به، ونسيت أمره.

لقد كان الشيء عبارة عن ملاحظة، أُعطيت لها عندما كنا في الثامنة من العمر، من قبل ولي أمرها، فتاة بغيضة تدعى زد 55، كانت تلقب نفسها أنيشكا. لم تكن هدية، تُعطى بروح الحب أو حتى المودة. كانت دي قد أغضبت أنيشكا، وزادت الأمور سوءًا عندما صرخت عليها، وقالت: "يومًا ما سيأتي والداي ويأخذانني من هنا، عندها ستكونين

آسفة". توقفت أنيشكا عن ضربها، وتوارت عن الأنظار، ثم عادت مع ملاحظة ادعت أنها سرقتها من ملفنا. كُتب فيها *اعتنِ بهما، فأنا لا أستطيع ذلك*. وأرتها دي، وأخبرتها بسخرية أنها كانت مثبتة على الناقل الذي وُجدنا فيه، على درج دار العمل، عندما كنا طفلين.

قالت لدي: "هاه". ثم صفعتها وقالت: "لا أحد سيأتي لأخذك، أيتها السافلة الصغيرة الغبية، لذلك توقفي عن التصرف كما لو أنك أفضل من أي شخص آخر". لقد علمت هذا لاحقًا، عندما دخلت دي إلى جناح النوم الخاص بالفتيان، وألقتها على سريري. عندها بدأنا وللمرة الأولى نتحدث عن مغادرة دار العمل، وشق طريقنا في العالم بدلًا من الذهاب إلى بريدباسكيت. لكن دي لم تدرك أبدًا أن السبب الخاص بي كان مختلفًا عن سببها؛ كنت أعرف أن الشخص الذي كتب المذكرة كان مُحطمًا.

لا تسألني كيف عرفت، أضف إلى ذلك أنني كنت أعرف أن الشخص الذي كتب ذلك كان لديه شعر كثيف بلون غروب الشمس الذهبي، بالضبط مثلي أنا ودي، وكنت مصممًا على العثور على هذا الشخص يومًا ما. أما بالنسبة إلى دي، فلا أعتقد أنها عاودت التفكير في الملاحظة مجددًا، على الأقل كنت متأكدًا من أنها لن تفكر في ذلك مرة أخرى. كنت سأعرف إذا فكرت بها، بالطبع، وكان هذا هو الشيء الغريب. كلما تقدمنا في السن، بدا وكأنني أكثر فهمًا لأفكارها مما كانت هي عليه. كنت أعرف أنها لم تفكر من هي أمنا – بالنسبة إليها، لم تحبنا أمنا، ولم تهتم بما حدث لنا– لكنني لا أعتقد أن دي كانت تدرك أنني أفكر في والدتنا طوال الوقت، وأتمنى أن يلتئم شملنا يومًا ما.

وجدت قطعة خشب ذات شكل مناسب في الحاوية التي احتفظت بها دي بالأخشاب لأجلي، وتأملتها لفترة. كان العصر هادئًا، وكان معظم الناس في خيامهم يتقون حرارة الشمس. كان صوت وحدة التبريد في الزاوية هو الصوت الوحيد الذي يمكنني سماعه، وكان مهدئًا بطريقته الخاصة. استرخيت، تركت الخشب يملي عليّ ما ستنحته يداي. وبدأت صورته تتشكل ببطء في ذهني؛- طائر طويل، رشيق بساقين طويلتين، وعنق طويل مقوس، وجناحين هائلين.

بدأت في نحته كما رأيته، واقفًا في بركة من المياه العذبة الباردة. بينما كنت أحفر، تشكلت كلمة على شفتي (مالك الحزين). هل كان هذا اسمه؟ لم أكن لأعرف بالطبع.

كانت الطيور الوحيدة التي رأيتها، هي تلك الصغيرة الرمادية، التي كانت تنقر في الأرض بحثًا عن الديدان واليرقات، وترفرف في البرك بعد عاصفة ممطرة. سمعتهم يسمونهم *بالعصافير*، لذا أعرف أنها لم تكن ما أنحته الآن. في دار العمل، تعلمنا القراءة والكتابة بالطبع، لكن جميع الكتب كانت تركز على الزراعة. حتى أول كتب الأبجدية - علمونا الأحرف بطرح كلمات تتعلق بالزراعة، والحبوب، والاتحاد فقط - لم يكن في أي منها ما يتعلق بالحيوانات أو القصص. كان الأمر كله يتعلق بتعليمنا أن نصبح عبيدًا، ومزارعين مطيعين.

عندما أصبحت أكثر تركيزًا على عملي، شعرت بشيء من الاسترخاء، ووجدت نفسي مستمتعًا بتحويل قطعة الخشب إلى شكل مالك الحزين، إذا كان هذا اسمه. أخيرًا، اكتمل الطائر. نظرت إليه بفخر

لأننا سنجني من بيعه في السوق الخفية بعض المال. وضعته في جيبي، وانتظرت عودة دي حتى أستطيع المغادرة.

أدركت أن الشمس بدأت في الغروب، لا بد أنني عملت لأكثر من ثلاث ساعات، ومع ذلك لم يعد روغان ودي كبحتُ الذعر الذي بدأ يتصاعد في صدري، وحاولت الوصول إلى دفق مشاعرها. رويدًا، رويدًا، بدأ صوت يتكون في ذهني، كما لو أنه قادم من مسافة بعيدة، ومن ثم ارتفع ليصبح صراخًا.

في الوقت نفسه، كانت الخيمة مفتوحة على مصراعيها، إن ذلك الصوت الذي كنت أسمعه في رأسي جعلني أنظر ولا أفقه ما تراه عيناي، لأنه نشر الخوف والذعر في داخلي. لم أكن أعرف ما الذي يحدث، أو من كان يصرخ. كان الصراخ عاليًا للغاية، وبدأت الأرض تهتز، فركعت ممسكًا رأسي في حزن ورعب.

لا أعرف كم مضى من الوقت، لقد تناوب الخوف والألم بلا هوادة، وهذا ما أدى إلى شل حركتي. أخيرًا سمعت صوتًا يناديني باسمي: "سي، سي". بحثت عن مصدره، كان ليتل جيمي يقف أمامي، وهو خريج آخر من دور العمل، يعيش على بعد ثلاثة صفوف منا، مع امرأة تدعى نوني. شهقت: "جيمي، ماذا...؟".

عندما رآني على الأرض بدا مرتبكًا، وانحنى لوضع يده على كتفي، وسألني: "سي، هل سمعت؟".

قلت له: "سمعت ماذا؟ أخبرني ما الذي يحدث". صرخت بصوتٍ أعلى من الصراخ في ذهني، لكنني كنت أعرف بالفعل ماذا سيقول.

سألته: "ماذا حدث لدي؟".

قال لي: "لقد وقعت في كمين للبلوز، يمكنني أن آخذك إليها". وفتح لي باب الخيمة.

خرجت مترنحًا، وقلت له: "أين؟ أين هي؟". أمسك ليتل جيمي بذراعي وشدني.

تراجعتُ، ونظرت حولي، لم أكن أعرف ماذا سأفعل. أدرك ليتل جيمي على الفور ما أفكر فيه، وأشار إلى فتاة قوية ذات شعر بني بعمري تقريبًا، تقف بجانب الخيمة، وتحمل عصا تبدو ثقيلة، وقال: "هذه سارة أخت نوني الصغيرة، ستحرس خيمتك حتى تعود، لا تقلق". ضربت سارة بالعصى راحة يدها المفتوحة، وقالت: "يمكنني الاهتمام بالأمر، اذهب". لم يكن لديّ خيار سوى أن أثق بها. تركت جيمي يقودني إلى دي، دون أن أعرف ما سأجده، وكنت خائفًا من المفاجآت.

5 دي

صرختُ، عندما اخترق الليزر بشرتي، لكن صدى الصرخة تردد في رأسي، ورأس سي. كنت أعلم أنه سيسمعها، وهذا ما جعل الأمور أسوأ.

لقد بدا الأمر برمته فوضويًا، في البدء كانت الأمور تسير بشكل جيد، ولم يكن من المنطقي أن تنتهي الأمور على هذا النحو. ذهبتُ وروغان لرؤية أس- سام، على أمل أن يتيح لنا الوصول إلى تريك. يعيش أس- سام مع والدته في الجهة الأخرى من ديفينيتي، في خيمة قذرة متهالكة، بدت وكأنها بالكاد تستطيع أن تمنع المطر. كان علينا الانتظار بعض الوقت - إذا رآنا أحد ونحن نتحدث إلى أس- سام، فستكون مشكلة لنا جميعًا، لذلك التقينا على بعد عدة خيام، أقصد أننا التقينا بأحد أفراد عصابة الأطفال. لقد أطلق عليهم اسم (عصابة الأطفال) لأنهم كانوا جميعًا دون سن العاشرة. إنهم أطفال صغار قساة، فتيان وفتيات، سمعوا عن تريك بطريقة ما، وهم هاربون من دور العمل إلى ديفينيتي.

لقد استبدلوا الحياة الصعبة بأخرى، ولكن السرقة كانت أكثر كرامة من العبودية. كان هناك نظام معمول به، يشارك فيه أعضاء عصابة

الأطفال الذين يتجولون بين صفوف الخيام، حتى يكتشفوا شخصًا يبدو أنه بحاجة إلى موعد. في مرحلةٍ ما، كان أحد الأطفال يتجول أمام خيمة أس- سام، ويمرر أصابعه عبر القماش أثناء مروره، كانت هذه إشارة لأس- سام كي يظهر. أخيرًا، عندما خرج من الخيمة المتهالكة، نظر إلى البعيد، وتمدد وتثاءب، ثم رفع بنطاله من دون مبالاة، لقد كان عريضًا بقدر ما كان طويلًا، ووجهه مستدير، وشعره المدهن مُلتصق بجبهته. وقف هناك للحظة ينظر إلى الأمام مباشرة، واضعًا يديه في جيبيه، ثم بدأ يمشي ببطء على طول الصف.

عندها توجه الطفل الذي أعطاه الإشارة نحونا، أومأ بمهارة شديدة برأسه، بما يفيد أن علينا اللحاق بأس- سام.

بقينا بعيدين حتى لا نلفت الانتباه. كانت مسيرة طويلة، ومتعرجة عبر ديفينيتي، التففنا حول الجهة الشمالية لحدود أولد كنسينغتون. ذات يوم، كانت أولد كي (اختصار لأولد كنسينغتون)، أو المدينة المسكونة كما كان يُطلق عليها، منطقة مزدهرة للمترو، حتى حدثت حروب فيراغ، عندها قصفت بقنابل الفلاش، حتى أصبحت غير صالحة للسكن. كانت معظم الأبنية من دون جدران، وفي بعض الأحيان كانت الأرضيات تنهار فجأة ما إن تدوس عليها. لم تكن منطقة يتردد عليها الأثرياء، لكنها كانت مكانًا رائعًا للنشاط غير المشروع.

عندما اعتقدت وروغان، أن أس- سام لن يتوقف عن المشي أبدًا، دخل فجأة إلى أحد المباني واختفى. صاح روغان: "إلى أين ذهب؟ لم أعتقد أنه يستطيع التحرك بهذه السرعة".

أجبته: "ليس لدينا خيار سوى أن نتبعه، لا يبدو أنه ابتعد". وتبعناه بمجرد أن أصبحنا في مكان لا تصله أشعة الشمس، حتى انخفضت درجة الحرارة على الفور، وبدأت الأصوات القادمة من ديفينيتي تتلاشى في صمت ناطحات سحاب أولد كي.

لا عجب أن الناس أطلقوا عليها اسم المدينة المسكونة، فالوجود فيها يشبه الوجود في مقبرة، حيث تحيط بك شواهد القبور العملاقة. شعرت بالضآلة، والخوف من الصمت الغامر، وتواصلت بشكل غريزي مع روغان.

فأمسك بيدي، واحتضنها بيده الدافئة، وهمس لي: "هل ترينه في أي مكان؟".

قلت له: "لم تتكيف عيناي بعد مع الظلام". حدقت إلى الظلام: "لم أرَ أحدًا يتحرك".

مع ذلك، سُمع مرتين صوت ارتطام أنبوب معدني بالخرسانة.

قال روغان: "أتى الصوت من هناك". وأشار إلى مدخل على بعد نصف مبنى. كان الظلام يحجب الباب، شعرت بتوعك في معدتي عندما فكرت في ما قد ينتظرنا خلفه. سبق لي أن سمعت قصصًا في دار العمل عن مخلوقات سكنت المدن الميتة، وأرواح شريرة كانت تنتظر في الظلام، لتمد يدها وتلتقطك وأنت تتحرك. عندما وصلنا إلى ديفينيتي، اعتاد أولد ماك - راوي التاريخ هناك - التحدث عن الفيراغ، وكيف ماتوا عطشًا، وكيف غرزوا أسنانهم في نقاط تمكنهم من شق حلقك، وشرب دمك، أحب سي سماع قصص أولد ماك، على الرغم من

امتلاكه بعض المعرفة المباشرة بالمخاطر التي يشكلها الفيراغ.

من جهتي، لم تكن أحداث الماضي تعني لي الكثير، فالتاريخ كان خطأً ارتكبه شخصٌ آخر، ولن أتمكن من إصلاحه. كنت أرتجف، في الوقت الذي كان فيه روغان يتقدم نحو المدخل، ويشق طريقه بعناية فوق الأنقاض التي تناثرت في الشوارع. بالنظر إلى الوتيرة البطيئة التي كان روغان يتقدم فيها نحو الباب، لن أستطيع طوال حياتي أن أفهم كيف وصل أس- سام إلى هناك بهذه السرعة. تبعت روغان، وعندما وصل، انتظرني كي ألحق به. وقفنا قبالة الباب مترددين. سمعنا الصوت مرةً أخرى، ومن المؤكد أنه قادم من مكان ما في الداخل، تنفست بعمق، ونظرت إلى روغان.

قلت: "هيا بنا".

كان الدخول إلى المبنى بمنزلة الدخول إلى عالم آخر. رقصت ذرات الغبار في الضوء الخافت القادم من نافذة محترقة في أحد الطوابق العليا. لقد قُلب الأثاث المحطم، ووضعت بعض الأغراض القديمة على الأرض. أصابت قنابل الفلاش أهدافها منذ أكثر من ثلاثة عقود، ويبدو أن شيئًا لم يلمس منذ ذلك الحين. عندما نظرت وروغان في الأرجاء، أدركنا أن هناك شخصًا ضخمًا يجلس على كرسي في زاوية مظلمة من الغرفة. لكزت روغان، وأشرت برأسي نحو الزاوية. ازدرد روغان لعابه، قائلًا: "أس- سام؟".

أومأ ذلك الشخص برأسه، ووقف تحت الضوء الخافت. من المؤكد أنه أس- سام، نظر إلينا بتساؤل، سمعت أنه لا يتحدث كثيرًا؛

كان يعاني من تلعثم شديد، قال البعض إن تلعثمه بدأ عندما رأى والده يُقتل أمامه في القبة. لم يكن يفترض بالسجناء أن يقاتلوا حتى الموت، إلا إذا ارتكبوا جريمة مروعة مثل القتل، لكن تسلله وهو يحمل سكينًا كان طريقة مؤكدة لضمان ذلك. لم يكف عن التحديق إلينا، لكزت روغان مرة أخرى لأعلمه أنني أوكلت التحدث بالنيابة عني.

قال روغان: "كنا نأمل في التواصل مع تريك. لدينا بعض الحلي...". وسرعان ما مدّ روغان يده إلى جيبه، وأخرج القلادة والخاتمين. حمل الألماسة، وكانت تلمع في الغرفة المظلمة كنجم في سماء الليل. بدا أس- سام مهتمًا. وقال: "انتظر...". ورفع بنطاله مرة أخرى، وتجاوزنا خارجًا من المبنى.

انتقلت وروغان إلى الزاوية البعيدة من الغرفة، وجلسنا على الأرض، بحيث نتمكن من رؤية الشارع بشكل جيد خارج المدخل، بحيث لا يمكن لأحد أن يرانا. مرّ الوقت - لم نعرف كم مرّ من وقت، ولكن بدا وكأنه ساعة على الأقل. لقد سلينا أنفسنا بالتهامس حول ما سنشتريه بالعملات المعدنية التي من المؤكد أن يمنحنا إياها تريك مقابل الحلي. كان روغان يود شراء سكين ليزر جديدة، لتحل محل السكين المعدني الصدئ، الذي كان يحمله في جوربه من أجل الحماية.

ربما لم تكن تسبب كثيرًا من الضرر، بغض النظر عن الإصابة بمرض الكزاز، لكنها جعلته يشعر بالأمان. بالنسبة إليّ، كنت أخطط للعيد الذي سأستمتع به أنا وسي - البطاطا المقلية الساخنة، واللحوم من السوق الخفية. لا أحد يعرف أي نوع من اللحوم كانت، ولكن من

يهتم؟ لقد كانت متعة لم نكن قادرين على تحمل كلفتها أبدًا، وحتى الأغنياء قليلي الثروة الذين يترددون إلى ذلك المكان، لم يكترثوا لمصدرها. كل ما أعرفه هو أن رائحتها كانت لذيذة، ولم أستطع انتظار رؤية وجه سي عندما يأخذ قضمته الأولى. كان لعابي يسيل عندما سمعنا ضوضاء من الشارع. توترنا، ثم استرخينا حين ملأ ظل أس- سام الكبير المدخل. جاء إلى الغرفة، وتبعه شخص، حجمه أصغر بكثير، داكن العينين تكاد تحجبهما كمية كثيفة من شعر أسود يتدلى فوقهما. على الرغم من أنني لم أره إلا من مسافة بعيدة، إلا أنني عرفت على الفور أنه تريك من طريقة مشيه، كان وثقًا جدًا من نفسه. نظر حوله، فرآنا على الأرض. قفزنا في الوقت نفسه، وبدأ روغان يبحث في جيبه عن كنوزنا.

قال تريك: "أخبرني أس- سام أن لديك بعض الحلي الجميلة التي تريد التخلي عنها".

كان صوته عميقًا ومنخفضًا بشكل مفاجئ، وكانت كلمة (التخلي) كلمة عامية تعني (بيع)، لكنها ساعدت أشخاصًا مثل تريك على تجنب الموانع القانونية. وتابع: "إذا كانت جميلة حقًا، فقد أسمح لك بالتخلي عنها لأجلي، ثم قد أتمكن من إقراضك بعض المال". كانت كلمة (إقراض) أكثر عامية. إذا (أقرضك) وسيط ما المال بعد أن (تخليت) عن شيءٍ ما له، فهوة في الواقع، لم يشترِ أي شيء.

تمتم روغان، ممسكًا بالحلي التي أخرجها من جيبه: "نعم".

اقترب تريك، وأخذ من روغان الخاتم ذا الماسة.

سحب عدسة مكبرة صغيرة من جيب سترته، وفحص الخاتم عن كثب، وقال: "هذا جميلٌ جدًا، سأدعك تعطيني إياه، وسأسمح لك بإعطائي القطعتين الأخريين تعبيرًا عن حسن النية". كان يتحدث بنضوج يتعارض مع مظهره الشاب. أجاب روغان بالطريقة المناسبة: "نود أن نعطيك إياها"، ثم نظر إليّ بتوتر.

بسرعة، هززت رأسي موافقةً. وضع تريك الحلي في كيس ذي رباط، بدا وكأنه مصنوع من جلد الحيوانات، ثم أخفاه بعيدًا عن الأنظار داخل سترته. قلة قليلة من الناس يستطيعون شراء أي شيء مصنوع من جلود الحيوانات، حيث لم يتبق سوى عدد قليل جدًا من الحيوانات في العالم. كنت أتساءل ما نوع هذا الحيوان. عندها، قال تريك: "حسنًا، دعونا الآن نناقش مقدار الأموال التي تريدانني أن أقرضكما إياها".

عندها امتلأت الغرفة فجأة بنور ساطع. قنبلة فلاش. صرخ الجميع، غطينا أعيننا، وتلمسنا بعضنا بينما سمعنا صوت خطوات تتجه صوب الغرفة. كنت أتشبث بروغان بشدة، عندما صرخ بصوت عالٍ: "لا تتحركي. أبقي حيث أنت". أمسكت بي يدٌ خشنة، وسحبتني بعيدًا عنه. وسمعت تريك يصيح: "اتركونا وشأننا. لم نفعل شيئًا".

بدأ الضوء الساطع يتلاشى، وأدركت على الفور ما يجري، إنهم مجموعة من البلوز، بقيادة ملازم ذي وجه قاسٍ. أمسك أحدهم بتريك، الذي كان يكافح ضد القيود المعدنية، التي قيدوه بها. وكان اثنان آخران يحاولان إخضاع أس- سام، بينما أمسك شخصٌ رابع بروغان، وخنقه.

ابتسم الضابط، وقال: "حسنًا، ثاديوس، ما هو شعورك عندما يقبض عليك أخيرًا؟ هل تعتقد أنه يمكنك التملص من القانون إلى الأبد؟".

توقف تريك عن الكفاح، وضاقت عيناه، وقال: "محاولة لطيفة دوراند، لم (أشترِ) أي شيء، ليس لديك أي شيء ضدي".

قال الضابط: "أخطأت هنا، يا أحمق مدينة الخيام، حاول قراءة الإخطارات الرسمية أكثر، أم أنك لا تجيد القراءة؟ لقد قام الحاكم العام بتغيير القانون ليتأكد من أن حثالة مثلك لا يستطيعون الإفلات من العقاب بعد الآن.

لقد قبلتَ الأشياء المسروقة من كلبيّ دور العمال هذين، وأنت الآن مذنب. أتمنى أن تستمتع بالظهور للعامة، أيها الخائن". بدأ تريك يشتم ويصرخ. مشى الضابط، وحدق إليه للحظة، ثم فجأة لكمه بشدة على وجهه.

انهار تريك، وبدأ البلوز الآخرون يضحكون. أما الذي كان يمسك بي بقوة، واضعًا يديّ خلف ظهري، فتوقف فجأة عن الضحك، وانحنى نحوي، وقال: "هل عليها حقًا الذهاب إلى القبة؟ ستكون مثالية لبيت الدعارة". التصق بي، ولعق أذني. شعرت بالصراخ يتصاعد في حلقي، وحاولت الابتعاد، لكنهم بدأوا يضحكون أكثر. شخر روغان، ونظر إليّ عبر خصلات شعره الداكنة التي كانت تتدلى فوق عينيه.

كان الذي يمسك به بضعف حجمه تقريبًا. وفجأة أدركت ما الذي سيفعله – مدّ يده بسرعة، وانتزع السكين القديم الصدئ من جوربه. وقبل أن يدرك الذي يمسك به ما يحدث، طعنه روغان بالسكين في

ساقه. ربما كان السكين قديمًا ومهترئًا، لكن في تلك اللحظة، أدى الغاية منه. عندها صرخ، وترك روغان.

في الوقت نفسه، ركلت الذي كان يلعقني، بكل ما أوتيت من قوة، بين فخذيه. أمسك بنفسه، وبدأ يتأوه، بينما ركضت نحو الباب. ولحق بي روغان بسرعة.

آخر شيء رأيته كان محاولة أس- سام جمع قواه والتحرر من خاطفيه. في ثانية، اختفى في الظل، تاركًا خلفه البلوز يتدافعون. كنت على وشك الخروج من الباب، عندما أصابني قوس مفاجئ من الضوء الأحمر - بندقية ليزر، أطلقه ذاك الذي ضربته. صرخت عندما أصابني الليزر، وسقطت في منتصف طريقي للهروب. رفعتني أيدٍ قوية إلى الأعلى، وركضتُ متألمة، متعثرة. كل ما أتذكر سماعه هو صوت الشخص الذي أسماه تريك دوراند.

قال دوراند: "دعهم يذهبوا الآن. لقد حصلنا على ما جئنا من أجله...".

6 سي

قال ليتل جيمي: "لقد أخذوها إلى الدوك"، كنت أتبعه عبر متاهة الخيام. كان الدوك هو طبيب ديفينيتي - فهو شيء من طبيب، وشيء من طبيب أسنان، وشيء من طبيب بيطري. قال الناس إن جده كان يسمى (الجراح)، وكان يستخدم المبضع بدلًا من الليزر في شق أجساد المرضى، وأن كل ما يعرفه عن المعالجة قد انتقل إليه. كان في جميع مدن الخيام شخص مثله.

بعد حروب الفيراغ، أغلق الاتحاد المستشفيات العامة؛ فالأشخاص الذين لا يستطيعون الدفع لقاء معالجتهم، لا يستحقون عناء الاهتمام بصحتهم، وبذلك تفرق عدد كبير من الأطباء بين السكان الفقراء. الآن، هناك (مراكز شفاء)، لا يستطيع تحمل نفقاتها سوى الأثرياء؛ كانت تحتوي على أحدث أجهزة الليزر، وروبوتات طبية بدلًا من الأطباء الحقيقيين. لكننا نحن الأحرار كنا محظوظين بوجود شخص مثل الدوك. إذا كنت عبدًا زراعيًا، ومرضت أو أصبت، فسيتركونك من دون علاج فإما أن تتحسن أو تموت.

قلت: "ماذا حدث؟ كيف أصيبت؟ هل روغان معها؟". بدأ شعور الخوف والذعر يهدأ في داخلي، وتساءلت إن كان الطبيب قد أعطى دي

شيئًا أفقدها وعيها. أو ما هو أسوأ، لكن لم أستطع التفكير في ذلك بعد.

أجابني جيمي ونحن نركض: "هذا كل ما أعرفه، جاء روغان ممزقًا من أولد كي، كما لو كان الفيراغ ملتصقًا به، حاملًا دي بين ذراعيه. كانت تنزف بشدة، وتوجه مباشرةً إلى الطبيب".

روغان؟ كنت أعرف؛ هذا اللص السيئ هو سبب إصابة دي، ربما ماتت. شددت قبضتي في الوقت الذي انعطفنا به صوب خيمة الطبيب. كان هناك حشد صغير في الخارج، يتهامسون بقلق. ازداد صوت الهمس عندما رآني أحدهم وصرخ: "إنه أخوها. أفسحوا الطريق". تجاوزتُهم بصعوبة، متجهًا نحو الخيمة، ودخلت، ارتعبت وكاد قلبي يتوقف عندما رأيت دي ممددة على سرير بدائي الصنع، ووجهها إلى الأسفل، وإحدى ذراعيها متدلية بلا حياة من الحافة.

كان ظهرها مليئًا بالحروق وجلدها متسلخ وهناك جرح طويل نازف. كان الطبيب يجثم إلى جانبها، وكانت المناشف التي يحملها بيديه مبللة بالدم قرمزي اللون، وكان روغان ملطخًا بالدماء أيضًا ولم أستطع التمييز بين دمائه ودمائها. بدا وكأنه في حالة صدمة. عندما كنا نحدق إلى بعضنا، أدركت فجأة أنني لم أعد أستطيع سماعها في رأسي، ولا حتى بصوت ضعيف، لم أعرف إن كانت فاقدة الوعي، أو ميتة. لم يسبق أن حدث هذا لي سوى مرة واحدة، وكان ذلك قبل الذكرى الخامسة عشرة لتركنا؛ كلفت يومها بالحقول، وكانت دي جزءًا من طاقم المطبخ. لقد كرهَتْ ذلك، وكرهَتْ الاضطرار إلى صنع شيء لائق من قضبان الصويا، وبقايا الطعام التي حصلنا عليها.

شُحنت أفضل الفواكه والخضار، إلى سلاسل المطاعم عالية الجودة التي يتردد إليها الأثرياء، احتقَرتْ دي الاضطرار إلى قطف الطماطم والفلفل والفاصولياء المتعفنة، وفصل الطعام الفاسد عن الصالح للأكل، حتى لا يتضور أطفال دور العمل جوعًا. ذات ليلة، عندما كنت عائدًا من الحقول، سمعت صراخًا في رأسي، ثم اختفى الصوت، لم يكن مثل شيء سبق لي أن اختبرته، لم أشعر بدي أبدًا، ارتعبت وركضت نحو المجمع. بحثت في كل مكان، لكنني لم أجدها. شعرت وكأنني أغرق في الفراغ، وكأنني بمفردي تمامًا. رأيت طفلين آخرين بعمر الرابعة عشرة، ميكا وفلورين، وسألتهما إن كانا يعرفان مكانها. فأجاباني فورًا: "كلا"، لكن بدا أنهما غير مرتاحتين. عندما بدأا في الابتعاد، أمسكتْ بذراع فلورين، وقلت له: "من فضلك قل لي أين هي". أدار فلورين رأسه ليتأكد أن أحدًا لم يرنا. ثم أومأ برأسه لميكا. همس ميكا: "ابحث عنها في السقيفة"، وذهبا مسرعين.

بمجرد أن ذكر ميكا السقيفة، أدركت أن شيئًا فظيعًا قد حدث. السقيفة هي ملجأ خرساني صغير، بلا نوافذ، وأرضيته ترابية، ولا يحتوي على أي شيء. لقد كان أسوأ شكل من أشكال العقاب في دور العمل. من يرسل إلى السقيفة المظلمة، يحتجز فيها بمفرده عددًا من الأيام يُحدد عددها وفقًا لما أقدم عليه، ويحرم من الطعام ولا يزود سوى بزجاجة ماء. سبق لدي أن أُرسلت إلى هناك عدة مرات، لكن الأمر يبدو مختلفًا هذه المرة.

لطالما تمكنت من سماعها في رأسي تتذمر غاضبة من الحماة، وأولياء الأمر الذين ألقوا بها هناك، ومن الظلم بشكل عام. لكن الأمر

يبدو مختلفًا هذه المرة، فلم أستطع الذهاب إليه، ورؤيتها من خلال رشوة شخص ما، وعندما غابت الشمس كنت في غاية القلق عليها.

قبل ذلك، جلست إلى طاولة العشاء الطويلة لدار العمل، كان بإمكاني رؤية أشخاص يتحاشون النظر إليّ، ويهمسون بصوتٍ منخفض لا يمكنني سماعه. عندما طردنا الحُماة، بحثت عن ميليسا إحدى أولياء الأمور الأكبر سنًا، لأرى إن كانت ستساعدني.

عندما رأتني قادمًا، أسرعت بالابتعاد، لكنني لحقتُ بها، وأمسكت بذراعها. قالت لي: "توقف، سي. لا أستطيع". بدت غاضبة، لكنني علمت أنها كانت كسولة للغاية، ويمكنني أن أتغلب على غضبها من خلال رشوتها. فقلت: "أنتِ تعرفين أين هي يا ميليسا، من فضلك، ساعديني لأراها، وسأفعل كل ما تطلبينه مني". ابتسمت ميليسا ابتسامة المنتصر، وقالت: "أي شيء؟ إذا وافقت على تنظيف مرحاض الحامي جيروم، عند بزوغ الفجر، لمدة شهر، سأفتح الباب لك". قلت: "سأفعل ذلك، أعدك". لم تكن تعلم أنني كنت سأفعل ذلك لمدة عام، أو خمسة أعوام إن لزم الأمر، لقد كنت مستعدًا للقيام بأي شيء من أجل فتح هذا الباب.

أخذتني إلى السقيفة، تسللنا على طول جانب المجمع تحت جنح الظلام. عندما وصلنا إلى هناك، أخرجَتْ مفتاحًا صغيرًا، وفتحتْ قفل الباب. عندما رأيتها ارتجفت ساقاي وكاد يغمى عليّ. قالت ميليسا: "تفضل". وابتسمت وهي تفتح الباب، وأكملت: "تذكّر ما اتفقنا عليه، عند بزوغ الفجر".

اختفت في الظلام. حدقت إلى الظلام. كان من المستحيل تقريبًا رؤية أي شيء، لذلك بدأت أستشعر طريقي حول الغرفة، وقلت (دي) بهدوء شديد، وكدت أتعثر، عندما اصطدمت قدمي بشيء صلب ملقى على الأرض. إنها هي، جثوت على ركبتي أبكي، وأداعب شعرها. وفجأة شعرت بملمس لزج ورطب في يدي. ذُعرت، وحاولت أن أتواصل معها في رأسي، فأرسلَت إليّ إحساسًا خافتًا بالارتباك والألم. إنها حية. بدأت أهزها، وناديت باسمها أعلى من السابق. شعرتُ أنها تتحرك في ذهني، وشعرت بجسدها يتحرك بعض الشيء. ثم تأوهت. قلت لها: "دي، هذا أنا، استيقظي، يجب أن أُخرجك من هنا". لم أكن متأكدًا كيف سأخرجها، ولكن ما كنت متأكدًا منه أنني لن أبقيها في السقيفة لدقيقة أخرى إضافية. رفعتها عن الأرض، في البداية بدت لي أشبه بالجثة، ثم جثت على ركبتيها. قلت لها: "حاولي أن تحركي قدميك، يا دي. سأرفعك". تأوهت مرة أخرى، لكنها اتكأت عليّ وتقدمت، حتى وصلنا إلى المجمع. عندما دخلنا، كانت ميليسا تنتظر. شعرت بالخوف، لكنها قالت: "بما أنك وافقت على تنظيف مرحاض جيروم لمدة شهر مقابل فتح الباب، فما الذي ستفعله إن ساعدتك في علاجها؟". قلت: "أي شيء تريدينه، هل تعلمين ماذا حدث لها؟".

أجابت بازدراء: "إنه سونغي، لا أعرف التفاصيل، لكني سمعت أن دي فعلت شيئًا غبيًا جدًا. ومع ذلك، لم تستحق ما حصل لها. لطالما كان سونغي نذلًا. لكن هذه المرة بالغ في النذالة، الجميع يعتقدون ذلك".

كان سونغي ولي أمرٍ أكبر سنًا، نصفه من تشين، يُشاع أنه ابن مسؤول هناك، أُعجب بفتاة من العبيد الزراعيين أثناء جولة في بريدباسكيت. عندما ماتت والدة سونغي أثناء الولادة، أُحضر إلى هنا. لقد كان وسيمًا، ومفضلًا لدى الحماة، لكنه كره الجميع وكل شيء، ولم يفوت فرصة لجعل حياة الآخرين بائسة.

تمتمت دي: "نذل حقيقي"، ثم استلقت. بعد أن أصبحنا في النور، نظرت إليها عن كثب. كانت الدماء تغطي شعرها الأشقر، وكانت عينها سوداء، وشفتها متورمة. في تلك اللحظة، شعرت بالغضب للمرة الأولى، وعرفت أنني قادر على ارتكاب أعمال عنيفة رهيبة.

أخذتها وميليسا إلى جناح نوم الفتيات، شعرت أن الجميع يحدقون إلينا، ونحن نضعها في سريرها. لم يقل أحد شيئًا، لكنني كنت أعرف ما الذي يفكرون فيه: "يمكننا أن نكون مكانها". تساءلت: كم هي حياتنا هشة للغاية، تتحكم فيها نزوات أشخاص أقوياء، ولم يكن هناك ما يمكننا فعله حيال ذلك سوى الهروب إلى حياة قد لا تكون أفضل بكثير. ذهبت ميليسا لتجلب ماء دافئًا ومناشف، وجلست على حافة سرير دي. أمسكتُ بيدها، وضغطت عليها، ولحسن الحظ، ضغطت بدورها على يدي. قلت لها: "هل يمكنك التحدث يا دي؟ أخبريني ما الذي حصل؟". فتحت عينها غير المتورمة، وهمست: "لقد سرقت بعض الحلوى من خزانة المكافآت في المطبخ، وأمسك بي سونغي، وأمرني أن أخرجها من جيبي. عندما رفضت، ضربني وفتش جيوبي، وعندما رأى الحلوى، فقد صوابه. فجذبني من شعري، وسحبني إلى

السقيفة، وألقى بي فيها. وأعتقد أن رأسي ارتطم بالحائط، ولا أتذكر أي شيء آخر".

قلت: "لماذا أقدمت على مثل هذا التصرف الأحمق؟". شهقت، ونظرت بعيدًا، وقالت: "لقد أردت أن أعد مفاجأة بمناسبة ذكرى تركنا. من غير المنصف أنك لا تحصل على أي مكافآت، لأنني لا أكف عن التسبب بالمشاكل".

أردت أن أبكي، لقد أقدمت على ذلك من أجلي وبدافع الحب، وهذه كانت النتيجة. شعرت بالغضب، وشعرت بغضبها وبألمها، لكنني عندما حاولت الوصول إلى عقلها، كان هناك شيء آخر أيضًا، شيء أكثر سوداوية وأكثر فظاعة. عندما حاولت معرفته، منعتني. لكنني كنت أعرف ما الذي تريد منعي من الوصول إليه، وبدأ الغضب يتراكم مرة أخرى. ساعدتني ميليسا قدر الإمكان في تنظيفها، وأعطتها شيئًا من خزانة الأدوية للمساعدة في تخفيف الألم.

أخيرًا، عندما نامت دي قبّلتها على خدها، والتفت إلى ميليسا، وقلت: "يتوجب عليّ القيام بشيءٍ ما، هل يمكنك البقاء معها حتى أعود؟".

بدت ميليسا خائفة، وقالت: "اترك سونغي وشأنه إنه أكبر منك بثلاث سنوات، وأضخم منك بكثير. إن تعرضت له ستسوء الأمور بالنسبة إليك وإليها".

قلت: "لا أريد شيئًا منك سوى البقاء معها". كان صوتي حازمًا. أومأت برأسها، وغادرتُ.

نزلتُ إلى مخزن المعدات، حيث احتفظنا بالآلات والأدوات اللازمة للزراعة، ووجدت ما أنا بحاجة إليه. ثم شققت طريقي إلى غرفة الترفيه الخاصة بأولياء الأمور الذكور. عندما وصلت إلى هناك، كانت المصابيح مضاءة. كان مسموحًا لأولياء الأمور الأكبر سنًا البقاء مستيقظين حتى وقت متأخر بقدر ما يشاؤون، حيث يلعبون النرد للحصول على العملات المعدنية، ويشربون الكحول، وهو الويسكي القوي الذي صنعوه خلف السقيفة، ويتفاخرون بآخر طفل ضربوه. نظروا إلى الأعلى، وأنا أفتح الباب، كان هناك ستة منهم، بدا بعضهم مسرورًا برؤيتي، أما البعض الآخر فبدوا قلقين وكأنهم متورطون في أمر ما.

كان سونغي أول من وقف على قدميه، وقال: "من أنت بحق الجحيم؟". كان ضخمًا، ومفتول عضلات الذراعين.

كانت ملامح وجهه تشي بالسخرية، وقال: "انتظر لحظة... عرفتك". ضحك واقترب مني، وانحنى نحوي مهددًا، وقال: "أنت شقيق تلك العاهرة الصغيرة التي أمسكت بها وهي تسرق الحلوى". وغمزني بخبثٍ، وقال: "مم، كانت...". لم يحظَ بفرصة إنهاء كلامه. أخرجت حارق الليزر من جيبي، وأحدثت شقًا في وجهه. صرخ وسقط على الأرض، وأمسك بعينه ليحول دون خروجها من محجرها..

صرخ سائر الأولياء، وشرعوا يضربون كراسيهم، أما أنا، فلم أحرك ساكنًا، كنت أستشيط غضبًا، وبالكاد كبحت نفسي من مهاجمتهم، وكاد رأسي ينفجر من شدة الغضب، ثم أخذت الأرض تهتز تحت أقدامنا، فما كان منهم إلا أن تراجعوا وهم ينظرون حولهم والخوف في أعينهم،

لقد لوّحت بحارق الليزر صوبهم، وقلت: "كلكم تعلمون ما فعله، فقط جربوني".

عندما توقفت الأرض عن الاهتزاز، كانوا في أمكنتهم، وتجاهلوا صراخ سونغي، وجلسوا على كراسيهم، وعاودوا اللعب، وقال أحدهم ذو الشعر الداكن والمنكبين العريضين بصوت مرتجف: "أراهن بست عملات معدنية على الرقم اثنين"، وتابعوا اللعب وكأن شيئًا لم يحدث. عندما هممت بالمغادرة، كان سونغي يتلوى على الأرض.

بعد ذلك، أُرسل سونغي إلى المعسكرات الزراعية، وكانت الندوب تغطي وجهه الذي أصبح بعين واحدة. لم تسألني دي ماذا فعلت، ولم أخبرها، فلدى كل واحد منا ما يكفي من الأعباء والأسرار. بعد فترة وجيزة قررت ودي الهرب سعيًا وراء حياة أفضل، وتعهدت ألا ألجأ إلى العنف مجددًا. لكن الأمور مختلفة الآن: لقد استخدمت بندقية الليزر على دي، وأريق دمها، ولا أستطيع سماعها مهما حاولت.

فقدت السيطرة على نفسي، وأخذت أرتجف، نظر إليّ الطبيب وهو يعمل، وقال: "إنها حية، على الأقل حتى الآن، هدئ من روعك، لقد أعطيتها القليل من التاستيروم ولوليبايس لأسكن ألمها". لم يكن الطبيب معروفًا بأخلاقياته، لكن الطريقة التي تحدث بها جعلتني أشعر أنها ستكون على ما يرام، بالرغم من أن الظاهر يوحي بخلاف ذلك. توقفت عن الارتجاف، لكن عندما نظرت إلى روغان، شعرت أن جذوة الغضب داخلي عاودت النمو. قلت ببطء وهدوء: "أيها القذر الغبي. إذا ماتت، سأقتلك في القبة أو خارجها".

رمش وازدرد لعابه، فهو يعلم أنني جاد. لم يسبق لي أن شعرت بهذا القدر من الغضب سوى مرة واحدة، وفي تلك اللحظة، عرفت أنني سأنحره وأنا أبتسم، بالرغم من العهد الذي قطعته على نفسي، إن كان هو من سيحرمني من دي، مدّ يديه نحوي ليهدئني، وقال متلعثمًا: "سي، لقد كان كمينًا.. البلوز.. كانوا ينتظرون تريك.. لم أكن أعرف...". قلت: "اصمت يا روغان، لا أريد أن أسمع منك أي شيء، لقد عرفت مدى خطورة ذلك...". قاطعنا الطبيب قائلًا: "توقفا، أو تابعا في الخارج. إنني أقوم بعمل دقيق، وأحتاج إلى التركيز". فوجهنا انتباهنا إليه على الفور.

كان يحمل في يده إبرة خياطة كبيرة. تنهد عندما رأى تعابير الرعب على وجهنا، وقال: "تعطل جهاز الطعوم الخاص بي الأسبوع الماضي، لذلك سأفعل هذا بالطريقة القديمة، إنني بحاجة إلى أقصى درجات التركيز حتى لا أفسد الأمر. ربما يكون من الأفضل أن تغادرا حتى ينتهي الأمر". في الوقت الذي كنا نجتاز فيه المدخل باتجاه المحتشدين في الخارج، قال: "قد تصدر بعض الضوضاء، لا يمكن منع ذلك، لذا جهّز نفسك لهذا".

ارتجفت، وبدا روغان مرعوبًا. هذا جيد على ما أعتقد. الآن سيعرف ما الذي أشعر به، ثم حاصَرنا الحشد، وغمرتنا أصوات القلق. اندفعت العمة ماي نحوي، وضعت يدها على ذراعي، وجذبتني إليها بقوة مدهشة بالنسبة إلى سنها، وسألتني: "ماذا حدث يا فتى؟".

أجبتها: "لا أعرف أيتها العمة، لقد ذهبتُ إلى أولد كي لبيع بعض الحلي، معه". وأشرت إلى روغان، الذي كان يقف جانبًا، واضعًا إحدى

يديه على عينيه، وقلت بغضب: "كان هناك كمين، وتعرضت لأشعة الليزر، لكن يبدو أن روغان بخير".

همست لي قائلة: "لا تلمه، أنت تعرف كم هي عنيدة، ستقول لها عشرين مرة لا، ومع ذلك ستذهب، إن كانت تريد الذهاب".

قلت: "ما كانت لتقدم على ذلك ما لم يقترح روغان". توقفت عندما شعرت بألم حاد في رأسي، كان الطبيب يقوم بعمله.

شعرت بارتباك دي وخوفها، لذلك كبحت خوفي، وأرسلت لها موجات من الهدوء، لم أتلقَ شيئًا منها، وفجأة شعرت بالارتياح، وكأنها أمسكت بيدي، إنها تعرف أنني هنا، حتى وهي فاقدة للوعي. نظرتْ إليّ العمة بفضول، وسألتني: "ماذا؟".

ابتسمت، وقلت: "لا شيء، أنا أثق بالطبيب، ستكون بخير".

7 دي



عندما حل الظلام، حدث شيء سيئ، لكنني لا أتذكر ما هو. فتحت عينيّ، ورأيت امرأة صهباء. تنحني فوقي، وتهمس لي بهدوء. لم أسمع ما قالته لي بالضبط، ولكن عندما نظرت إليها، رأيتها تبتسم، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، حاولت التحدث إليها، لكنها داعبت جبهتي، وقالت: "اصمتي الآن يا حبيبتي". سقطت دموعها على وجهي بينما كانت تقبلني، ثم بدأت تبتعد، حاولت اللحاق بها، لكنها تلاشت في الظلام. صرخت في حسرة، ثم سمعت صوتًا يقول: "دي، دي، كل شيء على ما يرام، أنا هنا. توقفي عن الحركة، وإلا ستفتحين الغرز". إنه صوت سي، فتحت عيني هذه المرة، لكن كل ما استطعت رؤيته هو الأرضية. لماذا؟ ثم أدرت رأسي فرأيته يجلس على الكرسي إلى جانبي، نهض وتوجه إلى الطاولة، وشغل المصباح الشمسي.

بدا لي سي قلقًا بالرغم من أن الضوء الذي انبعث من المصباح كان ضعيفًا، قلت: "سي". بدا صوتي ضعيفًا وخشنًا. كافحت من أجل النهوض، لكنني شعرت بألم شديد. انقلبت على جانبي حتى أراه، وقلت: "ما الذي حصل؟".

قال لي: "لم يحصل شيء سوى وقوعك في كمين، نصبه البلوز لمجرم معروف، لقد أطلقت عليك النار من بندقية ليزر، ومن حسن الحظ أنك لا تزالين حية".

بدا سي غاضبًا، وعندما تواصلت معه، تأكدت من غضبه، ولكنه بدا في غاية الراحة. مددت يدي، فتلقفها، وضغط عليها ليطمئنني كعادته. ثم تذكرت فجأة قنبلة الفلاش، والبلوز، وتريك على الأرض، وروغان. أين هو روغان؟

آخر شيء أذكره هو تعرضي لليزر، ماذا لو أُصيب هو الآخر؟ قلت: "سي، أريد أن أرى روغان، حالًا، أين هو؟ هل هو بخير؟".

سحب سي يده من يدي، وقال: "لا تحدثني معي عن روغان، إنه بخير، وكدت تموتين بسببه".

قلت بحزم: "أنت تعرف أن ما تقول ليس صحيحًا، لقد كانت فكرتي بقدر ما كانت فكرته، أنا لست طفلة تفعل ما يقوله لها الآخرون".

قال: "حسنًا، أتمنى أن تفعلي ذلك من حين إلى آخر. لو أنك استمعت إليّ، ربما ما كنت مستلقيةً هنا بظهرك الممزق، كدت أموت من القلق عليك".

فجأةً تغلب عليّ الألم والإرهاق. كان سي محقًا، فهذا غير منصف له. ربما ما كان يجدر بي التجول في أولد كي وبحوزتي ماسة، وأن أتعامل مع شخص سيئ السمعة مثل تريك، وأظن أنني سأبقى بخير.

شعر سي بندمي، وألمي، فوقف، وقال: "سأجلب الطبيب، وروغان".

فكّرت بالمرأة التي رأيتها في الحلم، من كانت؟ بدت مألوفة، ولم يبدُ الحلم منفرًا. في بعض الأحيان، عندما كنت على وشك الاستيقاظ من نوم عميق، كنت أشعر بشخص يداعب جبهتي، أو بالدموع على وجهي، ولكن عندما أفتح عينيّ لا أجد أحدًا. لم يسبق لي أن أخبرت سي عن ذلك، ولكنني أعتقد أنه شعر بذلك، ولكني لم أعرف بالضبط كيف أشرح له ذلك.

ولكني اليوم، رأيت الوجه الذي كنت أشعر به، ولكنه وجه من؟ دخل روغان وتبعه سي والطبيب، تناسيت حلمي. سألني روغان فرحًا: "هل استيقظتِ يا دي؟ كيف تشعرين؟".

ضحكت وسألته: "ما رأيك؟ إنني أشعر أنني مُضغتْ، ثم بُصقتْ، ثم خُيطتْ بخيط صيد".

قال الطبيب: "هذا ما حدث تقريبًا". ثم نظر إلى سي وروغان، وأكمل: "حان الوقت لجرعة أخرى من لوليبايس، يجب أن ترتاحي، يمكنكما البقاء لدقيقة، ولكن دون أي شجار، هل تسمعانني؟".

نظرتُ إلى سي وروغان، فبدوا لي خجلين ومتوترين، في الوقت الذي أعطاني فيه الطبيب قرصًا وكوبًا من الماء بداخله ماصة معدنية. وضعت القرص في فمي، وبدأت بالشرب، وقلت بقرف: "ياه". سُعلت وأكملت: "لم تقل إن هذا كان تاستيروم. مقرف".

أمرني، قائلًا: "اشربيه كله، يجب أن تبقي مخدرة لبعض الوقت حتى يتاح لي تغيير ضماداتك، وربما أقوم بشيء من الترميم، على حسب...".

تأوهت: "إنني ممتنة لك، ولكن إلى متى يجب أن أبقى هنا؟".

قال: "يومان على الأقل، لقد فقدت كثيرًا من الدماء، وأنت بحاجة لفترة حتى تستعيدي قوتك، نامي الآن".

بالفعل، كنت أشعر بالنعاس، نظرت إلى سي وروغان، وسألتهما: "هل ستبقيان معي؟ عندما أستيقظ، أريد أن أسمع المزيد عن الشجار الذي تحدث عنه الطبيب".

قال سي وهو ينظر باهتمام إلى روغان: "لم يكن شيئًا مهمًا". أومأ روغان برأسه، وسحب كرسيًا ليجلس بجواري. عندما بدأ كل شيء يصبح ضبابيًا بسبب كوكتيل تاستيروم، شعرت أن أحدهم يمسك يدي. في البداية اعتقدت أنه سي، لكن كان شعورًا مختلفًا. ابتسمت، قبل أن أنام مرة أخرى. في المرة التالية التي فتحت فيها عينيّ، كانت الخيمة مظلمة، باستثناء ضوء القمر الذي مرّ عبر الثقوب في قماش الخيمة، شعرت بشيء من خيبة الأمل، تمنيت أن يتاح لي رؤية تلك المرأة مجددًا، لكن نومي هذه المرة كان من دون أحلام، استطعت سماع صوت أنفاسي، وفي الوقت الذي كانت فيه عيناي تتكيفان مع الظلام رأيت سي وروغان نائمين على كرسيين، وقد ألقى الأول رأسه إلى الخلف، بينما أسند الثاني رأسه إلى يده.

شعرت وكأن فمي محشو بالقطن، وشعرت بالعطش الشديد لشيء آخر غير تاستيروم. حاولت أن أنقلب إلى جانبي ومعرفة إن كان هناك ماء بجواري، قبل أن أوقظ سي، وأطلب منه إحضار الماء. كنت

محظوظة، لأن هناك إبريقًا وكوبًا على المنضدة بجوار سريري، لا بد أن الطبيب وضعهما هنا قبل أن يغادر. استدرت قليلًا؛ ما زلت أشعر وكأن ظهري قد مُزق بمفرمة لحم، لكن الألم كان محمولًا.

كنت أسعى للوصول إلى الإبريق عندما أدركت أن ظلًا في زاوية الخيمة قد تحرك. تجمدت يدي في مكانها. ماذا لو أن البلوز عادوا لإنهاء المهمة، وقتل سي وروغان؟ لكن عندما حدقت، أصبح من الواضح أن الظل كان واسعًا ومستديرًا ومألوفًا إلى حدّ ما. همست، قائلة: "أس-سام؟". عندها تقدم من سريري، وحمل الإبريق وسكب لي كوبًا من الماء، وأعطاني إياه بصمت. راقبته وأنا أشرب، بدا بحالة يُرثى لها، كئيبًا وأكثر شحوبًا من العادة. كانت ملابسه متسخة ومُمزقة، وكانت يده التي أعطاني بها الكوب مجروحة وهي تنزف. سألته بهدوء: "أين كنت؟". كان هناك مجموعة من الأسئلة تدور في ذهني، لكن لم يكن هناك فائدة من طرح أكثر من سؤال في وقت واحد على أس- سام. ازدرد لعابه، وأجابني: "ألاحق...".

بدا وكأن صوته يختنق. يبدو أن أحداث اليوم الأخير قد أثرت عليه لدرجة أنه بالكاد يستطيع التحدث، وهو الذي كان بالكاد يتحدث من قبل. أكملت الجملة عنه: "تلاحق البلوز وتريك؟".

أومأ برأسه موافقًا.

سألته، وأنا أحاول التظاهر بالهدوء: "أين ذهبوا؟".

كنت أعرف المكان الذي اقتادوا تريك إليه، وشعرت بالرعب. قال بصعوبة: "ق-ق-ق-ق...". كما لو أنه يحاول ألا يبكي.

قلت: "القبة؟". أومأ أس- سام برأسه، عندها تسارعت ضربات قلبي. لم أكن على معرفة جيدة بتريك، ولكن لم يكن هناك مكان أسوأ من القبة يمكن للمرء أن يُقتاد إليه. لقد كانت حيلة قاسية انطلت علينا جميعًا من قبل حكومة كانت مهتمة بالأرباح أكثر من الناس. يمكنك قتل شخص ما في أدناك، لكنك لن تذهب إلى القبة إلا إذا فعلت شيئًا خطيرًا حقًا، مثل قتل شخص مشهور، أو ثري قوي، أو قمت بعمل خطير مشابه، ماعدا ذلك كنت ستختفي فقط. وهذا أيضًا ما يحصل للأشخاص الذين يحتجون ضد الحكومة. لم يكن هناك جدوى من اصطحابهم إلى القبة، لأن ذلك لن يؤدي إلا إلى مزيد من الاحتجاجات. لقد كانت القبة مخصصة للسرقة والجرائم الصغيرة الأخرى.

كانوا أغنياء وكنا فقراء؛ بالنسبة إلى الحكومة، هذا هو التصنيف الطبيعي، ويجب أن يبقى على هذا النحو، لذلك كان لديهم مكانة خاصة في قلوبهم السوداء للصوص، وبائعي السوق السوداء. بالطبع، لم يسرق الأحرار أي شيء من بعضهم - لم يكن لديهم (أي شيء) ذو قيمة- ولم ينتهك الأعراف إلا عدد قليل من الأشخاص، أما واضعو اليد، فهم موضوع آخر، وكان ترك الخيمة من دون حراسة، تصرفًا غبيًا شبيهًا بترك قطعة نقود معدنية وسط الطريق والمضي قدمًا، وكان الجميع موافقين أن في هذا شيئًا من العدل والإنصاف.

الأحرار الوحيدون الذين استثنوا من هذا هم أشخاص مثل الطبيب، الذي يقدم خدمة ضرورية، أو كبار السن مثل أولد ماك، والعمة

ماي، اللذين يحترمهما الجميع. لكن سرقة الأثرياء؟ كانت تقود إلى القبة. وضع أس- سام وجهه بين يديه، وصرخ، وبكى.

تحرك سي وروغان، ثم قفز سي من كرسيه، وقال: "ماذا الذي يحدث؟ ماذا تفعل هنا؟". وهجم نحو أس- سام، الذي تراجع حاملًا إبريق الماء كسلاح.

صرخت: "سي، انتظر"، ثم تأوهت عندما شعرت مجددًا بالألم في كتفي وظهري وقلت: "إنه أس- سام ولديه معلومات عن تريك". غرقت في سريري، حيث توقف سي في مكانه، وأعاد أس- سام الإبريق إلى الطاولة، وجلس على كرسي في الزاوية، وهو يجد صعوبة في التنفس.

شغّل روغان المصباح، واتجه نحو أس- سام بقلق، وقال: "ماذا حدث؟ ما هو مقدار الوقت الذي لاحقت فيه تريك؟ ماذا تقول عصابة الأطفال؟". أمطره روغان بالأسئلة بينما كان أس- سام يحدق إلينا جميعًا، ويكافح للتحدث.

صاح سي بغضب: "من يهتم بتريك؟ لولاه ما كانت أختي مستلقيةً هنا على وشك الموت".

ضحكت بضعف: "أنا لست على وشك الموت، لا تكن دراميًا. ليعطي أحدكم أس- سام بعضًا من تاستيروم، فربما يساعده على إرخاء لسانه".

أومأ أس- سام برأسه بلهفة، فسكب له روغان كوبًا من الماء، شرب وعندما انتهى تنهد، وأسند ظهره إلى الكرسي، وأغمض عينيه. انتظرنا من دون أن نقول شيئًا، وفي النهاية قال: "شكرًا لكم"، من دون أن يفتح عينيه.

سأله روغان: "والآن، هل يمكنك أن تخبرنا بما حصل؟ هل اقتادوا تريك إلى القبة"، بينما تراجع سي إلى كرسيه، وهو لا يزال غاضبًا.

أومأ أس- سام برأسه، وقال متلعثمًا: "نعم، إنه في البرج. قال جوزيه لسيريدوين أن بعض البلوز خرجوا محتفلين، وهم يقولون: لقد اصطدنا أخيرًا الحشرة الصغيرة، سيكون قتالًا حتى...".

أكمل روغان عنه، غاضبًا: "... الموت؟ من أجل السرقة؟ إنه مجرد طفل. هذا جنون". كان يسير في الخيمة، ويلكم الهواء بقبضته. حدق أس- سام إليه. بدا منهكًا تمامًا بسبب المجهود الذي بذله للتحدث.

قلت بهدوء: "أس- سام، لماذا لم تُحضر سيريدوين معك؟ كي تخبرنا بما تعرفه".

أومأ أس- سام برأسه، وحاول النهوض، لكنه بدا مترنحًا قليلًا بسبب التاستيروم، لكن هذا كان أفضل من الصدمة التي كان يعاني منها عندما رأيته للمرة الأولى. خرج من الخيمة بهدوء، واختفى في الظلام.

8 سي

صرختُ بعد أن ابتعد أس- سام: "سيريدوين. الساحرة البيضاء؟ وكأنه ليس لدينا مشاكل كافية". لوّحت دي بيدها، وقالت: "إنها ليست سيئة للغاية... بمجرد أن تعتاد عليها. خاصة إن كانت تعرف ما حدث لتريك...".

صرخت: "ما الفرق الذي تحدثه معرفة ما حدث لتريك؟ لا علاقة لنا به بعد الآن، يفترض بك أن تكوني ممتنة أنك لا تزالين على قيد الحياة، واتركي الأمر عند هذا الحد".

وضع روغان إحدى يديه على ذراعي، وقال: "هدّئ من روعك يا سي، من المهم أن نستمع إلى سيريدوين". فدفعته بقوة.

قلت: "كلا، أنا...". وتوقفت قليلًا لأن موجة من الألم عبرت رأسي. كانت دي تكافح من أجل الجلوس، وترتجف من التعب.

قالت دي: "روغان مُحق، يا سي. من المهم الاستماع إليها. أولًا، علينا معرفة ما إذا كان البلوز يبحثون عنا أيضًا. ثانيًا، علينا معرفة كيف نساعد تريك".

قلت: "مساعدة تريك؟ هل أنتِ مجنونة، أو أن تاستيروم واللوليبايس أفسدا عقلك تمامًا؟".

كنا نتبادل النظرات في صمت، ألمها يملأ رأسي، وغضبي يملأ رأسها. كانت الأمور تزداد تعقيدًا، وكنت بحاجة إلى التفكير بعيدًا عن مصادر التشتيت التي تسببها معاناة دي، وروغان الذي يسير في الخيمة، ووصول سيريدوين الوشيك. أخيرًا قلت لأكسر الصمت: "حسنًا، يجب أن أعود إلى خيمتنا لبعض الوقت، إن أخت نوني تحرسها منذ ساعات، ويجب أن تستريح".

بينما كنت أخرج من الخيمة. قالت دي: "انتظر". بدت خائفة، وأكملت: "ستعود، أليس كذلك؟". تلاشى غضبي وأخفضت صوتي، وقلت: "بالطبع سأعود قبل أن تأتي سيريدوين، وسأجلب أدوات النحت الخاصة بي. ربما أفعل شيئًا مفيدًا في الوقت الذي تتماثلين فيه إلى الشفاء". أرسلت لها موجة من الطمأنينة، وعندما نظرت إلى عينيها بدت لي أفضل حالًا.

بكت، وقالت بمرارة: "لن يكون هناك مأدبة، لقد أفسدتُ كل شيء مرة أخرى".

عدتُ وجثوت إلى جانبها، وقلت: "لا، لم تفعلي، إنها ليست غلطتك". نظرت بحدة إلى روغان، لكني منعت نفسي من قول أي شيء آخر. ابتسمت لدي، وقلت: "سنحصل على مأدبتنا، أنا متأكد من أنني رأيت علبة حساء في قاع المبرد..".

ضحكت بهدوء، وقالت: "اخرج أنت وطعام القطط خاصتك"، ثم غرقت مرة أخرى في سريرها وتأوهت بضعف.

خرجت إلى الظلام، وتنفست بعمق، وبدأت أشق طريقي عبر

صف الخيام. كل شيء كان مظلمًا ولا يزال القمر يختبئ خلف الغيوم. سمعت من بعيد نباح كلب بري. يقولون إنه منذ زمن بعيد، اعتاد الناس، فقراء وأغنياء، على تربية الكلاب كحيوانات أليفة من أجل الرفقة، ولكن الآن لا يستطيع سوى الأثرياء إهدار الطعام على حيوان، لكنهم يفضلون الصغيرة منها التي يمكنهم حملها في حقائبهم، والكائنات الصغيرة القذرة التي تشبه الفئران المنفوشة، التي تأكل فتات اللحم الرقيق من أيدي أصحابها، اللحوم التي لن يتذوقها الأحرار أبدًا. أنا أفضّل الكلاب البرية التي تتحرك عند أطراف ديفينيتي، إنها كبيرة وجريئة. أرغب في الحصول على كلب من هذا القبيل، كلب مناسب، لكن الكلاب أصبحت عصية على الترويض، ولم يعد لديّ ما يكفي من الطعام لأتناوله أنا ودي. لكن لا يزال بإمكاني نحت كلب...

فجأة، قاطع صوت ما أفكاري، كان شبيهًا إلى حدّ كبير بصوت الكلب البري، ولكنه كان صوتًا خفيفًا. تجمدت، وعادت إلى مخيلتي قصص وحوش الفيراغ التي تتحرك في الظلام بحثًا عن الدم. كنت على وشك الركض مذعورًا إلى دي، عندما ظهر عدة أشخاص من بين الخيام. كانت أسرة واضعي اليد الذين رأيتهم صباحًا، تشق طريقها ببطء عبر ديفينيتي، باحثة عن مأوى. كان الطفل يئن بهدوء، متعبًا وجائعًا لدرجة أنه لا يستطيع البكاء، وكانت الأم تنظر إليّ بعينين حزينتين. تمنيت لو كان لديّ شيء ما لأقدمه لهم، على الرغم من تحذيرات دي. فجأة، تذكرت مالك الحزين، المنحوتة التي أنهيتها قبل إصابة دي. تحسستها في جيبي، وقبضت عليها. شعرت بالسلاسة والقوة، وعرفت

أنني كنت أتخلى عن الكثير من العملات المعدنية. ذهبت إلى الرجل وأعطيته إياها، فنظر إليّ خائفًا، واختبأت المرأة خلفه مع طفلها، قلت له: "خذ هذا، يمكنك استبداله ببعض الأطعمة في متجر بلاوبلاو".

همس الرجل: "لماذا؟".

أجبته: "لم لا؟".

ارتعشت يده وهو يأخذ مالك الحزين مني، ثم وضعه داخل معطفه بقلق، وكأنه يخشى أن أُبدّل رأيي. قال بصوت آسر: "شكرًا لك".

شاهدتهم يبتعدون متجهين إلى مقصدهم. قبل أن يغيبوا عن الأنظار، رأيته يمسك بيد المرأة، ويقبّل رأس الطفل. على الأقل سوف يأكلون الليلة. كنت أعلم أنه لا يمكنني إخبار دي بذلك، فهي لن تتفهم وجهة نظري، فأنا أستطيع دائمًا أن أنحت مالك حزين آخر الآن بعد أن عرفت كيف شكله. في الواقع، من المحتمل أن أفعل ذلك الليلة، قبل وصول سيريدوين. ثم غمرني الرعب مرة أخرى، فهم لم يطلقوا عليها اسم الساحرة البيضاء عبثًا، وفكرة وجودها في الخيمة نفسها معي أنا ودي جعلتني أرتجف. قال بعض الناس أن والدها كان من الفيراغ، وقال آخرون أن والدتها كانت من الفيراغ، في كلتا الحالتين، كانت... مخيفة. قال أولد ماك إنها كانت شيئًا يُدعى (البينو)، وهو يعني أن شعرها أبيض وبشرتها بيضاء، وكانت عيناها زرقاوين وشفافتين. ودائمًا ما كانت ترتدي عباءة سوداء بغطاء رأس ملفوف حول وجهها، لأنه على عكس معظم الأحرار، الذين كانت بشرتهم بدرجات متفاوتة من السمرة إلى البني الداكن، إما بشكل طبيعي أو بفضل الشمس القاسية، كانت بشرتها شاحبة للغاية لدرجة أنها تحترق بسهولة شديدة. لكن لم يكن

مظهرها هو الشيء المزعج؛ في الواقع، كانت جميلة نوعًا ما بطريقة جامحة. ولكنها تحدثت بالألغاز، في اللغة القديمة، وقال الناس إنها فاي. سألت أولد ماك ذات مرة عن معنى كلمة (فاي)، فأجابني أن الفاي هم القادمون من الأرض القديمة، يعلمون الكثير، ويمتلكون قوىً خارقة. عندما أخبرته أن الناس قالوا إن سيريدوين كانت من الفاي، ضحك وقال: "لا يا فتى، تلك الفتاة مجرد شاحبة مجنونة من الفيراغ". لكنه بدا غير مرتاح وغيّر الموضوع. وصلت إلى خيمتنا، وأنا أفكّر فيها.

كانت الخيمة مضاءة من الداخل بنور خافت، ناديت بهدوء: "سارة، أنا سي". بعد لحظة، انفتحت الخيمة قليلًا، واسترقت سارة النظر، بدت ناعسة، ولم يكن شعرها مرتبًا، قالت: "أوه، أوه، لقد عدت. كيف حال دي؟".

أجبتها: "يعتقد الطبيب أنها ستنجو، لكنها أُصيبت بأذىً شديد. أتيت لأرى إن كنتِ بخير، ولأخذ بعض الأشياء".

أجابت: "أنا بخير"، وفتحت باب الخيمة بشكل أوسع، وسمحت لي بالدخول، وقالت: "خيمتكما جميلة جدًا، لقد أكلت الخس الخاص بك، لم يسبق لي أن تناولته".

ضحكت، وقلت: "لا بأس. هذا أقل ما يمكنني تقديمه لك مقابل بقائك هنا، كان طعمه أفضل عندما كان طازجًا".

ضحكت، وتجعّدت عيناها البنيتان بطريقة لطيفة: "ما كنت لأعرف الفرق، على أي حال، أنا سعيدة لأن دي بخير. أنا معجبة بها، لديها... روحٌ جميلة".

قلت: "ماذا يقولون عن ذلك في هذه الأيام؟ ربما يقولون كادت (روحها) أن تقتلها".

جلسنا في صمت، ثم عرضت عليّ: "يمكنني البقاء قدر ما تشاء، من الجيد أن يكون لديك مكان هادئ تقيم فيه، أنا أحب نوني، لكنها تحتاج إلى مساحتها الخاصة ولتيل جيمي".

ابتسمت، وقلت: "حسنًا، لن تتمكن دي من المشي قبل يومين، لذا فأنت مرحب بك هنا". نهضتُ وذهبت إلى طاولة عملي، وقلت: "لقد جئت فقط لأخذ أدوات النحت الخاصة بي، لا بد لي من العودة الآن، فسيريدوين قادمة".

جحظت عينا سارة، وقالت: "الساحرة البيضاء؟ لماذا؟".

قلت: "أخبرنا أس- سام أن لديها معلومات عما حدث لتريك، وتعتقد دي أننا يجب أن نساعده، وهي مقتنعة بأن سيريدوين ستعرف كيف". ضحكتُ بسخرية، وأكملت: "أما أنا، فأشك في ذلك".

حذرتني سارة، وقالت: "لا تتعامل مع الأمر باستخفاف، سبق لي أن قابلتها في السوق المخفية، عندما استدارت فجأة وخاطبتني قائلة: "لا تُقرضي، ولا تقترضي". في وقت لاحق من ذلك اليوم، جاءني ليتل جيمي قال إن هناك لعبة للأغنياء تُقام في الكاسينو، وأنه إذا أعطيته المال الذي كنت أدخره منذ شهور، فسيعود بمالٍ أكثر. تجاهلتُ ما قاله لي، لكن كان يجب أن أستمع إليها. لقد خسر كل شيء، بما في ذلك المال الذي كنت أدخره، وغضبت مني نوني كثيرًا".

ضحكت، وقلت: "لو أرادت أن تساعد فعلًا، كانت تستطيع أن تخبر ليتل جيمي أنه ليس جيدًا في اللعب، كي لا يهدر الأموال، ولكنها

كانت ستقول ذلك بطريقة ملغزة لن يفهمها جيمي، لذا...". أشاحت سارة بنظرها بعيدًا عني، وأومأت برأسها موافقةً، وقالت: "إنه طيب، أنا أعلم ذلك، لكنه لا يفكر بشكل صحيح دائمًا. أيًا يكن الأمر، لو كنت مكانك، كنت لأستمع إلى ما ستقوله الساحرة البيضاء، إنها من الفاي".

قلت لها: "هذه مجرد قصة، وماذا لو قالت إنه يتوجب علينا الذهاب إلى البرج ومساعدة تريك على الهروب؟ أنتِ تعلمين أن دي ستفعل ذلك. إنها تشعر أنها كانت السبب في القبض عليه، لن تفكر مرتين قبل أن تذهب، وربما ستتسبب بمقتلنا جميعًا".

قالت: "لا تقلق، سي. أختك ليست متهورة، ستكون حذرة إلى جانب ذلك، ليست في وضع يسمح لها بالاندفاع لإنقاذ أي شخص".

اقتربَت مني واندفعت تعانقني، فبادلتها العناق مندهشًا، ثم ابتعدت ضاحكة، وبدت محرجة عندما قالت: "اذهب الآن، عد إلى أختك، وأخبرني ما الذي ستقوله سيريدوين".

جمعتُ أدواتي، وابتسمت، وأومأت برأسي، ثم غادرت الخيمة. كانت هذه المرة الثانية التي أقف فيها في الظلام الدامس خلال أقل من ساعة. استنشقت هواء الليل، لكن رائحة شعر سارة البني الجميلة لم تبارحني. في طريقي إلى خيمة الطبيب، عاود القمر الظهور من خلف الغيوم، ورأيت القبة من بعيد، وكانت تلمع تحت ضوء القمر. في الأفق لاح البرج، مثل منارة مروعة. البرج عبارة عن هيكل شاهق الارتفاع، ويمكن رؤيته من مسافة بعيدة مثل منطقة البحيرة. إنه بناء يذكّر دائمًا بقوة الاتحاد، فقد دافعت قواتهم عنه بشراسة ضد غزو الفيراغ، وفي

الوقت الذي ألحقت فيه الحرب أضرارًا ببقية المدينة، وهدمت مناطق شاسعة، صمد البرج، وبالكاد أصيب بأضرار. وهو يُستخدم منذ ذلك الحين مركزًا رئيسيًا للاتصالات، ومركز قيادة الاتحاد في مقاطعة تريليوم، وهو الآن متصل بسبعة أبراج أخرى على الأقل عبر أدناك، ويستخدم أيضًا من أجل إيواء السجناء قبل نقلهم إلى القبة.

إن كلمة (مأوى) هي كلمة سيئة لوصف ما يحدث، حيث يُحتفظ بمعظم السجناء العاديين في داخله، لكن السجناء الخاصين، أولئك الذين من المقرر أن يقاتلوا حتى الموت، فيحتفظ بهم في منصة في الهواء الطلق خارج الجزء الرئيسي من البرج، على ارتفاع نصف كيلومتر تقريبًا. في بعض الأحيان يبقون هناك لفترة قصيرة من الوقت، يعانون من البرد حدّ التجمد أو الحرارة حدّ الاختناق لبضعة أيام قبل نقلهم إلى القبة. ولكن في بعض الأحيان، قد يبقون لأسابيع أو أشهر عندما يستغرق الأمر وقتًا طويلًا للعثور على خصم.

في المنصة الخارجية، لا يمكن التوقف عن التفكير في الموت حتى أثناء النوم، ولا يمكن للمرء إلا أن يتضرع للإله حتى لا تلقي به الرياح القوية عن الحافة. لقد سمعت قصصًا عن أشخاص أُحضروا إلى القبة، وهم يهذون بالبرج. فجأة، استحضر عقلي صورة تريك على المنصة، صغير ويرتجف في هواء الليل، فهو أصغر مني سنًا، وفهمت ما كانت تعنيه دي. وصلت إلى الخيمة، ودخلت بهدوء فربما كانت دي نائمة. ولكنها لم تكن كذلك، بل كانت مستيقظة وكانت سيريدوين تجلس إلى جانب سريرها.

9 دي

بعد أن غادر سي، غفوت قليلًا، وتردد صدى كلماته في رأسي. لماذا لا يرغب بمساعدة تريك؟

لطالما كان سي الحذر بيننا، فهو لم يسعَ ليكون مكشوفًا، وأرادنا أن ننغلق على أنفسنا. لقد كره المجازفة، ورضي بالحياة البائسة التي نحياها. حتى في دار العمل، كان يسعى دائمًا لتبرير تصرفاتي، ويقول للناس: "أوه، لم تكن تعني ذلك". أو يختلق الأعذار لكل من يظلم. أعرف أنه كان يسعى بطريقته تلك لحمايتي، ولكن عند نقطة ما يطفح الكيل، ويصبح المرء مجبرًا على الدفاع. قد يكون تريك وسيطًا، ورئيس عصابة، لكنه في الثالثة عشرة من عمره، ولم يكن قاتلًا، وبالتالي لم يكن يستحق الموت بسبب بعض الحلي. كيف يمكنني أن أجعل سي يدرك أنني أتحمل مسؤولية ما حل بتريك؟ فجأة، سمعت ضجيجًا، يشبه صوت أقمشة في مهب الريح، ورأيت وميض ضوء مصباح شمسي. سمع روغان ذلك أيضًا، فنهض عن كرسيه عندما فتح أحدهم باب الخيمة، وظهر ظل شخص طويل.

سأل روغان: "من أنت؟".

دخل الشخص إلى الخيمة، وتكلم من خلف غطائه الأسود، بصوت منخفض، وقال: "أصدقاء هذه الأرض، سيدة البيت المحترمة، والتي هي؟".

تبادلت وروغان النظرات وسألت: "هل أنتِ سيريدوين؟"

فأجابت: "ومن غيري".

قلت: "آه، نعم". وأنا أحاول معرفة إن كانت تتحدث إليّ أو إلى روغان".

خاطبتها: "يقول أس- سام إن لديكِ معلومات عما حدث لتريك".

قالت: "يا إلهي، إن أهدافنا مشتركة، ويحزنني أن أكشف عما لديّ من أخبار". كانت طريقتها غريبة في الكلام، سألتها: "هل تعرفين ماذا حدث لتريك؟ قال لي أس- سام إنه مُحتجز في البرج".

أومأت وقالت: "أشفقي أيتها الحجارة القديمة، على هؤلاء الصغار الذين وضعهم الحسد داخل أسوارك، ودعينا نرَ البرج، من سيموت هو من سيدفع الثمن". قابلت عيناها الزرقاوان الخارقتان عينيّ بينما جلسَت على الكرسي بجانب سريري.

قلت: "لم أفهم، لماذا سيحكم نائب الحاكم على تريك بالقتال حتى الموت؟ لقد قبض عليه وبحوزته بضائع مسروقة، وهي لنا، وليست له".

قبل أن تجيب، سمعت شهقة قوية فأدرتُ رأسي. إنه سي يقف عند المدخل، يحدق إلى سيريدوين التي تلتحف عباءة سوداء. عندما نظرت سيريدوين إلى سي، أزلت غطاء العباءة عن رأسها ببطء، كاشفة عن شعرٍ ناصع البياض، ووجه جان. ما من ألوان في جسدها سوى أحمر شفتيها وأزرق عينيها، وكل ما عدا ذلك أبيض بما في ذلك بشرتها ورموشها وحاجبيها. دخل سي الخيمة، راقبته لبرهة ولم تنبس ببنت

شفة، ثم التفتتْ إليّ، وقالت: "إذا تم عرض هذا على خشبة المسرح الآن، كنت سأقول أنه خيال غير محتمل".

بدا روغان مرتبكًا، وقال: "أنا لا أفهم..."

قال سي: "أعتقد أنها تعني أنها لا تستطيع تصديق ذلك".

ابتسمت له سيريدوين، وأومأت برأسها، ثم أكملت: "لماذا لا تدل ملامح هذا الشاب على القسوة؟ هذه حماقةٌ شديدة".

ترجم سي قولها: "لم تكن جريمته خطيرة بما يكفي ليحكم عليه بالإعدام، إنه ليس طفلًا سيئًا، وكل هذا مجرد جنون". ابتسمت سيريدوين ابتسامة عريضة، ومدت يدها، تردد سي قبل أن يمسك بها. عندما تلامست يداهما، رفعت حاجبيها الباهتين بعض الشيء، وقالت له بهدوء: "نحن نعرف ما نحن عليه، لكننا لا نعرف ما قد نكون". ثم أفلتت يده.

نظر سي إليها مستغربًا، في غضون ذلك نظرت إليّ مرة أخرى وعبست، ثم قالت: "هناك شيء في هذا الأمر غير طبيعي، إذا تمكنت الفلسفة من اكتشافه".

وافقها سي قائلًا: "يبدو الأمر أكبر مما هو عليه، ولكن ما هو؟ لماذا يهتم نائب الحاكم بشخص مثل تريك؟".

فكّرت سيريدوين لدقيقة، قبل أن تخاطبني: "ماذا الذي يجري بينكما؟ قولي لي الحقيقة".

قلت: "أتقصدين ماذا حدث؟ حسنًا، سرقتُ وروغان بعض الحلي من أحد الأثرياء. أردنا بيعها، فأخذنا أس-سام إلى أولد كي لرؤية تريك، وعندما كنا على وشك إنهاء الصفقة، هاجمنا البلوز، أمسك أحدهم بتريك، ودعاه بأحمق مدينة الخيام والخائن، بعد ذلك طعن

روغان أحدهم في ساقه، وتمكنا من الفرار، لكننا تركنا تريك وراءنا. من المستغرب معرفتهم بمكان اجتماعنا. لقد كان كمينًا".

سأل سي: "لماذا ينادون تريك بالخائن لمجرد أنه يبيع الحلي؟".

قطبت سيريدوين حاجبيها، وقالت: "ومع ذلك، فإن سوء ظنكم لا يمكن أن يجعلني خائنة، الشرف هو موضوع قصتي، دعونا نُهزم إذا لم نستطع القتال - والتحالف مع الدومينيون".

تبادلنا جميعا النظرات وبدونا مصدومين، صاح روغان: "شرف؟ قتال؟ دومينيون؟ هل تقصدين أن تريك... جزء من الدومينيون؟".

هناك أسطورة، تتحدث عن وجود جماعة الدومينيون المتمردة تحت الأرض، حتى الآن لم يعرف أحد هل هم موجودون فعلًا. كانت هناك شائعات عن انتفاضات في مدن الخيام الأخرى، وتردد صدى القنابل في بريدباسكيت، وحدث عصيان في القبة في مونت رويال. لكن تلك كانت شائعات فقط، لم نعرف شخصًا متحالفًا مع الدومينيون، كما أننا لم نعرف أحدًا من الدومينيون، فلم يجرؤ الناس أن يتحدثوا عن الدومينيون أو يعترفوا بوجودهم.

نظرت سيريدوين إلينا بثبات، وأومأت برأسها، وقالت: "أقسم بالبراءة، وبشبابي، أن لديّ قلبًا واحدًا، وحضنًا واحدًا، وحقيقة واحدة".

أكدت لها: "نحن نصدقك، لكن كيف نساعد؟ مع من نتواصل؟".

قالت سيريدوين: "عمة أرملة، ذات دخل كبير، وليس لديها أطفال".

نظر روغان إلى سي، وسأل: "من يمكن أن تكون؟".

هزّ سي كتفيه، وقال: "لست متأكدًا، امرأة كبيرة في السن، أرملة، لديها بعض المال وليس لديها عائلة، ماذا بشأن العمة ماي؟ لا أعلم أنها

تملك الكثير من المال، لكنها تكسب ما يكفي في كشكها لتعيش، وقتل زوجها في حروب الفيراغ، ولا أعلم أن لديها أطفالًا".

ابتسمت سيريدوين، وأومأت برأسها، ثم عادت الجدية لترتسم على ملامح وجهها، وقالت: "لكنكم ستحفظون السرّ؟ لا تخبروا أحدًا عما رأيتموه الليلة".

قلت: "بالطبع، لن نقول شيئًا، لكن هذا مهم حقًا، على الأقل يمكننا الآن إيجاد طريقة لمساعدة تريك". نظرت إلى سي، بقلق، وقلت: "أعلم أنك لا تعتقد أنها فكرة جيدة يا سي، لكن ليس لدينا خيار آخر".

أجاب: "في الصباح، سأتحدث إلى العمة ماي، ولا يمكنني أن أعد بشيء آخر، فلا ترفعي آمالك. كما أن حالتك الصحية لا تسمح لكِ بحمل السلاح والتمرد، أنت بحاجة إلى الراحة لكي تشفي".

مجددًا شعرت بالنعاس، وأخذ الألم يزداد حدة، وقلت: "ربما كنت محقًا حاليًا". نظرت إليه مباشرة لأقول له ما من شيء سيثنيني عن ذلك، ثم وضعت رأسي على السرير بضجر.

نهضت سيريدوين، وارتدت رداءها، ولفت الغطاء حول وجهها. وقالت: "الليلة، ناموا واحلموا بالحدث، وداعًا". أنهت جملتها، وخرجت من الخيمة، وابتلعها الظلام.

للحظة تبادلنا النظرات بصمت وذهول. قال روغان: "حسنًا، كان هذا مثيرًا".

قلت: "لم يسبق لي أن تحدثت إليها، إنها مختلفة، لكنها تعجبني، ماذا عنك يا سي؟".

كان سي يحدق إلى يده، تلك التي أمسكتها سيريدوين، ونظر إليّ، وسألني: "ماذا؟".

قلت: "برأيك ما الذي قصدته سيريدوين بقولها (نحن نعرف ما نحن عليه)... أو أيًا يكن ما قالته؟".

بدا سي مشتت التفكير، عندما قال: "لقد كانت ليلة طويلة، يجب أن تحصلي على قسط من الراحة الآن".

اقترب من سريري، وسكب لي كأسًا صغيرة من التاستيروم. قلت له: "آه، لا أريد المزيد من تلك المياه النارية، من فضلك! سأكون بخير، لكن بالعودة إلى ما قالته سيريدوين، هل أقنعتك أن تريك جزء من الدومينيون؟ فكلامها منطقي، عندما تفكر في مقدار الجهد الذي بذله البلوز للقبض عليه، ووصفهم إياه بالخائن...".

أومأ روغان ببطء، وقال: "لقد سمعت بعض الأحاديث السرية للغاية، في الشهرين الماضيين عن المتمردين. أتعلمين أنه حصلت انتفاضة منذ تسعة أسابيع في كينغ تاون؟ وعندما سعى البلوز لقمعها ردّ عليهم المتمردون بانفجار كهرومغناطيسي، شل عمل الحكومة ليومين. أظن أن لأسطورة الدومينيون علاقة بالأمر، لكن هل كان تريك متورطًا مع المنتفضين؟".

سأل سي: "إنه مجرد طفل".

قلت: "صحيح أنه مجرد طفل، لكنه قوي للغاية، وعلاقاته متشعبة تمتد عبر مدن الخيام الأخرى، حيث يمكنه بيع الحلي التي يشتريها. لابد أنه يعرف الأثرياء، وكذلك البلوز، الذين يعيشون في مناطق أخرى".

قال روغان بشكل قاطع: "لا يمكنني تصور العمة ماي مقاتلة متمردة من أجل الحرية". ولكنه أكمل بعد تردد: "ولكن من يدري ربما تكون سيريدوين محقة".

أجبته: "إنها قوية للغاية، أتذكر عندما جئنا إلى ديفينيتي للمرة الأولى، جاء إليها اثنان من عصابة الكاسينو بويز ليفرضا عليها خوة كي لا يدمرا كشكها، ولكنها قالت لهما بلطف: "سأذهب لأجلب صندوق النقود الخاص بي". ولكنها عندما عادت، كانت تحمل هراوة شرطة، وضربت أحدهما بقوة على رأسه، وأخبرت الآخر أنها ستضربه هو الآخر إن لم يبتعد عنها، وما إن هزت الهراوة أمامها حتى أطلقا ساقيهما للريح هربًا. بالرغم من خوفها ضحكت وقالت: *بعض الناس لا يتعلمون أبدًا*. لكني أعتقد أنهما تعلما، لأنهما لم يعودا أبدًا".

قال سي: "حسنًا، أتمنى ألا يكون مصيري مثلهما عندما أسألها في الصباح عن الدومينيون. لقد كانت ليلة طويلة، ولا أريد أن أكرر كلامي مرة أخرى، لن تتحسني أبدًا إن أصررت على أن تكوني جزءًا من كل ما يحدث، إن شربتِ التاسيتروم أم لا، ستنامين الآن".

علمت أن سي كان جادًا من نبرة صوته، وقلت ساخرةً: "حسنًا، هل ستبقى هنا أم أنك ستختفي لتبحث عن ساحرتك البيضاء؟".

نظر إليّ نظرة غريبة، وقال: "لا، يتوجب عليّ صنع بعض المنحوتات، إذا أردنا تناول الطعام. انتظري، أنا لا ألومك...".

ابتسمت وقلت: "لا بأس، أعلم أنك لم تقصد ذلك، انحت لي شيئًا لم يسبق لي أن رأيته". ابتسم سي مرة أخرى، وتثاءبت، ثم غفوت قبل أن أدرك ذلك.

10سي

حسنًا، بما أنه لم يسبق لدي أن رأت مالك الحزين، فقد أخرجت أدوات النحت، وقطعة الخشب التي احتفظت بها، وشرعت أنحت. في العادة، أشعر أن الخشب ينبض حياة بين يديّ، وتكاد المنحنيات والخطوط تتشكل من تلقاء نفسها، ولكنني لم أكن مركّزًا لدرجة أن أداة النحت الصغيرة، ظلت تنزلق على السطح.

تنفست دي بهدوء وعمق في سريرها، أما روغان فخرج ليبحث لنا عن شيء نأكله. كان يفترض أن يكون هذا الوقت مثاليًا لكي أُبدع، ولكن الشك والخوف والتساؤل، كلها كانت تسيطرعلى ذهني. الشك، لأنني لم أصدق تمامًا أن تريك الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، يمكن أن يكون عضوًا في حركة متمردة سرية أسطورية. والخوف، لأنه ماذا سيحصل إن كان الأمر كذلك؟ كنت أعلم أن دي سترغب في المضي قدمًا في خطة إنقاذه، ولكن ماذا سيحل بنا بعد ذلك؟ هل سنترك ديفينيتي؟ وننضم إلى المتمردين تحت الأرض؟ بصراحة، لم أستطع رؤية الهدف، فقد كانت الحكومة والبلوز في غاية القوة، وسيلحقون بنا الأذى وربما سيقتلوننا. أما التساؤل فلأنني ظللت أتذكر سيريدوين. لم تكن كما توقعتها، وبدل أن أشعر بالخوف منها، شعرت برابط فوري

معها، ويدونا كما لو أننا نفهم بعضنا. عندما أمسكت بيدي، شعرت بشيء في ذهني يشبه الطريقة التي أتواصل فيها مع دي.

في المرة الأولى التي أدركت فيها أنني ودي نستطيع إرسال المشاعر إلى بعضنا كنا في الثالثة من عمرنا. كان ولي أمري في السادسة عشرة من عمره، وكان يطلق على نفسه اسم دوستو، وقد حاول معظم الأحيان تجاهلي، وحرص على أن أتناول ما يكفي الطعام لأبقى على قيد الحياة، وألا أتجول في الحقول وأتعرض للهجوم من قبل الذئاب. مثل كثير من أولياء الأمور الأكبر سنًّا، كان قادرًا على البقاء في دور العمل بدلًا من الذهاب إلى المحطات الزراعية في الشمال أو المغادرة والدفاع عن النفس فقط لأنه كان لديه مَهمة معينة.

هذا ما يقوله الناس؛ (مَهمة معينة)، عندما تقدمت في السن، اكتشفت أن ذلك يعني شريكًا مطيعًا للحماة. وسواء كان من يعملون تحت إشرافه ذكورًا أم إناثًا، كبارًا أم صغارًا في السن؛ لم يكن هناك فرق لدى دوستو، الذي لم يكن وسيمًا بشكل لافت، لكنه كان مفعمًا بالحماسة. كان الحماة يظهرون فجأة في أي وقت من النهار أو الليل، ولم يرفضهم دوستو أبدًا. إذا حدث ذلك خلال النهار، فسيكلف أمر مراقبتي لولي أمر آخر، أما في الليل، فكان يربطني بسريري بحبل طويل للتأكد من أنني لن أستطيع التسلل من جناح النوم والعثور على دي، في الوقت الذي يكون فيه منهمكًا بشيء آخر.

ذات ليلة، وللمرة الأولى اكتشفت أنني ودي يمكننا سماع بعضنا، فمنذ عام خلا كنت ودي في الحضانة، نتقاسم سريرًا واحدًا، ولكن

بمجرد أن بلغنا الثالثة من عمرنا، فُصلنا عن بعضنا، هي إلى جناح الفتيات وأنا إلى جناح الفتيان. مرّ وقت طويل قبل أن أتعود ألا أسمع صوت تنفسها ولا أشعر بدفئها إلى جانبي، وكلما أتيحت لي الفرصة، كنت أمشي على رؤوس أصابعي إلى جناح الفتيات، ساحبًا معي حبل دوستو.

ذات يوم، وبعد منتصف الليل، وبعد أن أنهى دوستو ترفيهه المسائي، استيقظت، لأرى شبح رداء أبيض، يحوم فوق سريري، فتجمدت من الخوف. أحب دوستو تخويفي بقصص عن الفيراغ، أولئك الوحوش المتعطشين للدماء الذين أتوا من خارج الحدود الجنوبية إلى أدناك بحثًا عن ضحايا جدد. هل هذا أحدهم؟! هل سيمزق حلقي؟! سيطر الخوف عليّ، ولم أستطع التنفس. ولكن بعد ذلك تجاوز الشبح سريري، وتوقف حيث ينام أولياء الأمور، بجانب سرير دوستو. هزّ الشبح كتف دوستو بقوة، فنهض بسرعة، وبدا محتارًا ومرتعبًا، سحبتُ غطائي ولففته حول رقبتي، وشعرت بشيء من الفرح، بعد كل القصص الرهيبة التي أخبرني بها حول كيفية تمزيقهم لبشرتي وشرب دمي، سيكون الضحية، أما أنا فسأستطيع التسلل والهرب من دون أن يلحظني أحد.

انقلب الفرح إلى رعب، عندما نظرت إلى معصمي وتذكرت الحبل الذي سيمنعني من الهرب، ثم سحب الشبح سكينًا ووجهه نحو دوستو. همس دوستو: "ماذا تفعل؟!". سقط غطاء الرأس عن الشبح، وأدركت أنها كانت واحدة من الحماة، امرأة مسنة تعرف فقط باسم

(الحامية مارتا). بدت مخيفة في ضوء القمر؛ وجهها مسلول ونحيف، وشعرها أشعث، وعيناها متوحشتان.

من الواضح أن الفيراغ عَضّوها، فأصبحت واحدة منهم. في الوقت الذي ركّزت فيه لأرى إن كانت أسنانها حادة، سمعتها تهمس: "كيف أمكنك فعل هذا؟ أخبرتك، أنت ملكي وليس ملكه!". ملكه؟ هل كان هناك فيراغ آخر قادم؟! هل سيقتلوننا جميعًا؟

في تلك اللحظة، شعرت بالدفء بين ساقي، وأدركت أنني بللت فراشي. بينما كنت مستلقيًا هناك أرتجف، مفعمًا بالرعب والعار، حدثت أشياء ثلاثة. بدأت الأرض تهتز بشكل ينذر بالسوء، الأمر الذي أدى إلى تشتيت انتباه الحامية مارتا، استغل دوستو الفرصة للإمساك بذراعها، وأجبرها على إسقاط السكين، ثم وضعها بين ذراعيه، وبدأ يهمس لها وعندها شرعت تبكي. في الوقت نفسه، انفتح باب جناح النوم ودخل الغرفة خيال صغير، إنها دي مع ولية أمرها جينا، وهي فتاة طويلة القامة، ذات شعر داكن، وتبلغ من العمر أربعة عشر عامًا، وكانت تطاردها بلهفة.

ركضت دي إلى سريري بقدر ما أتاحت لها ساقاها الصغيرتان، ولحقت بها جينا مباشرة، وقالت، وهي تبكي: "سي، سي، لماذا أنت خائف؟!".

جلست محاولًا كبح الدموع في عينيّ، وحال الألم الشديد في رأسي دون تنفسي بسهولة، ثم شعرت بإحساسٍ غريب، مثل الشعور الذي ينتابك عندما يضغط شخص ما على يدك. تبادلت ودي النظرات لدقيقة، وبعدها توقفت الأرض عن الاهتزاز.

في غضون ذلك، توقفت جينا فجأة، نظرت إلى الوراء، ورأت دوستو يمسك بكتفي الحامية مارتا بذراعيه، والسكين على الأرض، وصرخت: "ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟!".

همست لدي: "لقد تبولت في السرير"، وبعد ذلك لم يعد بإمكاني كبح دموعي.

أمسكت دي بوجهي، وشعرت بإحساس الضغط على ذراعي مرة أخرى عندما عانقتني وقالت: "لا بأس يا سي".

بعد ذلك، أخرج دوستو الحامية مارتا من جناح النوم، وجلبت لي جينا التي عادة ما كانت تصرخ على الأطفال الآخرين لكي يعاودوا النوم، بيجاما جديدة، وأغطية نظيفة لسريري في الوقت الذي كنت فيه ودي جالسين بالقرب من بعضنا.

كانت جينا ترتب السرير، وتتذمر من (الغيرة السخيفة)، وكانت تقول: *كنت أظن أنها ستتصرف بشكل أفضل بالنسبة إلى عمرها*.

جلست ودي على الأرض بهدوء، أو هذا ما بدونا عليه، بينما كنا نرسل إلى بعضنا ضحكات ذهنية، على الأرجح أننا كنا نضحك على جينا، ونحاول ألا نضحك بصوت عالٍ. ثم أرسلت لها شعور الإحراج لأنني بللت السرير، فأرسلت شيئًا بدا وكأنه هز كتفيها، كما لو أنها كانت تقول: *إنه ليس بالأمر المهم*. شعرت بتلاشي الخوف والعار، في الوقت الذي كنا نجلس فيه على البلاط البارد.

اكتشفت لاحقًا أنه في الوقت نفسه الذي اعتقدت فيه أن الحامية مارتا كانت من الفيراغ، استيقظت دي مثل الطلقة، وركضت عبر الغرفة،

وأيقظت جينا. سمعتُ جينا وهي تخبر بعض الأطفال الآخرين الذين يبلغون من العمر أربعة عشر عامًا: "تلك الفتاة الصغيرة غريبة! أيقظتني من نومٍ عميق، وهي تصرخ بشيءٍ عن الفيراغ، ثم ركضت إلى جناح الفتيان. طاردتها واحذروا ماذا رأيت؟ مارتا تحمل سكينًا، تلك العاهرة المسنة الغبية، وتضعها على حلق دوستو. كما تعلمون، إذا لم تستطع الحصول عليه، فلن تدع أحدًا يحصل عليه، وهناك رأيت توأم دي، يكاد يموت من الخوف، وكان سريره غارقًا بالبول، ثم حدث شيءٌ مثل الهزة. لكن كيف عرفت دي؟ لا بد أنها رأت مارتا، أو شعرت بالأرض تهتز، أو رأت كابوسًا".

منذ تلك اللحظة، تدربتُ أنا ودي على ولوج كل منا ذهن الآخر عندما نريد، أو كلما احتجنا إلى ذلك. حتى أننا تمكنا من سماع بعضنا عندما نكون بعيدين وتفصل بيننا مسافات. لكن وجود شخص ما في رأسك طوال الوقت قد يكون أمرًا مربكًا، خاصةً عندما تكون هناك أشياء لا تريده أن يعرفها. لهذا السبب بعد الحادثة مع سونغي، علّمت نفسي كيف أضع حاجزًا ذهنيًا، حتى أتمكن من التحكم في ردود أفعالي تجاه ما كانت تشعر به دي، وكذلك ما يمكن أن يصلها مني. كان الأمر مختلفًا مع سيريدوين، لم يكن شعورًا بالضبط، ولكنه يشبه الحدس إلى حد كبير، كأن تشم رائحة الهواء، وتعلم أن العاصفة قادمة.

ظهر بصيص من الضوء في الأفق. كان الوقت مبكرًا، لكنني لا أزال عاجزًا عن التركيز على النحت. ربما عليّ أن أذهب وأرى إن استيقظت العمة ماي. حزمت أدوات النحت بهدوء، وخزنتها بأمان تحت سرير

دي. إذا حاول أي شخص أخذها، فسوف تحميها بروحها، حتى وهي في هذه الحالة.

خرجت من الخيمة، ووقفت أنظر إلى الأفق من فوق ديفينيتي، حيث بدأت السماء تتوهج باللون الأحمر. كانت حرارة النهار قد بدأت تتزايد بالفعل، وكنت سعيدًا بالنسيم الخفيف الذي يحرك صفوف الخيام. عاشت العمة ماي بالقرب من الساحة، ويستغرق الوصول إليها خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام، لذا توجهت إلى الطريق الرئيسي الذي أطلق عليه الجميع اسم شارع الملكة. أحببت أن أتخيل أنه ذات مرة، قبل أن يبدأ العالم بالاحتراق، عاشت ملكة جميلة في القلعة على التل، كانت تركب عربة تجرها أربعة أصنة بيضاء وتعبر هذا الشارع.

بالطبع، لم تعد هناك خيول إلا في مخيلتي، وقد حوّل الفيراغ تلك القلعة إلى خراب منذ زمن طويل باستخدام أشعة الليزر. كنت أتخيل الملكة بشعر أصهب، وعينين خضراوين زاهيتين، ووجه حزين، تمامًا كما تخيلت أمنا. لكنها ذهبت منذ فترة طويلة، مثل أمنا.

وصلت إلى مشارف الساحة، وكنت أستطيع رؤية خيمة العمة ماي، فهي عبارة عن خليط من الألوان الزاهية، قصاصات قماش جُمعت معًا مثل لحاف قديم. في هذه الساعة المبكرة، كانت العمة ماي تجلس على كرسي بجانب باب الخيمة، تدخن الحشيش، وتعبث بجهاز بلاستيكي صغير، كان مقسومًا إلى قسمين، وداراته المعقدة مرئية. نظرَت إلى الأعلى عندما اقتربتُ منها، وابتسمت ابتسامة عريضة من خلف دخان الحشيش، وسألتني: "هل تعلم ما هذا؟".

هززت رأسي. فأجابت: "إنه جهاز قديم. كانت هناك أماكن تبث الموسيقى أو أحاديث الناس، ويمكنك الاستماع إليها عن طريق هذا الجهاز، حتى أنه يمكنك تخزين الموسيقى في هذا الجهاز. إنه أفضل بكثير من الأجهزة الحكومية المخصصة لبث الدعاية للأثرياء، والتي تبث في آذانهم طوال اليوم. ما زلت آمل أن أتمكن من إعادة تجميعه بشكل صحيح، فقد يواصل بث الموسيقى. اسحب كرسيًا".

جررت كرسيًا من زاوية خيمتها وجلست، وقاطعتها قائلًا: "أريد أن أتحدث إليكِ بشأن..".

قالت: "أعلم، كانت سيريدوين هنا، إنها غريبة، لم أفهم أبدًا نصف ما قالته، على الرغم من أنني قد تحسنت كثيرًا على مر السنوات في فهم كلامها. لقد فهمت أن هناك خطة تُحضر على قدم وساق لمساعدة تريك. فهمت أن هناك (خطبًا ما)، لا أعرف أين بالضبط، وأن (الملك) لم يكن يسمح لأي شخص برؤية (الأمراء في البرج). كانت مصرة تمامًا على شيء مثل (صفة الرحمة) أو هراء من هذا القبيل".

قلت: "نعم، إنها تريدنا أن نساعد تريك، وقالت إنك الشخص الذي يجب التحدث إليه".

ضحكت العمة ماي بخجل، ونظرت إليّ شزرًا، بينما استمرت في العبث بجهازها، وقالت: "أنا؟! لا أعرف لماذا".

قلت بصراحة: "ربما لأنك جزء من الدومينيون".

بدت مصدومة، وقالت: "صن لسانك. هذا ليس المكان المناسب لمثل هذا الحديث. اتبعني إلى الداخل". دخلنا الخيمة، حالما أُغلق باب

الخيمة بإحكام، استدارت نحوي، وكان صوتها متشددًا ومختلفًا، وقالت: "لا تتحدث أبدًا عن الدومينيون باستخفاف، هناك آذان في كل مكان".

تلعثمت: "أنا.. أنا آسف، لم أظنهم حقيقيين".

قالت: "إنهم حقيقيون مثلك ومثلي". ووضعت جهاز الموسيقى على طاولة تغطيها الأدوات والأسلاك، وأكملت: "لستَ بحاجة إلى معرفة أي شيء أكثر من ذلك".

قلت: "ولكن دي تريد مساعدة تريك، وقالت سيريدوين إنك تعرفين كيف".

قالت: "إذا كان تريك حقًا عضوًا في الدومينيون، ألا تعتقد أنهم سيعرفون بالفعل مكان وجوده، وماذا يجب عليهم القيام به؟!". وأردفت برقة: "قل لأختك أن تنسى الأمر، إنها ليست في وضع يسمح لها بالاندفاع لإنقاذ تريك على أي حال، لقد أخبرت سيريدوين بالأمر نفسه. أتمنى أن تفعل ما أقوله لك، لمصلحتك".

قلت: "حسنًا. سأخبرها، لكن لا يمكنني أن أعدك بأنها لن تشارك في عملية الإنقاذ، إنها تشعر بمسؤوليتها عما حصل لتريك".

تنهدت العمة ماي، وقالت: "أعرف يا فتى، أنت وأختك...". تراجعت، ثم نظرت إليّ بطريقة حيرتني، وقالت: "فقط ابقيا بأمان. من المهم أن تظلا سالمين".

قلت: "حسنًا، لا أستطيع أن أعدك بشيء. أنتِ تعرفين دي".

بدت العمة ماي حزينة، وقالت: "نعم، أعرفها. عد إليها الآن. أنا متأكدة من أن تأثير التاستيروم واللوليبايس سيزول الآن، وستكون

بحاجة إليك عندما يأتي الطبيب للاطمئنان عليها".

ثم فتحت باب الخيمة وطلبت مني المغادرة. خرجت وأحكمَت إغلاق الباب خلفي، لكنها كانت محقة لأنني استطعت سماع دي في ذهني. حان الوقت للعودة وإقناعها بطريقة ما باتباع تعليمات العمة ماي، وكنت أعلم أن الأمر لن يكون سهلًا.

11 دي

حلمتُ مجددًا. وقفت المرأة الصهباء تبكي فوقي أمام رجل أمسكها من كتفيها، وقد أدار ظهره إليّ؛ لم أستطع رؤية سوى جانب من وجهه، هناك ندبة على خده. سحب المرأة بعيدًا عن شيء ما وهمس: "يجب أن يحصل الأمر"، في ذلك الوقت جاهدت المرأة وصرخت: "لا، لن أفعل ذلك"، ثم أفلتت منه، ودنت مني. لقد شعرت بدموعها تنسكب على خدي، وقالت: "اهدأي يا عزيزتي"، ولكن الرجل أبعدها مجددًا. أصبح كل شيء ضبابيًا وتوهج بلون أحمر وكأن العالم يحترق. صرخت وفتحت عيني.

أسرع روغان إلى جوار سريري وسألني: "ما الخطب؟ هل أنت بخير؟".

همست قائلًا: "الجو حار جدًا، متى ستثلج؟".

أجاب روغان مرتبكًا: "تثلج؟ ما الذي تتحدثين عنه يا دي؟ لقد مضى خمسون عامًا منذ أن شهدت هذه الأرض الثلوج آخر مرة".

شعرت بشيء مريب. أنا أعلم أنه لا ثلج هنا، ولكني بدأت أرتجف. أحضر روغان غطاءً وألقى به عليّ، ثم تحسس جبهتي وقال: "حرارتك مرتفعة جدًا يا دي، سأحضر الطبيب".

أمسكت يد روغان يائسةً وقلت له: "لا، لا تتركني فالفيراغ قادمون". تملكني الرعب فجأةً، واستطعت سماع همس خارج الخيمة فضلًا عن صوت صرير أسنان مدببة. ما الذي يحدث لي؟

قال روغان: "لا يوجد أي فيراغ يا دي، ثقي بي. لقد أصابتك حمى، ويبدو أنك تهذين قليلًا، سأعود بسرعة".

سحب روغان يده وخرج راكضًا من الخيمة. ارتفعت حدة الأصوات، وعلمت أنني أحتاج إلى الفرار. كان كل شيء حارًا وباردًا في الوقت نفسه، وواجهت صعوبةً في الجلوس، ولهثت خائفةً. آلمني ظهري كثيرًا، ولكنني نهضت في النهاية، ووضعت قدمي على الأرض ووقفت، ثم سقطت مباشرةً، وغرقت ملامح العالم الحمراء الملتهبة في بحر من السواد.

فتحتُ عينيّ، ووجدت نفسي ممددةً على سرير نقال. أدركت أن وقتًا لا بأس به قد مر، فالطبيب في الخيمة يبحث في حقيبته عن شيء ويتمتم، أما روغان فقد جلس على كرسي في زاوية الخيمة قلقًا ومتوترًا. التفت الطبيب إليّ، وبدأ يكشف ظهري، لم أستطع رؤية وجهه، ولكني رأيت وجه روغان، وقد تملكه الرعب.

قال الطبيب بهدوء: "هذا ما كنت أخشاه، لا تبدو هذه الجروح في حالة جيدة"، ثم لمس ظهري برفق، ولكنني شعرت وكأن ألف سكين تطعنني، فصرخت من شدة الألم. انتفض روغان عن كرسيه واقترب مني، وأمسك بيدي وقال: "لا بأس يا دي، إن الطبيب هنا الآن... أخبرني ما خطبها أيها الطبيب؟".

أجاب الطبيب وقد اكفهر وجهه: "سأكون صريحًا معك، يبدو أنها أولى مراحل المرسا".

قلت بصوت مختنق: "مرسا". ضغط روغان على يدي. المرسا هو مرض إنتاني، يتسبب بتآكل جلد المريض، وكان العلاج الوحيد للإصابة تقشير الجلد المصاب، أو قطع الطرف المصاب، الذي سيموت ما لم يعالج. أنّيت بيأس، لم أرد أن أموت أو أن أكون مشوّهة طوال الحياة.

سمعت روغان يسأل الطبيب: "ولكنك تستطيع فعل شيء ما، أليس كذلك؟".

أجاب الطبيب: "هناك صادات حيوية قوية تشفيه، ولكن ليس لديّ أي نوع منها، حيث لا أحتفظ بها عادةً. لقد أعطيت ما لديّ منها لدي، ربما ستفي بالغرض من أجل الجروح العادية والخدوش، ولكنها ليست قويةً كفايةً من أجل المرسا، فهي مرض مختلف".

"حسنًا، لا بأس بذلك. أين يمكننا العثور على أدوية أكثر قوةً؟".

أجاب الطبيب: "يسهل إيجادها، ولكنها باهظة الثمن، حيث تكلف خمسمئة قطعة نقدية على الأقل، ولهذا السبب لا أحتفظ بها عادةً، لأنني لا أمتلك ثمنها. يوجد كشك يبيع الأدوية في السوق الخفية، يدعى مالكه هاسبان. سمعت أن لديه شخصًا داخل أحد مستشفيات الأثرياء يجلب له بضاعةً جيدةً ستجد عنده ما تحتاج إليه".

صاح روغان: "ولكن السوق الخفية لن تفتح قبل يومين، هل تستطيع دي الصمود لهذه الفترة؟".

تطاير غطاء مدخل الخيمة حينها، وسمعت صوت سي يقول: "حضرة الطبيب؟ ما الذي يجري هنا؟".

اقترح الطبيب قائلًا: "ربما يجب أن نتحدث حول الأمر في الخارج"، ولكن محاولته في البقاء هادئًا لم تنطلِ عليّ أو على سي.

صرختُ: "لا، لا تغادرا، أعتقد أنني أمتلك الحق في معرفة إن كنت سأموت قبل شروق شمس الغد".

قال سي: "مهلًا، ما الذي تتحدثين عنه يا دي؟ لن تموتي، أليس ذلك صحيحًا أيها الطبيب؟".

تردد الطبيب، ثم أجاب بهدوء: "الأمور ليست بخير".

قلت ضاحكةً: "إنها المرسا". لماذا كنت أضحك؟ أصبح كل شيء ضبابيًا مجددًا.

قال سي لاهثًا: "المرسا، ولكنك تستطيع علاجها، أليس كذلك؟".

أجاب روغان: "لا يمتلك الطبيب الدواء الذي تحتاج إليه، يجب أن نحضره من تاجر يدعى هاسبان، ولكن قد يفوت الأوان إذا انتظرنا ريثما تفتح السوق الخفية".

قال سي وقد نفد صبره: "حسنًا لن ننتظر، أين يمكننا العثور على هاسبان هذا؟".

أجاب روغان: "لا تكمن المشكلة في العثور على هاسبان بل في تأمين المال. يقول الطبيب إن الدواء الذي تحتاج إليه باهظ الثمن. لديّ بعض القطع النقدية فقط وهي لا تكفي أبدًا من أجل سداد ما سيطلبه هاسبان. كنا سنحظى بمال وفير لولا كمين البلوز الغبي..".

صاح سي: "ما كنا سنحتاج إلى المال لولا كمين البلوز".

صاح روغان مجددًا: "*أخبرتك* إنني آسف".

تدخل الطبيب وقال: "أخفضا صوتيكما، إن آخر ما تحتاج إليه دي هو أن تتشاجرا مجددًا. إن كان لدى أي منكما فكرة حول كيفية تأمين المال من أجل شراء الدواء فليشاركنا إياها، وإلا فاخرجا من الخيمة".

اشتد الألم فجأةً، فصرخت رغمًا عني. أسرع سي وروغان إلى جوار السرير.

صرخ سي: "افعل شيئًا أيها الطبيب، ألا تستطيع تقديم *أي شيء* كي تساعدها؟".

أعطاني الطبيب بعض الحبوب وكأسًا وقال: "تناولي هذه الحبوب، ستخفض الحرارة".

وضعت الحبوب في فمي، ورفعت رأسي كي أرتشف من الكأس، وأدركت محتواها بعد فوات الأوان، فتوسلت إليه: "لا مزيد من التاستيروم".

قال الطبيب بلطف: "اشربيه عن آخره، فهذا كل ما لديّ منه، أنا آسف".

حاولت شرب كل ما في الكأس قدر استطاعتي، ثم تركت رأسي يهوي مجددًا إلى السرير. شعرت بالدوار وتشوش تفكيري في تلك اللحظة مباشرةً، جل ما أتذكره هو سماع صوت سي يقول: "لديّ فكرة..."، ثم استحال العالم أمامي غابة تحتوي أشجارًا يابسةً ذات أغصان جافة ومتشابكة. كان الضوء ضعيفًا والظلال والصمت في كل

مكان حولي. شعرت بالخوف، وهمست: "أين أنت يا سي؟". جاءني صوته ضعيفًا من بعيد يقول: "أنا هنا... ساعديني...".

ركضت مرعوبة عبر صفوف الأشجار التي أخذت أغصانها الرفيعة تضرب جلدي وتمزقه. ناديت: "أين أنت يا سي؟ لا أستطيع رؤيتك".

سمعت صوته أقرب هذه المرةً: "دي... دي، أنا أحتاج إليك...".

سلخت الأغصان جلدي وأنا أركض. أين هو؟ كل ما أعرفه أنه يحتاج إليّ وأنا لا أستطع إليه سبيلًا. سالت الدموع على وجهي، وانتابني إحساس رهيب بالعجز، ولكن سرعان ما رأيت شخصًا مشيئًا وقذرًا أمامي، أدركت أنني لست في حلم أو هلوسة، كانت تلك ذكرى سيئة.

لقد مضى أسبوع على ليلة هروبنا من دار العمل، والانطلاق جنوبًا إلى مدن الخيام حيث سنكون مجرد طفلين مجهولي الهوية، حيث سنبدأ حياتنا الجديدة. سرقنا بعض الطعام من المطبخ قبل المغادرة، ولكن أوشك مخزوننا على النفاد. نجحنا في الوصول إلى الغابة اليابسة في اليوم السابق، ومشينا في خط مستقيم نتفقد موضع الشمس آملين أن نحافظ على طريقنا إلى الجنوب. كانت الليلة الأولى باردةً؛ حيث تشابكت أغصان الأشجار بشدة مع بعضها، ومنعت معظم ضوء شمس النهار وحرارتها، والتي اختفى أثرها تمامًا بعد الغروب. كان في حوزتنا حجر صوان، ولكننا خشينا إشعال النار في مكان مكشوف كي لا نلفت انتباهًا أو نفتعل حريقًا في الغابة اليابسة كلها. لذلك، ارتجفنا سويةً ساعات تحت أغطيتنا الرقيقة، من دون أن نستطيع النوم، واستمعنا إلى

الأصوات الليلية للكائنات الصغيرة التي كانت تخربش في الشجيرات تحت الأشجار حتى حل الصباح، وتخللت أشعة الشمس الأغصان المتشابكة جاعلةً السير ممكنًا في الغابة.

نال منا الإرهاق في الليلة التالية، وأوشكت قوانا أن تخور في الوقت الذي وجدنا فيه كهفًا على تلة صغيرة، وكان كبيرًا كفايةً كي يتسع لنا ولمتاعنا، ودافئًا بفضل امتصاص حجارته حرارة الشمس، وهذا ما جعله مريحًا أكثر من البقاء في العراء. جمع سي بعض الأغصان الصغيرة والعيدان؛ وأشعلنا نارًا صغيرةً داخل الكهف، وكان ذلك رفاهيةً مقارنةً بالليلة السابقة. تناولنا بعض اللحم المجفف والفاكهة، وشربنا قليلًا من الماء، ثم نمنا نومًا عميقًا.

في الصباح التالي، شعرت بتحسن كبير وكنت مستعدةً تمامًا من أجل الاستكشاف. لعل تلك الحيوانات الصغيرة التي أصدرت أصواتًا في الليل صالحة للأكل ويمكننا طهوها.

كان سي مرتابًا، وقال: "قد يكون الأمر خطرًا، يجب أن نبقى معًا".

طمأنته: "لم نصادف في اليومين الماضيين سوى الأشجار اليابسة، لا شيء يدعو إلى القلق. فكّرت أنه يمكننا أن نصنع قفصًا خشبيًا صغيرًا من الأغصان، يمكنني أن أرفعه على عود صغير مربوط بواسطة أحد حبال الحقيبة، وأضع تحته قطعةً من اللحم المجفف. وإن انتظرت في صمت، ربما سيأتي شيء ما، وعندها سأسحب الحبل كي يسقط القفص عليه، وبذلك نحصل على الطعام".

قال سي ساخرًا: "الجرذان؟ تبدو لذيذةً، يجب أن أساعدك في ذلك".

قلت له: "هذا محال، يجب أن تبقى هنا وتحافظ على النار مشتعلةً، لا أحد يحب الجرذان النيئة".

أخيرًا وافق، فأمضينا الصباح نصنع قفصًا صغيرًا، جمع سي الأغصان، وحبكتها معًا. لم يكن جميلًا، ولكن بدا أنه سيفي بالغرض، لذلك أخذته وانطلقت. شعرت بقلق سي في رأسي، ولكنني واظبت على تهدئته إضافةً إلى منحه جرعةً صحيةً من عبارة "معدة ممتلئة" حتى شعرت به مرتاحًا.

نصبت فخي الغريب في الجوار، بالقرب من مجموعة من الأشجار المتشابكة، ثم تمددت في الجهة المقابلة على بطني، وانتظرت طويلًا. في النهاية، حل الغروب وتسلل البرد إلى جسدي، وزاد غضبي من اعتقادي الساذج أنني أستطيع الإمساك بأحد حيوانات الغابة أيًا كان. كان البرد جل ما سأحصل عليه. نهضت عن الأرض غاضبةً، وكان جسدي يرتجف، وعدت أدراجي إلى الكهف حاملةً قفصي الغبي - يمكننا إحراقه على الأقل. خطرت في بالي هذه الأفكار في الوقت الذي تناهى إلى مسامعي صوت سي، ولكنه لم يكن من الخارج - بل داخل رأسي فقط. ليس مجرد إحساس أو شعور - لقد سمعت صوته حقًا، يرتعد من الخوف، تلك المرة الأولى التي يحصل فيها شيء كهذا.

"*ساعديني... دي*".

"*أين أنت يا سي؟*".

كان صوته خافتًا وبعيدًا جدًا: "*أنا هنا... ساعديني*".

ركضت مرعوبة عبر صفوف الأشجار والتي أخذت أغصانها الرفيعة تضرب جلدي وتمزقه. ناديت سي: "أين أنت؟ لا أستطيع رؤيتك".

سمعت صوته أقرب هذه المرة: "دي... دي، أنا أحتاج إليك...".

سلخت الأغصان جلدي وأنا أركض. أين هو؟ كل ما أعرفه أنه يحتاج إليّ ولم أستطع إليه سبيلًا. سالت الدموع على وجهي، وانتابني إحساس رهيب بالعجز. اهتزت الأرض تحت قدمي، وكأن زلزالًا قد بدأ، وزاد ذلك صعوبة التقدم إلى الأمام، ولكن سرعان ما رأيت شخصًا مشينًا وقذرًا أمامي - كان كانسًا من الفيراغ، والذي من المؤكد وجود غيره، ولكنه لم يلحظ وجودي بعد. تجمدت الدماء في عروقي، وبحثت حولي في رعب عن مكان أختبئ فيه حتى أجد حلًا. تسللت بهدوء خلف أقرب شجرة، ومن هناك استرقت النظر. ما زلت أسمع صوت سي الخافت في رأسي. لماذا لا يعلو أكثر؟ لقد تملكني الخوف، ولكنني حاولت مناداته كي يعلم أني في الطريق إليه. سمعت صوت صراخه فجأةً، ودوى صداه في رأسي: "*لا، ابتعد*". أدركت حينها أنه في مأزق حقيقي، ولكنني لن أبقى بعيدةً أبدًا.

لا بد أن الفيراغ الذي أمامي من الكشافة، وليس من المحترفين، حيث لم يكترث إلى أي شيء سوى الوقوف موليًا إياي ظهره، ومحاولًا الحفاظ على توازنه خلال اهتزاز الأرض، وتدخين سيجارة شيروت قذرة. شممت رائحة القطران والكريزون، وكانت قويةً كفايةً كي تمنع الفيراغ من شم رائحتي. بحثت حولي عن شيء أستخدمه، ووجدت قسمًا بارزًا من حجر مدفون في التراب تحت الشجرة، انحنيت بهدوء كي أخرجه بواسطة أظافري من التراب دون أن أشيح نظري عن الفيراغ. أمسكت الحجر، وانتظرت اللحظة المناسبة. دخّن الفيراغ آخر نفس من سيجارة شيروت، ورماها على أرض الغابة، وداس على نهايتها المشتعلة، في تلك اللحظة،

نفذت خطتي. أردت أن أفقده وعيه، ولكن تبين أن ضربتي كانت قويةً كفايةً كي أقتله، حيث نخر عندما أصاب الحجر مؤخر رأسه، وانهار على كومة صغيرة واستلقى ساكنًا من دون أن يتنفس.

شعرت بالعار، لقد تحدثت كثيرًا عن وليمة الجرذان، ولكن لو أمسكت واحدًا، ما كنت أعرف ماذا سأفعل به حقيقةً، لم يسبق أن قتلت شيئًا أبدًا، أما الآن...

شقت عليّ أنفاسي عندما نظرت إلى الفيراغ، لقد كان يافعًا، إنه أكبر مني قليلًا. وذو شعر ناعم، وجلد متقرح، كما فقد بعض الأسنان بسبب التعرض إلى الإشعاع. ارتدى أسمالًا رثة، وبدا أنه لم يتناول الطعام منذ فترة طويلة. لاحظت أن أسنانه الباقية حادة؛ تذكرت القصص التي اعتاد أولياء أمورنا في الملجأ أن يحكوها لنا من أجل إخافتنا من قدوم الفيراغ كي يأكلونا، لقد جمدت تلك القصص الدم في عروقي حينها.

جل ما امتلكته كان حجرًا وقفصًا من العيدان، فكيف كيف يفترض بي أن أحمي سي؟ لعل في حوزة الفيراغ سلاحًا ما أستطيع استخدامه. انحنيت وبحثت في ملابسه رغم أنني شعرت بالغثيان الشديد عندما اقتربت منه. عثرت على سكين في طيات عباءته الممزقة؛ كانت حوافها صدئةً، ولكن بدت نهايتها حادةً كفايةً من أجل إلحاق بعض الأضرار أو التهديد على الأقل.

ركضت صوب الكهف، وأحسست بكل الأغصان الصغيرة المتدلية في الطريق وهي تمزق جلدي. أخيرًا، وجدت التلة حيث الكهف، وتوقفت محاولة أن أنصت إلى صوت سي بدلًا من أنفاسي.

كان الخوف كل ما شعرت به، فلم أنبس ببنت شفة، حيث أن عنصر المفاجأة هو الشيء الوحيد الذي كان في صالحي الآن. يتسع الكهف من أجل سي رفقة واحد أو اثنين من الفيراغ على الأكثر، وكنت آمل أن أتمكن من القضاء على أحدهما قبل أن يتكاتفا ضدي، وبذلك سأكون رفقة سي ضد الفيراغ الآخر.

تسللت إلى مدخل الكهف، واسترقت النظر، كان سي في الخلف مستندًا إلى الحائط، وأمامه اثنان من الفيراغ، وقف أحدهما وجلس الآخر القرفصاء.

كان أحدهما يضحك ويتحدث إلى الآخر بصوت واهن أجش. لم أفهم كلامه، ولكنني خمنت ما الذي يعنيه بعد أن حدق الآخر إلى سي ولعق شفتيه. استجمعت قواي، واقتحمت الكهف والسكين في يدي، وأقحمتها بكل ما أوتيت من قوة في ظهر الفيراغ الواقف، والذي سقط إلى الأرض يتلوى، نظر إليّ الفيراغ الآخر مندهشًا قبل أن يقف، صرخت بشدة في تلك اللحظة: "سي"، الذي قفز عندها وعرقل قدم الفيراغ، فاصطدم رأسه بأرضية الكهف، ورقد ساكنًا، انتظرنا برهةً من دون أن ندرك ماذا سنفعل. كان الفيراغ الآخر ينوح ويعاني، وبدأت حركته تتخامد حتى رقد ساكنًا بعد بضع دقائق، كما توقفت الاهتزازات تحت أقدامنا فجأةً، وخيّم الصمت على المكان.

قلت من دون أن أنظر إلى سي: "يجب أن نغادر".

"ربما يوجد واحد آخر في مكان ما في الخارج، ماذا لو كان في طريقه إلى هنا؟".

قلت بهدوء: "لقد تخلصت منه". شعرت بالفضول في نظرات سي، ولكنه أحس بدوره بالعار والاشمئزاز اللذين انتاباني، ولم يجب بشيء.

قال مصدومًا: "كانا.. كانا سيأكلانني".

حاولت السيطرة على الرجفة في صوتي وأجبته: "لم يعد باستطاعتهما أن يأكلاك بعد الآن". حزمنا أمتعتنا وغادرنا الكهف.

بدأت الذكرى تتلاشى، وتشوّش ذهني مجددًا. لماذا أفكر في هذا الأمر الآن؟

تقلّبت بين النوم واليقظة في الفترة القصيرة التالية، واستيقظت بعد مرور بعض الوقت الذي لا أستطيع تقديره على أصوات خافتة من محادثة جارية.

تمتمت: "ماذا يجري؟".

سمعت سي يجيب وهو يدّعي الابتهاج: "لا شيء يدعو إلى القلق، جئت كي آخذ أدواتي فقط".

قاطعه صوت روغان الذي بدا غاضبًا: "أنا أقول ذلك للمرة الأخيرة، لن أسمح لك أن تبيع أدواتك. كيف ستتمكن من الاعتناء بدي إن فعلت ذلك؟ فهي لن تتمكن من الخروج من أجل السرقة قبل أن تتحسن حالتها. إن منحوتاتك هي الوسيلة الوحيدة من أجل الحصول على المال وشراء الطعام. أخبرتك سابقًا، دعني أهتم بالأمر. إن ما حدث خطأي، وأنا من سيصلحه".

سمعت صوت تحرك غطاء مدخل الخيمة، لقد أنهى روغان كلامه، وخرج.

12 سي

ارتميت على الكرسي في الزاوية، بعد أن غادر روغان الخيمة. وكانت دي مستلقيةً أمامي في هدوء، لم أعلم إن كانت مستيقظة أم أنها لا تزال تحت تأثير التاستيروم. كنت مرهقًا، وكان من الصعب عليّ السيطرة على مشاعري وخوفي وغضبي مما أصابها، كنت أشعر بها في ذهني دومًا، وتحتل جميع أفكاري، وتضاعف صعوبة التحكم في كل شيء. أغمضت عيني برهةً وأنا جالس هناك، وأخيرًا، تحدثت دي. سألتني بصوتها المرتعش وكلماتها المتثاقلة: "ما الذي يقصده روغان من إصلاح الأمور؟".

لم أستطع إخبارها الحقيقة، ستموت إن علمت بما يخطط له روغان، لعلها ستثب من السرير وتقتل نفسها خلال محاولتها إيقافه. فاق ذلك قدرتي على الاحتمال، ولكنني تعلمت منذ وقت طويل بناء حاجز ذهني لا تراه دي بيننا يحجب عنها كذبي. لقد كان إتقان الأمر صعبًا جدًا، وتطلب قوةً ذهنيةً هائلةً. يمكن وصف الأمر على أنه شاشة تفصل بين ما أفكر فيه وما أريدها أن تعتقد أنني أفكّر فيه، والسبيل الوحيد إلى ذلك عن طريق عرض صور وذكريات، وأفكار هادئة وطبيعية على الشاشة، بينما تسود الفوضى خلفها.

تعتقد دي أنني عاجز عن فعل هذا الأمر، وكنت سعيدًا جدًا لأنها لا تستطيع فعله بنفسها، باستثناء ذلك الوقت في الملجأ منذ زمن بعيد، يمكنني قراءة أفكارها وكأنها كتاب مفتوح، ويا له من كتاب جميل تملؤه الخطط والتصميم، يشبه شروق الشمس في صباح صاف.

فتحت عيني وقلت: "أنت تعلمين أنه يلوم نفسه على إصابتك، سيحاول اقتراض بعض النقود من العمة ماي".

أجابت دي مرتابةً: "العمة ماي؟".

أجبتها بتفاؤل زائف: "أجل، أخبرنا الطبيب أنها ربما ادّخرت القليل، كما أنني أستطيع العمل من أجل سداد الدين سواء في كشكها، أو أنحت مزيدًا من القطع كي تبيعها". من حسن الحظ، ن دي كانت تحت تأثير التاستيروم واللوليبايس لذلك لم تنتبه إلى الرعشة في صوتي أيضًا.

قالت دي وقد بدت مشوشةً ومشتتةً: "أخبر روغان أن يتوخّى الحذر، لا أريده أن يقع في المتاعب بسببي".

نهضت عن الكرسي، ووقفت إلى جوارها. كانت متوردةً، وعيناها لامعتين. مسحت جبهتها وقلت: "لا تقلقي، لقد ذهب إلى العمة ماي، سأحرص ألّا يصيبه مكروه. ستعتني سارة بك الآن، وسأعود قريبًا مع الدواء". انحنيت وقبّلت خدها. تنهدت دي، وأغمضت عينيها، وعادت إلى عالم الأحلام.

خرجت من الخيمة، وقد آلمتني آخر نظرة ألقيتها عليها.

انتظرتني سارة في الخارج، وقالت: "لا تستطيع فعل ذلك..."،

ولكني وضعت إصبعي على شفتي مشيرًا إليها أن تصمت، وأخذتها بعيدًا عن الخيمة.

همست إليها: "يجب عليّ ذلك، لا توجد طريقة أخرى".

أجابت سارة وقد واجهت صعوبةً في خفض صوتها: "ولكن لم يسبق أن سرقت من قبل، الأمر خطير، انظر إلى ما أصاب دي، يمكنك اقتراض المال من الكاسينو بويز...".

"ونصبح مدينين لهم طيلة حياتنا؟ لا، إن ما أفعله هو الأفضل. كما يعلم الجميع أن روغان من النخبة، حيث يستطيع السرقة وهو مغمض العينين، ولذلك سأكون بخير، اعتني بدي من أجلي فحسب، عليّ أن أذهب الآن".

اغرورقت عينا سارة بالدموع، واحتضنتني وهمست: "كُن حذرًا"، ثم أفلتتني ودخلت إلى خيمة دي سريعًا من دون أن تنظر إليّ مجددًا. مشيت بين صفوف الخيام إلى الزاوية حيث اتفقت وروغان أن نلتقي، فوجدته ينتظرني وقد رسم ابتسامةً على وجهه وسألني: "ما كان ذلك؟ يبدو أن أحدهم معجب بك".

لم أكن في المزاج المناسب للرد على سخريته فأجبته غاضبًا: "أغلق فمك الغبي، يجب أن تصب اهتمامك على تنفيذ المهمة فقط. سنحصل على الحلي، ونبيعها، ونذهب إلى هاسبان كي نحضر الدواء. لست مهتمًا بالحديث عن أي شيء آخر. نحن *لسنا* صديقين، وعندما تنتهي هذه المشكلة، ستبتعد عن دي إلى الأبد".

بدا روغان مرتعبًا ومتفاجئًا، أراد قول شيء ما، ولكنه تراجع وأشار بيده ببساطة: "من هنا".

كانت الخطة معقدةً، وتطلب الأمر وقتًا طويلًا كي أقنعه أنه يحتاج أن أذهب معه. في البداية، أصر أن يذهب وحده، حيث أن اصطحاب شخص مثلي لم يسبق له أن سرق أمر خطير جدًا. جلسنا في خيمتي، وتجادلنا ساعةً تقريبًا تحت أنظار ليتل جيمي ونوني، حاول إقناعي أنني مجرد عبء على العملية، وأخبرته أنه يحتاج إلى شخص يساعد في المراقبة على الأقل. أعتقد أن كلًا منا يشعر بالذنب، ويحاول إثبات شيء للآخر.

أخيرًا، صرخت نوني وعيناها الفضيتان تلتهبان: "هذا يكفي، أنتما تضيعان الوقت بهذا الشكل. أجل، إن روغان لص محترف، ويفتقر سي إلى الخبرة، ولكنه ذكي وسريع. واجها الحقيقة. تحتاجان إلى بعضكما إن أردتما تنفيذ هذه المهمة، ولذلك توقفا عن الشجار وارسما خطةً".

وافق ليتل جيمي على كلام نوني بهدوء، وحسم الأمر بذلك.

كان هنالك حديقة تحت الحراسة في مكان يدعى ليبرتي يبعد ثلاث كليكات - كليك: هو واحدة قياس تعادل الكيلومتر وتستخدم في الجيش - يخرج الأثرياء إلى هناك كي ينزهوا كلابهم الصغيرة بين صفوف الأزهار ذهابًا وإيابًا، ويتباهوا بأفضل حليهم.

حتى كلابهم ارتدت أطواقًا مرصعةً بالحلي، وأساور ذهبيةً حول سيقانها، ورُبطت بواسطة حبال مرصعةً بالأحجار الكريمة. يصادف اليوم يوم التنزه كما يدعونه. ضرب البلوز طوقًا حول المنطقة، ولكن رغم صعوبة الهجوم على أحد الأثرياء في هذه الظروف وكونه أشبه بالانتحار، فإن خطف أحد كلابهم لن يكون كذلك. فأي واحد من البلوز

سيطارد زوجًا من العمال الأحرار على طول الطريق إلى ديفينيتي؟ اشتهر البلوز بكسلهم إزاء مطاردة اللصوص - حيث يفضلون إرسال اللوبوت- ونستطيع بسهولة، ما دمنا اثنين، تشتيت أحدهم والقبض عليه من الخلف وتحطيمه إلى أشلاء قبل أن يطلق أي إنذار، وكل ما سيترتب علينا بعد ذلك هو نزع الحلي عن الطوق، وبيعها. اقترح روغان بيع الكلب إلى الجزار في السوق الخفية أيضًا، ولكن فكرته هذه أربكتني.

سألت روغان بعد أن استسلم أخيرًا إلى حقيقة مرافقتي إياه سواء أحب الأمر أم لا: "ولكن كيف سنقطع كل المسافة إلى ليبرتي من دون أن يرانا أحد؟". تقع ليبرتي شرق أولد كي، وتتميز عنها بوجود الأبنية التي شكّلت متاهةً من الحراس العمالقة الأشباح الذين وفروا حمايةً مناسبةً في مواجهة البلوز واللوبوت. كانت منطقةً مفتوحةً بين ديفينيتي والحدائق، وأرضًا مهجورةً فيها الكثير من دوريات البلوز، وقليل من الأماكن من أجل الاختباء.

أجاب روغان: "هذا سهل، سنستخدم الأنفاق".

صرخت: "أنفاق؟ ما الذي تتحدث عنه؟".

شرح روغان الأمر: "توجد أنفاق تحت كامل المنطقة. يقول أولد ماك إن العالم شهد وجود قطارات تحت الأرض تنقل الناس من أحد أطراف المدينة القديمة إلى بادلاندس التي سكنها الكثير من البشر قبل حروب الفيراغ، وامتلكوا فيها منازل جميلةً ذات عشب وأزهار أمامها فضلًا عن وجود الحدائق؛ كانوا أناسًا عاديين فحسب، وليسوا من

الأثرياء. إن بحثت في المكان المناسب، فستجد العديد من الأماكن التي تؤدي إلى الأنفاق، وأنا أعلم أين أبحث".

قلت له: "حسنًا، أي طريق سنسلك؟". أردت الانتهاء من الأمر بأسرع ما يمكن. أعترف أنني كنت متوترًا جدًا، وقد زاد التفكير في دي من توتري، ولذلك تناسيتها؛ عليّ أن أركز الآن أكثر من أي وقت مضى.

سألني روغان: "هل لديك سكين؟".

أخرجت أداة نحت من حقيبة ظهري، ودفعتها إليه، وقلت بفظاظة: "احتفظ بها، فأنا لا أخطط أن أستعملها من أجل شيء سوى النحت".

قال روغان مطمئنًا: "إنها من أجل الحيطة فقط، وإخافتهم إن رفضوا تسليمنا الكلب". ووضع أداة الحفر في حقيبة ظهره المصنوعة من الخيش.

لم أجبه، فقد قطعت وعدًا منذ زمن طويل ألا أستخدم يدي من أجل الأذية مجددًا. وإن حصلنا على أحد الكلاب، لن أسمح أن يبيعه روغان إلى الجزار بل سأحتفظ به، حتى إن لم يكن الكلب المناسب الذي أريده.

تابعنا طريقنا في صمت بين صفوف الخيام وصولًا إلى الشارع الرئيسي ومنه إلى القلعة المتهدمة حيث لا خيام أبدًا، بل مجرد خرسانات متناثرة، وأكوام من طوب الأبنية التي حطمتها قنابل الفلاش، كما ملأت الأعشاب المكان.

سألته قلقًا: "لماذا نسير في هذا الاتجاه؟ تقع ليبرتي على بعد ثلاث كليكات إلى الشرق من هنا، نحن نسير بعيدًا عنها".

قال روغان: "يجب أن نذهب إلى المتحف حيث مدخل النفق".

قلت: "مدخل النفق في متحف؟". لقد سمعت في أحد الأيام بعض العجائز يقولون إن المتحف كان مركز المدينة القديمة، وأنه احتوى عجائب لا تجدها سوى في أحلامك، مثل عظام مخلوقات قديمة، وتوابيت ذهبية تعود إلى عرق اختفى منذ زمن بعيد. سيكون استكشاف المتحف مثيرًا، فكر في كل التحف التي سأصنعها بعد رؤية عجائب كهذه.

قال روغان بحزن: "هذا غير ممكن، أتمنى ذلك في الحقيقة، ولكن "المتحف" مجرد اسم مكتوب على الجدار في الأسفل - وهو أقرب نقطة دخول إلى منظومة الأنفاق التي سنسلكها وصولًا إلى مكان يدعى الكلية - وهي أقرب مخرج من أجل الوصول إلى المتنزه، وتبعد نصف كليك تقريبًا".

سألت روغان: "حسنًا كيف سنخرج من هذه "الكلية" إلى الحدائق من دون أن يرانا أحد؟ ألا يعج المكان بالبلوز؟".

خلع روغان حقيبة ظهره، وناولني منها حزمةً من الملابس زرقاء اللون المطوية وأجابني: "لا يوجد الكثير منهم على هذا الجانب من الحدائق، ولكن ارتدِ هذه من باب الحيطة، يجب أن تفي بالغرض".

فتحت الحزمة وقلت: "تبدو مثل ملابس البلوز، من أين حصلت عليها؟".

ضحك روغان وناولني قبعةً مستدقة الرأس وقال: "وهذه قبعة مطابقة. لا تقلق، لقد استعرتها من صديق لي، إن رآنا أحد ما، فسيعتقد أننا اثنان من البلوز في استراحة". فتح حقيبته وأراني رداءً وقبعةً إضافيين.

دفعت بذلتي في حقيبتي وقلت له مرتابًا: "تبدو هذه الملابس أصلية جدًا".

أجابني: "إنها أصلية تمامًا، لا ترتدِها قبل أن نصل إلى الكلية".

تابعنا السير لخمس عشرة دقيقةً أخرى تقريبًا، ثم توقف روغان فجأةً، وأشار إلى كومة صغيرة من الطوب المحطم وقطع خشبية وغيرها من القمامة وقال: "ها هو".

سألته: "ما هو؟ جل ما رأيته كومة أخرى من الحطام وألواح خشبية مكدسة عليها".

تجاهل روغان سؤالي، واتجه إلى الألواح الخشبية مباشرةً. وأزاحها جانبًا بحركة واحدة لطيفة. لقد جمعت معًا بطريقة ما، وتبدو وكأنها عائق، ولكنها موضوعة على سكة خفية تسمح أن يزيحها المرء بسهولة تامة كالستائر. ظهر خلفها مدخل صغير مظلم، وأعلن روغان بهدوء: "هذا هو المتحف".

13 دي

ها أنا أحلم مجددًا، وربما أهلوس. استبدلت رؤيا الفيراغ وأفواههم المفتوحة على مصراعيها بالمرأة الصهباء والتي تحولت سريعًا إلى سيريدوين في الجوار، ثم رأيت تريك يرتجف على منصة البرج. مددت يدي كي أسحبه إلى الداخل، ولكنه انزلق عن الحافة، فصرخت وسقطت خلفه أيضًا، واختفى كل شيء مجددًا.

سمعت صوتًا غير مألوف: "دي؟".

تمتمت: "لم أستطع إنقاذه، لقد حاولت، ولكن لم أستطع الوصول إليه، لا أستطيع رؤية الأرض".

أسكتني الصوت وقال: "كل شيء بخير، أنتِ في أمان هنا".

فتحت عيني قليلًا، وأدركت أن الصوت يعود إلى شخص لا أعرفه. لم أعتقد أنني أعرفها على الأقل، لقد بدت مألوفةً بشكل غير مفهوم، هل كانت واحدةً من هلوساتي أيضًا؟ سألتها بضعف: "من أنتِ؟".

ابتسمت وقرّبت كرسيها إلى جانب السرير النقال وقالت: "أنا سارة، أخت نوني، وقد طلب مني سي أن أبقى معك فترةً من الزمن".

سمعت صوتي يتعالى بشكل هيستيري: "سي؟ أين سي؟ الفيراغ قادمون، يجب أن أساعده". هل يوجد فيراغ؟ تلاشت ذاكرتي فجأةً. جاهدت من أجل الجلوس، ولكن سارة وقفت ووضعت يدها عليّ.

قالت سارة: "اهدأي ولا تتحركي. سي بخير، لقد خرج وسيعود خلال فترة وجيزة. هل تودين سماع قصة بينما ننتظر عودته؟".

تنفست الصعداء: "قصة". إنها مناسبةٌ الآن من أجل صرف تركيزي عن الخوف اللامنطقي الذي أعاني منه. لقد أعطاني الطبيب آخر ما لديه من الصادات الحيوية والتي ساعدت إلى حدّ كبير في الحيلولة دون ارتفاع درجة حرارتي، ولكن ما زلت امتلك ذهنين منفصلين في رأسي - أحدهما نفسي الحقيقية والتي تعلم أنني أهذي، والأخرى نفسي المحمومة التي تعتقد وجود خطر مجهول قادم.

ترددت سارة وقالت: "حسنًا، لقد اعتادت أمي أن تحكي قصصًا لنا منذ أن كنا صغارًا، فلنرَ ما لدينا...".

سألتها في ذهول: "أمك؟ هل تعرفين أمك؟".

أجابتني: "أجل في الحقيقة. لم أقض ونوني طفولتنا في ملجأ. نحن من مقاطعة ليك إلى الجنوب من هنا إلى جوار فالس الكبيرة. مضت خمسة أعوام فقط على وجودنا في ديفينيتي. بالكاد نعرف والدنا؛ لقد توفي عندما كان عمري سنتين تقريبًا. ولكن والدتي... حسنًا، على أي حال، اعتنت بنا جدتي فترةً من الزمن، ثم توفيت هي الأخرى، ولذلك لم نمتلك خيارًا آخر. كانت ديفينيتي أقرب مدينة خيام إلينا، ولم أشأ ونوني أن نصبح عبيدًا زراعيين أو نذهب إلى بيوت الدعارة".

سألتها مجددًا: "مهلًا... هل تعرفين جدتك أيضًا؟". لقد أصابني الذهول، حيث من النادر أن ألتقي أحدًا في مثل سني ويعرف واحدًا من والديه، ناهيك عن جديه.

ابتسمت حنينًا إلى ذكراها وقالت: "أجل. كانت لطيفةً، وبذلت قصارى جهدها في رعايتنا بعد والدتي رغم تقدمها في السن وضعفها بسبب الإشعاع. لقد سكنت قرب الحدود طيلة حياتها، وتعرضت تلك المنطقة إلى قصف شديد من الدازلرز خلال حرب الفيراغ. لم نمتلك أنا ونوني سوى بعضنا بعد وفاتها، وكان البقاء بمفردنا خطيرًا جدًّا".

سألتها وقد نالت طبيعتي الفضولية مني: "أنا آسفة جدًّا، ولكن ما الذي أصاب والدتك؟ لست مضطرة إلى إخباري إن لم توّدي ذلك".

قالت سارة: "أوه لا، لا بأس. حدث ذلك منذ وقت طويل، هذه قصة مناسبة نوعًا ما. لقد استمرت الحياة بشكل طبيعي في مقاطعة ليك بعد هزيمة الفيراغ على يد الاتحاد، وذلك لكونها بعيدةً جدًا عن المترو. كانت منطقةً سياحيةً على الدوام يبيع فيها الحرفيون والتجار البضائع إلى سكان المدن. امتلكت والدتي متجرًا صغيرًا في المدينة حيث صنعت الشموع، والزيوت العطرية، وأشياء مشابهة، كما زرعت شتى أنواع الزهور والأعشاب في دفيئة في حديقة منزلنا. أستطيع تخيلها الآن تحمل سلةً وتقطف أفضل الزهور من أجل وصفتها التالية. فاحت من المطبخ رائحة الخزامى دومًا... على أي حال، تجاهل الاتحاد أمر الضواحي سنين طويلةً كفايةً كي ينسى الناس الصفقة التي أبرمها أدناك لتحقيق يل الانتصار في الحرب. ولذلك بدأ الاتحاد في نهاية الأمر يفرضون

مطالبهم، ويصرون على أن يبيع التجار بضائعهم إلى الأثرياء المفضلين لدى الحكومة. عقد مسؤولو مقاطعة ليك اجتماعًا وأرسلوا بيانًا إلى الاتحاد يرفضون فيه عرضهم. يمكنك أن تتخيلي ردّ فعل الاتحاد على ذلك. في أحد الأيام أتت أسراب من البلوز يحملون بنادق الليزر وقنابل الفلاش. احتلوا المدينة قبل أن يقدم أحد على فعل أي شيء وحاصروا التجار. لقد استولوا على كل المتاجر بالقوة، أنت تفهمين ذلك.

كنت مع نوني في المدرسة، وأرسلنا المعلمون إلى المنزل بعد معرفتهم بما يجري. لقد كررت والدتي على مسامعنا منذ أشهر أنه في حال قدوم الاتحاد، فسنحمل ما نستطيع ونهرب إلى جدتنا، وهذا ما فعلناه. استغرقنا كثيرًا من الوقت من أجل الوصول بسبب حاجتنا المستمرة إلى الاختباء من مواكب الاتحاد الذين يذرعون الطريق ذهابًا وإيابًا".

سألتها دون رغبة في معرفة الإجابة: "ولكن ماذا فعلوا بأصحاب المتاجر؟".

أجابتني بصراحة: "لقد أرغموهم على الصعود إلى شاحنات شمسية وأخذوهم إلى فالس، وألقوا بهم في المياه. أعتقد أنهم أرادوا أن يجعلوا منهم عبرةً".

قلت لها: "هذا سيئ جدًا، لم أعلم شيئًا عن أعمال الاتحاد هذه، حيث لم يقصوا علينا شيئًا من التاريخ في دور العمل".

أجابتني: "أجل. استطعت رؤيتهم مجتمعين في ساحة المدينة خلال طريقنا من المدرسة إلى المنزل. كان الرجل الذي يدير العملية

طويلًا، وذا عينين باردتين، وبدا أن أنفه انكسر أكثر من مرة. سأتعرف إليه إن رأيته مجددًا، وكذلك الأمر بالنسبة إليه". توقفت عن الكلام قليلًا. لم أدرِ ماذا أقول، وتشوش ذهني مجددًا، ثم تابعت سارة: "عندما أفكر في أمي، أتخيلها في الحديقة تجمع الأزهار. يساعدني ذلك".

قلت لها: "لم ألتقِ أمي مطلقًا، فقد تركتنا منذ كنا أطفالًا رضّعًا. أنا..". انتابتني موجة مفاجئة من الألم فجأةً صرخت من شدتها. شعرت بالدوار وتراءت أمامي ومضات من أوجه وأسنان حادة مجددًا.

قالت سارة بقلق: "اهدأي، دعينا من هذا الكلام الكئيب. لم أقصد إزعاجك. لقد أخبرتني أنك لم تسمعي شيئًا عن التاريخ في دور العمال، إذًا دعيني أقص عليك قصةً من الأيام القديمة، ربما تحبينها. اعتادت جدتي أن تحكيها لأن بطلتها امرأة من مقاطعة ليك خاطرت بحياتها وسافرت عبر الغابة كي تنقذ بلادها...".

بدأت سارة الكلام. كان لطيفًا الاستلقاء هناك والاستماع إلى صوتها الهادئ الناعم. كانت القصة جيدةً، حيث تحدثت عن جيشين: أحدهما يحمي أدناك والآخر يحاول الاستيلاء عليها، وعن المرأة التي سمعت صدفةً خططًا حول كمين ما، ومشت عشرين كليكًا من أجل التحذير من الهجوم. قاطعتها كثيرًا من أجل معرفة التفاصيل عن كيفية تخليها عن أبنائها رغم معرفتها أن وقوعها في مأزق قد يعني هلاكهم، وكيف ساعدتها مجموعة من الناس النبلاء تُدعى موهاوكس، حتى وصلت أخيرًا إلى المعسكر وأخبرت الجنود المعلومات التي في حوزتها. تحول الإنصات بعد قليل إلى تخيل، حيث ظهرت المرأة من

القصة أمامي. كان شعرها أصهب، وحملت سلةً من الأزهار، والتفتت إليّ وابتسمت قائلةً: "لا تقلقي، سـتربحين".

حاولت أن أسألها ما الذي سأربحه، ولكن لم أستطع الكلام. مشت المرأة مبتعدة، فصرخت فيها أن تنتظر، وحاولت جاهدةً أن أرفع صوتي. التفتت إليّ مجددًا للحظة وقد ملأت الدموع عينيها وهمست: "سأعود من أجلك، أعدك". ابتعدت عني، وأخذت الزهور في السلة تذبل وتستحيل سوداء، وتطايرت بتلاتها المحترقة إليّ كغيمة مظلمة ازدادت كثافتها شيئًا فشيئًا حتى منعتني من رؤية المرأة تمامًا. لمع البرق وملأ الرعب رأسي مثل أزيز الذباب وازداد تدريجيًا.

حاولت أن أصرخ: "مهلًا" مرةً أخيرةً، وتمكنت من ذلك، فأجفلت سارة، وانزاح غطاء مدخل الخيمة في اللحظة نفسها، ودخل الطبيب مسرعًا وتوجه نحو السرير وفي يده علبة حبوب. تبعه روغان حاملًا كلبًا صغيرًا، وقد بدا شاحبًا. لماذا يحمل كلبًا؟ هل أنا أهلوس مجددًا؟ أخرج الطبيب بعض الحبوب من العلبة وقال: "خذي، هذه الحبوب هي ما تحتاجينه، تناوليها على الفور". أخذتها منه وابتلعتها مباشرةً من دون أسئلة، ثم نظرت إليه وإلى روغان في ارتباك وخوف.

سألتهما والرعب يتنامى في رأسي: "أين سي؟". لم يقل الطبيب شيئًا، وحدق روغان إلى الأرض. صرخت مجددًا: "أين سي؟". أدركت حينها سبب خوفي.

14 سي



ألقينا نظرةً خاطفةً أخيرةً حولنا كي نتأكد من خلو المكان. مشيت وروغان القرفصاء سريعًا عبر فتحة خلف الألواح. سحب روغان حاجز الألواح المزيف كي يغلق الباب وغرقنا في الظلام، وتبددت حرارة النهار سريعًا، انتظرت حتى اعتادت عيناي على الموجودات الغريبة حولي، كان الهواء كثيفًا وكريهًا. أخيرًا ساعدني الضوء الضعيف الذي يومض من الشقوق في حاجز الألواح على رؤية المكان الذي نقف فيه. كنا أعلى مجموعة من السلالم التي تؤدي إلى الظلام في الأسفل. وقف روغان إلى جانبي ومدّ يده إلى حقيبة ظهره، وأخرج مصباحًا شمسيًا وهمس: "لقد شحن كفايةً من أجل الرحلة"، وأناره، فكشف ضوؤه عن نهاية السلالم والأرضية المنقوشة التي تليها.

سألته: "لماذا تهمس؟". بدا من المستبعد أن يسمعنا أحد من الشارع.

ضحك روغان مرتبكًا وقال: "لا أدري، يصيبني الفزع دومًا في الأنفاق. لم أصادف شيئًا قط سوى الجرذان كالعادة، ولكن هناك قصص...".

قاطعته بخشونة قائلًا: "سنستمع إلى قصصك لاحقًا، لا وقت نضيعه الآن".

وضع المصباح أمامه، وأمسك سياجًا معدنيًا متصلًا مع الحائط وقال: "أنت محق. انتبه من درجات السلم فبعضها هش". ونزل دون أن ينظر إلى الخلف منتقيًا خطواته بعناية كي يتجنب المناطق المتضررة. تشبثت بالسياج ولحقت به.

تفقدت المكان حولي عندما وصلنا إلى الأسفل، ولكن لم يتح لي الظلام أن أتبين سوى أننا في منطقة مفتوحة تبعثرت فيها الأوراق والقمامة. نقل روغان المصباح في الأرجاء باحثًا عن شيء ما، وتمكنت من رؤية أكشاك زجاجية ومتاريس.

أشار روغان: "من هنا". تجاوز أحد المتاريس، واتجه ناحية مجموعة أخرى من السلالم.

لم يسبق لي أن كنت تحت الأرض، وقد سبب لي ذلك قليلًا من رهاب الأماكن المغلقة، فسألته: "كم بقي من المسافة نزولًا؟".

هزّ روغان كتفيه وقال: "ربما عشرون مترًا؟ لست متأكدًا، ولكن تبقى أمامنا مجموعة أخرى من السلالم وسنصل إلى الأنفاق، هيا بنا".

نزلنا المجموعة الثانية من السلالم والتي كانت معدنيةً متعرجةً ومدببةً، وأدهشني ما رأيت في نهايتها. وقفنا على منصة طويلة ذات أعمدة امتدت إلى السقف ونحتت في أشكال رائعة، كالحيوانات والبشر غريبي المظهر، وزينت الرموز بعضها الآخر. كتبت كلمة "متحف" بلون قرميدي على ارتفاع أربعة أقدام على الجدار.

تنفست وقلت:" ما هذا المكان؟".

أجاب روغان: "اعتاد الناس انتظار القطارات هنا، ولكن لا أدري ماهية هذه المنحوتات، لعلها تعود إلى الشعوب القديمة، وأيا كان صانعها فقد اندثر في غابر الزمن. يجب أن ننزل إلى السكك الحديدية". اتجه إلى حافة المنصة، وقفز إلى فجوة قذرة ظهرت خلالها سكك حديدية تقود إلى ظلمة النفق.

رسمت في ذاكرتي صورة الأعمدة والأشكال المنحوتة عليها كي أحاول صنع نسخ منها لاحقًا، سأتمكن بذلك من الحصول على كمية لا بأس بها من المال. قفزت خلف روغان، وألقيت نظرةً أخيرةً على الأعمدة قبل أن أدخل النفق.

مشينا بصمت فترة، تخللها صوت أقدامنا على التراب إضافةً إلى أصوات الخربشة التي لا أشك في كونها جرذانًا. تساءلت إن كان هذا المكان مصدر اللحوم في بلاوبلاو، فهوموقع ممتاز للصيد من أجل عرض ليلة الجمعة عندهم. شعرت أننا مشينا ساعات عندما توقف روغان أخيرًا وقال: "سنصادف نفقًا فرعيًا قريبًا، حيث ستنقسم السكة الحديدية إلى قسمين. انتبه جيدًا إلى وجوده، يجب أن نتجه شرقًا".

كنت متأكدًا بما فيه الكفاية أننا وصلنا بعد بضع دقائق إلى التقاطع، وأخذت ألهث مع اقترابنا منه.

صرخت قائلًا: "ما *هذا*؟". ظهرت أمامنا مجموعة من الحاويات المعدنية التي جُمعت معًا وزُوّدت بعجلات.

ضحك روغان وقال: "هذا؟ إنه أحد قطاراتنا، هل تود إلقاء نظرة عليه؟ لن يستغرق الأمر كثيرًا".

لم أستطع المقاومة رغم ضيق وقتنا وقلت له: "حسنًا لا بأس بقليل من الوقت...".

ضحك روغان في حماسة، وهرول سريعًا إلى مقدمة الحاويات، والتفت إليّ وقال: "انتظر فحسب - إن الأمر يستحق ذلك".

دخلنا عبر شق صغير بين بابين إلى داخل القطار. تبعت روغان إلى المقدمة حتى وصلنا إلى كابينة القيادة حيث جلس السائق يومًا ما. ذكرني ذلك بعربات الترام الشمسية التي يستعملها الأثرياء من أجل الانتقال من رصيف الميناء إلى المدينة. يعيش الكثير منهم على الجزيرة ويعبرون البحيرة عندما يريدون التسوق في ليبرتي أو السوق الخفية، أو الحصول على الرعاية الطبية، سواء كانت ضروريةً أم تجميلية. أخبرتني دي أن آخر صيحات الموضة هي تعديل الأجفان جراحيًا كي تبدو مثل أجفان الأشخاص المهمين في الاتحاد. يعود أصل معظم الأشخاص ذوي المراتب العليا إلى تشين وجان اللذين يشكلان البر الرئيسي، وقد رأيت سابقًا صورًا للمؤسسين في الكتب التي وجبت علينا قراءتها في دور العمال، كانت أشكال أعين الرجال والنساء فيها مثل حبة اللوز، وهذا ما حاول الأثرياء محاكاته بشدة. كانت عربات الترام الشمسية المترفة التي تنقل الأثرياء مقاعد مخمليةً وأشهى أنواع الطعام والشراب، على عكس قطارنا القذر المعطل، ذي أغطية المقاعد الحمراء الممزقة، والقضبان المعدنية الصدئة.

أشار روغان إلى لوحة مفاتيح تحمل مئة زر على الأقل، وقال متلهفًا: "أنصت إلى هذا"، وضغط واحدًا من الأزرار. دوى صوت فرقعة

في الأرجاء، وتردد صدى صوت امرأة تقول: "من فضلكم ابقـ... ابتعدوا... الأبواب".

أجفلت عند سماع الصوت فجأةً وقلت: "ما كان ذلك؟".

أجاب روغان: "أنا لا أدري، تستطيع قول الكثير من الأشياء حول المحطات وأسماء نقاط العبور. أتمنى لو أن القطارات ما زالت تعمل حتى يومنا هذا، ولكنها تستهلك بطاريات مائيةً كوقود، فضلًا عن انقطاع السكك الحديدية في الكثير من الأماكن. لم يبقَ من البطاريات المائية إلا ما يتيح لها التحدث، ولكن ليس من أجل تشغيل القطارات. أفكر أحيانًا في الناس الذين اعتادوا أن يركبوا هذه القطارات من بادلانس كل يوم قبل الحروب كي يذهبوا إلى عملهم في المركز، وفي ماهية حياتهم، وعدم حاجتهم إلى السرقة وتناول "اليخنة"، ورؤيتهم الثلج كل عام، فضلًا عن عائلاتهم التي تنتظرهم في منازلهم".

أجبته: "أجل هذا صحيح، أتمنى لو أستطيع رؤية الثلج. يذكره أولد ماك، ويقول إنه كان جميلًا".

وقفنا تائهين في أفكارنا برهةً من الزمن، ثم تذكرت فجأةً سبب قدومنا إلى هنا، وأن روغان ليس صديقي، فقلت له بخشونة قبل أن أندفع سريعًا من كابينة القيادة عبر ممر القطار وأخرج إلى السكك الحديدية: "نحن نضيع الوقت، من أي طريق سنذهب؟".

من المؤكد أن روغان شعر بغضبي، ولذلك أشار إلى الوجهة وبدأ يمشي. تابعنا مسيرنا حتى وصلنا إلى ملتقىً آخر، والتفتنا جنوبًا. مررنا بمنصة، ولكننا لم نتوقف عندها، بل عند منصة أخرى بعد نصف كليك

تقريبًا. وضع روغان يديه على الحافة، ورفع نفسه إلى أعلى، وفعلت مثله. كتب على اللافتة المعلقة على الجدار "الكلية". لم تكن نقطة الوصول هذه في مثل زخرفة نقطة المتحف. جل ما رأيته لوحات باهتةً على الجدران صوّرت شخصيات في بذلات متماثلة تحمل عصيًا وتنتعل أحذيةً مزودةً بما يشبه السكاكين.

رآني روغان أحدق إلى الأشياء حولنا بينما مشينا جنبًا إلى جنب، وقال لي: "كان هنالك لعبة يمارسونها، التزحلق على الجليد بواسطة العصي".

قلت غير مصدق: "الجليد؟ أود رؤيته بقدر رؤية الثلج". وضعت هذه الصور إلى جوار ما رأيته في المتحف. لديّ كثير من العمل عندما نعود، وأستطيع النحت في الخيمة وأنا أنتظر تعافي دي.

قال روغان: "لقد حان الوقت، ارتدِ الملابس واعتمر القبعة. سنكون بخير إن لم يرنا أحد عن كثب. وبذلك نستطيع الاقتراب من الحدائق كفايةً كي نخطف أحد الكلاب".

ارتدينا الملابس في صمت، وكان ردائي واسعًا بعض الشيء، ولذلك لففت كمي وساقي البنطال من الأسفل كي لا أبدو في مظهر غريب إن رآني أحدهم عن بعد. بدأ التوتر يتغلغل في نفسي، وكذلك روغان الذي لم يبدُ مطمئنًا. صعدنا السلالم من المنصة إلى منطقة أخرى تشبه سابقتها من حيث الأكشاك الزجاجية والمتاريس، ووصلنا إلى مجموعة أخرى من السلالم التي صعدناها أيضًا حتى بلغنا ما بدا أنه جدار معدني بدلًا من الألواح الخشبية وكومة الأنقاض.

سألته: "كيف سنخرج؟".

أجاب روغان: "انظر عن كثب"، وقرب المصباح ناحية الجدار. ساعدني الضوء على رؤية شق مع قضيب مسطح بدا وكأنه مقبض. أطفأ روغان المصباح ووضعه في حقيبته، وفي الظلام، رأيته يمسك المقبض ويشده بقوة. تبين في النهاية وجود مستطيل في حجم باب في منتصف الحائط وقد انفتح بضع بوصات. استرق روغان النظر وقال: "أنا لا أرى أحدًا، فلننطلق بسرعة".

خرجنا إلى الممر الإسمنتي، وأغلق روغان الباب مجددًا كي يعود إلى هيئة الجدار الصلب، ثم قال يحذرني: "نحن على بعد نصف كليك تقريبًا، ولذلك أبقِ عينيك مفتوحتين جيدًا، دعنا نتجه إلى ذلك المبنى، وسننطلق من هناك".

كان البناء سليمًا ولكنه مهجور. علقت لافتة باهتة ملتوية من وجهها الأمامي وكتب عليها "المعاملات هنا". لا بد وأن الناس قصدوا هذا المكان من أجل تعبئة محفظة معصم كل منهم - محفظة المعصم عبارة عن شريحة مصرفية مزروعة في معصم الفرد - ولكن لا يمتلكها سوى الأثرياء الآن، ويمكنهم تعبئتها في المنزل. أما النقود الحقيقية، فلا يستعملها إلا العمال الأحرار والأثرياء الذين يقصدون السوق الخفية، حيث أننا لا نمتلك أيًا من الـ "سكان بانك" خاصتهم.

أنا شخصيًا أفضل صلابة القطعة النقدية مقابل النقود الهوائية. أسرعنا في مسيرنا إلى الأمام نلتفت في جميع الاتجاهات خشية البلوز. أخيرًا، وصلنا إلى المبنى من دون أن يرانا أحد. سألت روغان في صوت خافت: "ماذا الآن؟".

أجاب روغان: "يوجد صف من واجهات المحلات القديمة في البناء التالي أمامنا. نستطيع الالتفاف حولها، لقد اقتربنا".

تسللنا سريعًا مجددًا وأحنينا ظهرينا وركضنا في نفق قليل الارتفاع. لم يظهر البلوز حتى الآن. توقفنا وأشار روغان إلى بناء حجري قديم ذي سقف مدبب أمامنا وقال: "هذه هي المحطة الأخيرة، لقد حان وقت العمل".

شعرت بمعدتي تنقلب بينما تابعنا التقدم. كنت أحاول التركيز بشدة على تدعيم الجدار الذهني بيني وبين دي حتى أوشكت على الاصطدام بظهر روغان عندما توقف فجأةً. نظرت خلفه - ورأيت رجلًا وامرأةً من الأثرياء مع حارسين من البلوز، فضلًا عن اثنين من اللوبوت يصدران أزيزًا حولهما. قال روغان: "تصرف بشكل طبيعي. تظاهر أننا نتسكع فحسب ونتجاذب أطراف الحديث".

همست باستهجان: "ما الذي سنتحدث عنه بحق الجحيم؟ هل سنتحدث عن الطقس؟".

أجابني: "انتظر - إنهم يذهبون في الاتجاه الآخر... وسيطر على توترك الشديد - أوشكنا أن نصل، لن يطول الأمر قبل أن نحصل على أحد الكلاب، والحلي، والدواء أيضًا، ركّز على *هذا* الجزء".

لحقنا بهم وحافظنا على مسافة ثابتة بيننا وبينهم. أخيرًا، انعطفوا يمينًا وصولًا إلى طريق يؤدي إلى بناء ضخم مبني من الزجاج والمعدن. رأيت عشرات الأثرياء يرتدون أقنعةً متشابهةً يتبخترون مع كلابهم الصغيرة خارج المبنى الرئيسي ويدخلونه، منهم الرجال ذوي الرؤوس الحليقة التي ملأتها

الوشوم، والنساء ذوات الشعر المستعار مفرط الألوان. أحاط سياج من الأشجار بكامل المبنى، وبدا ذلك مكانًا مناسبًا من أجل الاختباء والانتظار. دخلت وروغان في فجوة بين الأشجار، وأخذنا نتفحص الحشد في انتظار ابتعاد أحد عن المجموعة. بعد فترة، تقدمت امرأة ثرية صوب مخبئنا، كانت ذات شعر أزرق لامع وعينين عصريتين. صبت اهتمامها كليًا على كلب أبيض صغير ذي طوق رصعته الحلي بشكل جميل، تحدثت إليه كما يتحدث المرء إلى طفل رضيع، وانحنت كي تعطيه بعض الطعام الذي أخرجته من حقيبتها بينما هو يركض في دوائر ويقفز من أجل التحلية. بدا أن الملل قد سيطر بشدة على البلوز الذي يحرسها، وكان مهتمًا أكثر بالناس الذين يدخلون الأتريوم الزجاجي بدلًا منها. اقتربت منا أكثر فأكثر. اندفع روغان فجأةً من دون سابق إنذار وانتشل الطوق المرصع بالماس من يدها وحمل الكلب. صرخت المرأة، ونبح كلبها بصوت حاد ومرتفع، التفت الحارس حينها كي يرى سبب هذه الفوضى.

صرخ روغان: "اهرب"، ووضع الكلب تحت ذراعه، وانطلق متجاوزًا إياي عبر سياج الأشجار إلى الجانب الآخر. التفت كي أتبعه، ولكن علقت قدمي اليمنى في ساق بنطالي التي انسدلت بشكل ما خلال طريقنا إلى هنا دون أن ألاحظ ذلك. خطوت خطوتين قبل أن أسقط على الإسمنت، وعلقت قدمي في سياج الأشجار، وأطبق شيء ما على كاحلي في تلك اللحظة.

التفت روغان ورآني، تمهل كي يعود إلّي، ولكنني صرخت: "لا.. تابع طريقك.. اتركني". ألقى عليّ نظرة، وركض عبر الشارع إلى نقطة

العبور والكلب الصغير يتلوى تحت ذراعه وينبح.

ازداد إطباق المشبك على كاحلي إلى درجة آلمتني بينما أمسكني أحد من شعري ودفع رأسي إلى ركبتي، وقال صوت أجش: "أمسكتك أيها العامل الحر القذر"، وصفعتني يد بشدة قرب أذني، وضع غطاء على رأسي، وشعرت بوخزة عندما أمسك لوبوت كاحلي وحقنني بواسطة سهمه المخدر. انهار الجدار الذهني بيني وبين دي، وغرق العالم في السواد.

15 دي

جالت عيناي في أرجاء الخيمة، وصرخت مجددًا: "أين سي؟ ما الذي أصابه؟". حاولت جاهدةً رفع نفسي كي أجلس على السرير. استطعت سماع صوت المطر في الخارج يتساقط على الخيمة وسط فجوة الصمت التي خلفتها صرخاتي.

جر روغان قدميه وكأنه على وشك البكاء، وأخذ الكلب يتلوى تحت ذراعه، وتحرر من قبضته، ثم انطلق إلى تحت الكرسي في الزاوية حيث ارتجف مصدرًا أنينًا.

بدأ روغان الكلام: "دي، أنا..". ولكن الطبيب قاطعه وأمرني بصوت أجش: "يجب أن تهدئي وتنصتي إلينا. لا تتحركي حتى لا تؤذي نفسك".

بكيت وقلت: "أخبروني ما الذي يجري فحسب أعلم بوجود خطب ما. لقد كان خائفًا ويتألم، أما الآن بالكاد أشعر به".

نظر روغان إلى الأرض وقال بهدوء: "لقد اعتقله البلوز... لم أرغب أن يرافقني، لقد رفضت ذلك، ولكنه لم يصغِ إليّ".

حدقت إليه غير مصدقة وقلت: "أن يرافقك إلى أين؟ لقد كنت ذاهبًا إلى العمة ماي، كيف وصل البلوز إلى هناك؟". لم يكن كلامه

منطقيًا. إن كان البلوز في ديفينيتي، فالخطر يحدق بنا. يجب أن نهرب، لا أن نجلس هنا فحسب.

بدا روغان مرتبكًا، وأدرك أن هذا ما أخبرها سي إياه، ثم قال: "العمة ماي؟.. لا، ذهبت أسرق كي أحصل على المال من أجل الدواء الذي تحتاجينه. أخبرته ألا يرافقني وأن الأمر خطير، ولكنه أصر على ذلك. وجب عليه أن يراقب فقط..."

صرخت: "حسنًا، لماذا أنت هنا؟ لماذا لم يعتقلوك أنت الآخر؟".

أجاب روغان وقد ملأ الحزن صوته: "عدت أدراجي كي أساعده، ولكنه طلب مني أن أهرب. وجب أن أحضر لك الدواء، هل تعين ذلك يا دي؟ لم أشأ أن أتركه هناك، ولكن لم يكن لديّ خيار، كان على قيد الحياة عندما هربت، وما زال كذلك، أنا متأكد. لقد حقنه اللوبوت بمادة مخدرة على الأرجح".

توقفت عن البكاء، ونظرت إلى روغان ببرود وقلت: "وماذا سيحدث عندما يستيقظ يا روغان، هل تعتقد أنهم سيسمحون له أن يأتي إلينا راقصًا على موسيقى الفالز؟ كيف أمكنك فعل ذلك يا روغان؟ وأنت تعلم أنه ليس لصًا".

تدخل الطبيب وقال: "لا تلومي روغان، لقد حاولنا جميعًا منع سي، ولكن من دون فائدة، إنه عنيد مثلك، ولكن لديه طريقته الخاصة".

أجبت بغضب: "ماذا؟ هل تقصد أنكم جميعًا كنتم تعلمون ولم يخبرني أحد؟ سأذهب كي أنقذه، لقد حُسم الأمر". نهضت عن السرير رغم الألم، ولكنني شعرت بالدوار بعد خطوتين من المشي. حاولت

الاستناد إلى الكرسي قرب السرير، ولكنني لم أستطع، فأمسك بي الطبيب قبل أن أقع أرضًا.

قال الطبيب: "لن تذهبي إلى أي مكان، ليس قبل يومين على الأقل. عاودي الاستلقاء وفكري قليلًا. نحن لا نعلم مكان سي".

توقف العالم عن الدوران حولي، وأدركت أن الطبيب محق، فأنا لن أفيد سي وأنا في هذه الحال. احتجت إلى المعلومات والتفكير. قلت بشكل حاسم: "حسنًا يجب علينا أن نكتشف ذلك... روغان، أحضر سيريدوين لعلها تعلم شيئًا ما، وأخبر العمة ماي بما حدث".

أجابني: "لقد فعلت كلا الأمرين، لقد أرسلت سيريدوين كي تجمع المعلومات من معارفها في منزل الدعارة والكاسينو، ثم سنحتاج إلى فك شيفرة رسائلها". ثم تنهد.

قلت: "سي هو الشخص الوحيد الذي يجيد فكّها بشكل جيد، يا لسخرية القدر". شعرت بعيني تتثاقلان، وبالألم ينبض في ظهري تزامنًا مع ضربات قلبي. صرخت مرغمةً، واعترى القلق الطبيب من فوره وقال: "سيتطلب الأمر جرعتين قبل أن تظهر فعالية دواء المرسا. تحتاجين إلى الراحة في هذه الأثناء".

ضحكت ساخرةً: "الراحة؟ كيف أرتاح مع كل ما يجري؟". مع ذلك، تثاقلت أجفاني أكثر فأكثر رغمًا عني. سمعت الطبيب يقول: "ربما ستساعدك حبة المنوم التي دسستها في دوائك"، ثم خيم الظلام حولي.

تراوحت بين الغيبوبة واليقظة خلال الفترة التالية التي لا أدري كم طالت، ولكنني قدرتها عن طريق عدد المرات التي سألت فيها: "ألم

تصل سيريدوين بعد؟"، وفي كل مرة كانت الإجابة بالنفي. كان الطبيب إلى جانبي في كل مرة أستيقظ فيها كي يعطيني جرعةً أخرى. بدأ الألم يزول تدريجيًا، واختفت الحمى تمامًا، لم أعد أشعر بشيء سوى الإرهاق. لم تساعدني حقيقة أن نومي لم يكن مريحًا - حيث راودتني أحلام رهيبة: سي في الكهف مع الفيراغ، والبلوز يضربونه، وسقوطه عن المنصة كما في حلمي عن تريك. لا أزال عاجزة عن سماع صوته في رأسي، وقد أخافني ذلك كثيرًا. وجب أن أتمسك بالأمل الذي منحنا روغان إياه، وهو أن سي فاقد الوعي فقط. لقد سمعت قصصًا حول قوة لسعة أسهم اللوبوت المخدرة، وسأكون سعيدةً إن اقتصر الأمر عليها فحسب، حيث أن استمرار سي في النوم يكافئ عذابًا أقل حتى نصل إليه وننقذه، وكان السبيل إلى ذلك حكاية مختلفة.

أخيرًا، استعدت وعيي للمرة الأولى منذ فترة طويلة، وكان ذهني أكثر صفاء بعض الشيء. ما زلت أستطيع سماع صوت تساقط قطرات المطر وسط واحدة من العواصف الشتوية المدارية التي تشتد أكثر فأكثر. هل نحن في فصل الشتاء؟ من الصعب معرفة ذلك نظرًا إلى حرارة الجو الشديدة في هذا الجزء من البلاد. يقول الناس إن الشتاء كان باردًا جدًا في قديم الزمان، ومتجمدًا في بعض الأحيان. كان تمييز الفصول سهلًا في الملجأ شمالًا - حيث تنخفض درجة الحرارة قليلًا مع انتهاء موسم الرياح الموسمية وتبقى على مستوى الدفء ذاته بقية العام، وهذا ما جعل المكان مناسبًا من أجل نمو المحاصيل. أما هنا، فلا شيء ينمو سوى الأعشاب بفضل الأمطار الحارة، والشمس الأكثر حرارةً التي تبخرها.

أدركت وأنا مستلقية اختفاء الحرارة من ظهري مع بقاء الكدمات والتورم. شعرت بالراحة، ثم حاولت الجلوس ونجحت في ذلك. رأيت روغان يجلس على الكرسي في الزاوية، والكلب ملتويًا على نفسه قرب قدميه مثل كرة من الفرو. نهض روغان واقترب من السرير، ووضع مزيدًا من الوسائد خلف رأسي، وسألني والقلق بادٍ في عينيه: "لقد استيقظت، كيف تشعرين؟".

أجبته: "أنا أتضوّر جوعًا في الحقيقة".

أسرع إلى المبرد في الزاوية، وأخرج علبةً لوّح بها لي وسألني: "هل تعتقدين أنك تستطيعين تناول بعض اليخنة؟".

اكفهر وجهي وقلت: "يا إلهي، يخنة... ولكنني جائعة جدًا، أنا واثقة من قدرتي على ابتلاعها رغم صعوبة الأمر... ما الذي جاء بهذا الكلب إلى هنا؟". حيث وقف الأخير ينوح في الزاوية.

بدا روغان محرجًا وأجاب: "لقد حصلنا على المال عن طريقه، حيث بعنا الحلي التي كانت على طوقه وحبله، ولكن لا تقلقي حياله، سآخذه إلى الجزار لاحقًا كي نحصل على المال من أجل شراء شيء أفضل من اليخنة".

صرخت بقوة جعلت روغان يتراجع خطوةً إلى الوراء والكلب يجري إلى تحت الكرسي خائفًا: "سيعود سي إلى هنا، وقد أراد دومًا الحصول على كلب، لذلك سنحتفظ به".

أراد روغان قول شيء ما، ولكنه تراجع: "دي... حسنًا، سنحتفظ بالكلب الغبي".

قلت له: "أنا سعيدة أننا اتفقنا على ذلك، والآن أخبرني القصة كاملةً، لا أصدق أن خطتكما العظيمة كانت سرقة كلب".

أجاب روغان وقد شعر بالإهانة: "حسنًا، ولم لا؟ لقد كان غنيمةً سهلةً. لم يكترث البلوز الذي يحرس الثرية بشأنه. كانت الأمور ستسير بخير لولا تعثرت قدم سي وسقط أرضًا".

قلت له: "لا تلقِ اللوم على سي في ذلك، أنت تعلم أنه ليس خبيرًا أبدًا في السرقة".

أجابني: "ماذا تريدين مني أن أفعل؟ أن أضربه حتى يفقد وعيه؟ أو أقيده؟ لقد كان جيدًا جدًا في التسلل على أي حال، كل ما في الأمر أن الحظ لم يحالفه...".

توقفت عن سماع حجته لوهلة، حيث بدأت أشعر بشيء ما في رأسي، كان ضعيفًا في البداية، ولكنه ازداد تدريجيًا. قلت لروغان: "اصمت قليلًا"، وركّزت على إحساسي.

تسارع نبضي وصرخت فجأةً: "إنه سي، أنا أشعر به إنه خائف، ولكن... إنه غاضب أيضًا، هذه علامة جيدة". ارتحت وابتسمت لروغان.

قال روغان وهو يهز رأسه: "لم أفهم أبدًا كيف تقومان بذلك، ولكنني سعيد به"، ومرر إليّ طبقًا من اليخنة فأخذت أتناوله بنهم، فضحك عليّ وأشار إليّ أن أتناوله بهدوء، ثم ملأ ملعقةً من العلبة ووضعها على الأرض قرب الكرسي. تنبه أنف الكلب الصغير إلى الرائحة، فخرج من تحت الكرسي وبدأ يلعق الملعقة.

وجدني روغان أحدق إليه، فقال بشكل دفاعي: "ماذا؟ إن أردت الاحتفاظ به فيجب علينا إطعامه".

جلسنا صامتين لبعض الوقت. أضاء المصباح الشمسي فجأةً، ثم انطفأ، وأضاء مجددًا. انزاح في الوقت ذاته غطاء باب الخيمة بهدوء، ودخلت سيريدوين وأدخلت معها بضع قطرات من المطر، وتبعتها العمة ماي.

أسرعت سيريدوين، وارتمت على الكرسي إلى جوار السرير، وأزالت قبعة ردائها عن رأسها، وأزاحت بضع خصلات من شعرها عن خدها، وحدقت إليّ بتركيز، ثم قالت بصوتها الغنائي المنخفض: "مرحبًا يا صديقتي الشجاعة".

تنفست الصعداء وقلت: "أنا سعيدة جدًا بلقائك يا سيريدوين، ما الأخبار؟".

أجابت سيريدوين بعباراتها الملغزة كالعادة: "أصغي جيدًا إلى ما سأكشفه من معلومات، أعلم أن موت أخيك يقلقك".

قلت لها، وقد سالت دموعي على خدي أمام عينيها اللتين تحدقان بثبات: "ولكنه ليس ميتًا، أليس كذلك؟ أستطيع الإحساس به، أخبريني أنه على قيد الحياة".

أجابتني سيريدوين: "رأيت أخاك، إن الخطر يحيط به، وقيد نفسه إلى سارية قوية بارزة في البحر، إنه يعرف الأمواج جيدًا مثل أريون - اسم حصان خرافي مجنح - على ظهر الدولفين".

صاح روغان: "هل سي على قارب في مكان ما؟ هذا ليس منطقيًا أنا لا أفهم".

قالت العمة ماي: "كف عن تفسير كلامها حرفيًا، فهي تتحدث بالألغاز، وتقصد أن الخطر يحدق بسي، ولكنه قوي ويستطيع النجاة".

تنهدت بارتياح: "إنه على قيد الحياة، ولكن هل تعلمين أين هو؟".

تجهمت ملامح سيريدوين وقالت: "سأذهب بقلب حزين إلى البرج".

تنهدت سريعًا، ووضعت رأسي بين يدي وبكيت، ثم قلت: "ماذا سيفعلون به؟ هل هو في الداخل أم في الخارج؟". إن كان في الداخل، فهذا سيئ، سيجعلون الحشد يختار الجزء الذي سيقتطع من جسده، ولكن إن كان في الخارج...

قالت سيريدوين بحزن: "على المنصة حيث نراقبه".

ضرب روغان قبضته إلى يده والتفت بعيدًا وقال: "ولكن لماذا؟ لقد أمسكوا به يحاول السرقة فقط، كما أنه لم يسرق شيئًا. إن المنصة من أجل المجرمين الحقيقيين، والقتال حتى الموت هو شيء غير متوقع".

قالت سيريدوين: "إن الأذية ليست من ذاك النوع الوحشي؛ ولكنني وحدي فقط، من سأدفع ثمنها يا عزيزتي"، ثم نهضت عن الكرسي، وجلست العمة ماي مكانها.

قالت العمة ماي: "ما تعنيه الفتاة أن الاتحاد قد طفح كيله من هذه الهجمات الجريئة، والثرية التي سرقتم كلبها هي الصديقة الحميمة لواحد من المؤسسين الثانويين. ولذلك سيجعلون من سي مثالًا وبرهانًا على تفوقهم أمام العمال الأحرار. فقد كان هناك وقبض عليه وإن لم يسرق شيئًا".

"ولكن لا نستطيع تركه هناك هو وتريك يجب أن نفعل شيئًا، وسآتي معكم، لا نقاش في ذلك".

لم يعترض أحد.

نظرت العمة ماي إلينا وقالت بهدوء: "لا أستطيع الآن قول الكثير، ولكن توجد خطة، وسي جزء منها الآن، وسنحتاج إلى كل المساعدة التي نستطيع الحصول عليها".

ارتسمت على وجه سيريدوين ابتسامة عريضة مشرقة من مدخل الباب وقالت: "فلنمش دون ضجيج طبول التهديد".

قال روغان وقد أولى الجميع ظهره: "أفترض أن الخطة تتضمن هجومًا مباغتًا؟ هذا مجال اختصاصي، ربما أستطيع المساعدة"، نبح الكلب نباحًا ضعيفًا على إثر صوت روغان وقفز أمام ساقه. نظر الأخير إليه وقال: "كف عن ذلك أيها الكلب الغبي، ليس لديّ المزيد من اليخنة من أجلك".

نظرت سيريدوين إلى الكلب في دهشة، اقتربت منه وجلست القرفصاء أمامه وقالت: "فليعش الأمير ثاديوس في سلام وشرف"، مسحت بيدها على فرو رأسه الأبيض الناعم، فوقف أمام ركبتيها وأخذ يلعق يدها.

تبادلنا أنا وروغان والعمة ماي النظرات.

قلت: "ثاديوس؟".

أجاب روغان: "أعتقد ذلك".

وافقت العمة ماي قائلةً: "إنه اسم مناسب كغيره من الأسماء، رغم أنني فكرت في أخذه إلى الجزار.."، وتوقفت عن الكلام فجأةً بعد أن

رأتني شاحبةً بعينين متسعتين وسألتني: "ما الخطب؟".

أجبتها: "أنا.. أنا لا أدري. في السابق كان سي غاضبًا، ولكنه مهتاج الآن، ولم يسبق لي أن شعرت به على هذا النحو". ثم بدأت الأرض تهتز.

16 سي

أعتم العالم لدقيقة، ثم استيقظت في الدقيقة التالية أرتجف. لهثت، واستنشقت الهواء ملء رئتيّ، ثم أدركت أنني عاجز عن رؤية أي شيء؛ حيث خيّم الظلام على المكان تمامًا. التفت من جهة إلى أخرى، وشعرت بحفيف قماش على بشرتي، هناك غطاء على رأسي، ولكن لماذا؟ ثم بدأت أستعيد ذاكرتي شيئًا فشيئًا: الثرية، والكلب، والتعثر والسقوط بقوة على الأرض، ولسعة اللوبوت. أين أنا بحق الجحيم؟ شعرت بانحناءات الحائط الباردة خلف ظهري، والأرض الباردة الملساء تحتي. كان معصماي أمامي على حضني ومقيدان بالأصفاد المعدنية، لم أكن بحاجة للتفكير في المكان الذي أنا فيه، لقد كنت في البرج.

كبتُّ الرعب المتنامي في ذهني، وضبطت أنفاسي، وأصغيت إلى ما حولي. سمعت صوت قعقعة ضعيفًا والذي افترضت أنه مولّد، إضافةً إلى أصوات بعيدة مكتومة. حاولت أن أنصت جيدًا كي أفهم ما يقولون، ولكن لم يتناهَ إليّ سوى همهمات وضحكات اعتيادية.

لم أشعر بالخوف على نحوْ غريب، ليس بعد، بل كنت غاضبًا من روغان في المقام الأول بسبب وضعه إيانا في هذا الوضع، ومن نفسي

ثانيًا لأنني أخرق وغبي. روغان محق فأنا لست لصًا، وكنت سأجدي نفعًا أكثر لو بقيت في الخيمة مع دي أصنع المنحوتات. أنا مجرد عبء الآن. لقد سمعت قصصًا عن الأساليب التي يتبعها البلوز من أجل حمل السجناء على الكلام، تشنجت معدتي فجأةً في تلك اللحظة. هل سيفعلون ذلك بي؟ هل سأستطيع الصمود؟ أم أنني سأنهار وأخبرهم كل الدلائل التي ستقودهم إلى دي وروغان؟

ارتجفت مجددًا ليس من البرد بل من الخوف الذي بدأ يتسلل إلى نفسي، ثم صدر صوت أقرب من سابقيه، إنه صوت فتح الباب وإغلاقه مجددًا، سمعت وقع خطوات ثقيلة على الإسمنت تقترب نحوي وتوقفت أمامي، وقال صوت منخفض: "حسنًا، حسنًا، ماذا لدينا هنا؟". بدا يافعًا، ومتعجبًا قليلًا، بصوت رسمي ورنان، وقد شعرت أنه مألوف بشكل مبهم لمجموعة من الأسباب، ولكن لم أستطع تمييزه. انتزع الغطاء بقوة عن رأسي، فأغمضت عينيّ بسبب الإضاءة المفاجئة ورأيت خيال الشخص الذي تحدث فحسب حيث وقف أمام الضوء المتدفق من النوافذ، ثم اقترب مني كي أراه، وعندما نظرت إلى أعلى، أدركت أنني أعلم من يكون.

سألته مرتابًا: "سونغي؟". لقد كان الشبه كبيرًا بينه وبين شخص أعرفه من رعاة دار العمل، ذاك الحقير المثير للشفقة الذي آذى دي. وقد كان هنالك شيء غريب حياله، حيث افتقد عينًا في آخر مرة رأيته فيها، ولا يزال يفتقدها...

قال بشيء من الحنان، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة: "انظر إلى نفسك، ما الذي تورطت فيه؟ أتعلم شيئًا، أنت لا تفهم قلقي

من انزلاقك عن المنصة قبل أن تتسنى لنا فرصة التحدث إليك، لذلك أحضرتك إلى هنا. ألست محظوظًا؟". كان صوته ضعيفًا وناعمًا، ولكنه أخفى شيئًا خبيثًا خلفه.

تبادلنا النظرات، وكانت ملامح الذهول ذاتها على وجهه، أخيرًا قال: "لقد مضى وقت طويل. لقد تمكنت من استغلال نقطة ضعفي في لقائنا الأخير. نحن نعيش في أوقات مثيرة، أليس كذلك؟ لم أتوقع رؤيتك مجددًا، كما لم أتوقع رؤيتك في مثل هذه الظروف".

لقد تصرف بخلاف نبرة صوته، لقد أمسكني بعنف من الطوق حول عنقي، ورفعني حتى وقفت على قدمي. كان أعلى مني، شعرت بأنفاسه المتسارعة على وجهي ويديه على حنجرتي. أشحت وجهي بعيدًا عنه، فقال لي بهدوء أقرب إلى التملق: "أوه، لا تنظر بعيدًا".

التفت إليه ببطء، وأدهشني ما رأيته. لقد استعاد العين التي سلبته إياها بعد ما فعله مع دي، ولكن ما زالت ندبة القاطع الليزري على خده حول المقلة، أما عينه...

ألقيت نظرةً عن قرب على كل شيء، وفهمت ما جرى.

همس ليّ: "أليس هذا رائعًا؟". وألقى بي أرضًا بقوة.

استلقيت متألمًا لوهلة، ولكنني استجمعت ما بقي لي من شجاعة، حيث لم أرد ممارسة ألاعيبه، وقلت غاضبًا: "توقف عن العبث وأنهِ الأمر فحسب".

انفجر ضاحكًا، وملأ صوته الغرفة عندما سألني: "ما الذي سأنهيه؟ قل لي أنك لا تظن أنني سأقتلك، أتعتقد ذلك؟ ولماذا أقتلك؟ أنا أحضر

شيئًا مميزًا أكثر من أجلك، ثق بي، فقد وصلت إلى هنا بفضلك أنت، وإلا كنت بقيت عبدًا مزارعًا نصف ميت بدلًا من نائب الحاكم. هل تريد معرفة ما حدث؟".

جلست ودفعت نفسي على الأرض إلى الخلف ناحية زاوية الغرفة، تقدم باتجاهي، وتبادلنا النظرات مجددًا.

جلس القرفصاء أمامي، وقال بصوت ضعيف: "كانت معجزةً"، ثم نهض ومشى إلى كرسي في الزاوية المقابلة، وسحبه إلى وسط الغرفة، واتجه إلى الباب، وأسند كتفه إلى إطار الباب وعرض عليّ بسخاء الجلوس على الكرسي.

استعنت بالجدران كي أرفع نفسي وأقف. شعرت بعدم الثبات، تعثرت وأنا أمشي ناحية الكرسي، رفع حاجبيه، وارتسمت على شفتيه ابتسامة متكلفة، ولكنني استعدت توازني وجلست ببطء واضعًا معصميّ المقيدين في حضني. لم أنبس ببنت شفة، واكتفيت بالانتظار في الوقت الذي تفقد فيه سونغي أظافره، وأزال نسالةً غير مرئية عن بذلته، أخيرًا قال: "كما تعلم، فقد أرسلت بفظاظة إلى بريدباسكيت كي أنهي أيامي كعبد زراعي. أوه، كرهتك زمنًا طويلًا، ولمَ لا؟ لقد سرقت عيني، ومنصبي الأكثر أهميةً أيضًا، ومستقبلي. والآن، كيف كانت حياتي؟ أستيقظ قبل الفجر، أستنشق المواد الكيميائية طوال اليوم، وأعمل حتى يتمزق جلد أصابعي، وأسعل طوال الليل، وأدافع عن نفسي أمام أولئك الذين اعتقدوا أنني جبان ولكنني كنت دومًا أظن أنه قُدّر لي القيام بأعمال عظيمة، وهذا ما حصل ذات يوم... أوه، كفاك جلوسًا في

صمت، شاركني". وجدت قليلًا من الهوس في صوته، وأدركت أنه قد يقتلني إذا لم أجاره.

سألته وأنا أحاول أن أبدو مهتمًا: "ما الذي حدث؟".

ابتسم لي وقال: "هذا أفضل. حسنًا، ذات يوم استدعيت فجأة إلى مكتب آي جي. كنت متسخًا من العمل في الحقل، وضعيفًا بسبب الطعام العفن الذي يطعموننا إياه، وألهث من التعب. أحضروني إلى غرفة جميلة ذات ستائر حريرية وأثاث منجد بالجلد الحقيقي، وأخبروني أن أتناول ما شئت من الطعام الموضوع على طاولة خشبية عريضة. لم يسبق أن رأيت هذه الكمية من الطعام، فأسرعت بأكل كل ما أستطيع قبل أن أُقتل أو أُعاد إلى الحقول، في تلك الأثناء دخل رجل إلى الغرفة. خمن من كان؟". وتوقف عن الكلام مجددًا.

سألته سريعًا: "من كان؟".

ابتسم سونغي مجددًا وقال: "جيد جدًا، لن تصدق، لقد كان والدي".

سألته: "والدك؟ لم أعتقد أنك تعرفه".

أجابني: "حسنًا، لم أكن أعرفه، ولكنه يعرفني، وتبين أن جهوده الحثيثة من أجل الحصول على أطفال فشلت بشكل ذريع على مر السنين، لقد كنت محاولته الوحيدة الناجحة. كان مسؤولًا مهمًا في تشين، وكان يمتلك أراضي شاسعة واستثمارات واسعة، ولكنه كان منزعجًا من عدم وجود من ينقل له خبرته فضلًا عن ثروته الطائلة. ولذلك تقفى أثري، ولم يكن ذلك صعبًا، حيث أصبحت مشهورًا نوعًا

ما بفضلك. برأيك ما الذي حصل بعد ذلك؟". وتوقف مجددًا ينتظر أن أسأله.

لقد تنامى الغضب في داخلي، وسئمت من هذه اللعبة، ولكنني طاوعته وقلت: "ماذا حدث؟".

تابع كلامه: "انتشلني من بريدباسكيت مباشرةً بعد فحص حمض نووي سريع، خادمه في الحقيقة، خادمه هو من قام بذلك، لأنني لم أره منذ ذلك الوقت. لقد كان الأمر رائعًا حقًا، ليس لأنه أعاد تأهيلي تمامًا، فقد نظّف رئتي، وعدّل جيناتي، وثقفني، وعلّمني الخطابة، ومنحني عينًا جديدةً، لقد كانت أكثر أهميةً، إنها ليست مجرد عين".

سألته: "هل هي إلكترونية؟".

صاح مبتهجًا: "بل أفضل من ذلك"، واقترب مني وانحنى أكثر. ابتسم ثم نظر إلى يدي، فانطلق شعاع ضوئي أحمر رفيع من عينه وأصاب إبهامي. فقفزت صارخًا من شدة الألم.

نهض ضاحكًا، ثم ارتسم الشر على وجهه وقال ببرود: "يا لها من أداة صغيرة رائعة، تفيد في الكثير من المناسبات. في الحقيقة، يمكنني قطع إبهامك إن أردت. سيستغرق الأمر بضع ثوان إضافيةً فقط من الطاقة الضوئية المركزة، ولن تقدر على النحت بعدها".

لا بد أن الصدمة اعتلت وجهي من كمية المعلومات التي يعرفها عني لأنه ابتسم ولوّح يده باستخفاف وقال: "لا تتفاجأ، لقد رأيتهم يحضرونك وأجريت بعض... التحريات. كيف حال أختك بالمناسبة؟ لا يمر يوم لا أفكّر فيها"، وتلاشت ابتسامته عندما أنهى جملته الأخيرة.

أطلقت كلماته ثورة الغضب الذي كان يتنامى في نفسي ببطء وقلت: "إياك أن تجرؤ على ذكر أختي أيها الوغد".

ابتسم مجددًا وقال: "أخشى أنني لست وغدًا بعد الآن، لقد ارتقيت العديد من المراتب سريعًا بفضل والدي وهذه العين الجديدة الرائعة. لذلك لن أحدد مصيرك فحسب، بل سألتقي أختك قريبًا جدًا. لا أطيق صبرًا على رؤيتها، وأنا متأكد أنها ستسر كثيرًا عندما تراني، ويمكننا المتابعة من حيث توقفنا، وسأتأكد من قدرتك على المشاهدة عندما...".

صرخت: "اصمت"، وأخذ البرج يهتز ويتأرجح. سيطر الغضب على رأسي وحاولت الوقوف، لكن سونغي أجلسني إلى الكرسي مجددًا. واشتد اهتزاز البرج.

التفت حوله مفتونًا وقال: "هذا مثير، ربما لست الوحيد الذي يتمتع بموهبة خاصة. حسنًا، لعل بضعة أيام إضافية على المنصة ستهدئ من روعك". رفع الغطاء عن الأرض، ووضعه على رأسي. شعرت بيديه تشدان معصمي إلى أعلى، ثم جرني على أرضية الغرفة خارج الباب. شعرت بكتفي ينتزعان من مكانهما. قاومته ولكنه ركل أضلعي بشدة من دون أن يقول شيئًا. سمعت بابًا آخر ينفتح، وشعرت برياح قوية باردة تصفعني. فك سونغي القيود سريعًا عن معصمي، ثم دحرجني بقدمه عبر الباب إلى المعدن البارد المتجمد. استطعت سماع ضحكته وهو يغلق الباب خلفي. جل ما سمعته هو صوت العاصفة حول جسدي والتي ارتجفت أعماقي بسببها. تصاعد غضبي، وبدأ المعدن يهتز أسفل قدمي وينثني، فأطلقت صرخةً غاضبةً وسط الإعصار.

صرخ صوت: "توقف.. اهدأ".

صرخت أعلى من صياح الرياح: "من أنت؟ من هناك؟". أزيل الغطاء بلطف عن رأسي، فرأيت شخصًا صغيرًا يجلس أمامي وهو يرتجف، كان ذا شعر أسود أشعث، ويرتدي أسمالًا ممزقة.

قال لي: "هذا أنا، تريك".

17 دي

أخيرًا، توقف الصوت. تبادلت العمة ماي وسيريدوين النظرات.

"هناك أشياء في السماء والأرض، أكثر مما حلمت به في مخيلتك".

همست سيريدوين إلى العمة ماي التي ابتسمت.

"ما الذي تتحدثين عنه؟". واجهتُ صعوبة في الجلوس بشكل جيد. "هل تعلم شيئًا عما حصل لسي؟". كان المجهود أكثر من اللازم، وانهرتُ مرةً أخرى على الوسائد.

قالت العمة ماي: "افترض أنهُ بخير". حسنًا، ليس بخير، لكن الخطر لا يحيق به، كل ما نحن بحاجة إليه الآن هو الهدوء وجمع مواردنا".

فجأة، ضحك روغان، فالتفت الجميع إليهِ. قال ساخرًا: "مواردنا، ما هي الخطة؟ نحنُ الأربعة سوف نقتحم البرج؟ أنا متأكد من أن البلوز سيرتجفون خوفًا منا".

ردّت العمة ماي بحدة: "اهتم بشؤونك فقط، أنت لا تعرف شيئًا عنه يا فتى". ثم قالت بهدوء "الدومينيون متورطون في الأمر".

"الدومينيون؟". ضحك روغان مرة أخرى بشكل لا يُصدق.

"مجموعة من هنا وهناك من العمال الأحرار وقنبلتان من القنابل الصوتية؟ أعطني مُهلة".

استعدت العمة ماي، بدت وكأنها ستصفعهُ. ضحكت سيريدوين بهدوء وقالت: "لا ظلام ولكنه الجهل".

صاح روغان بغضب: "من تدعينه بالجاهل؟".

"أنت، لأنكلا تفقه ما تقوله. هذا أمر سخيف". استدار كي يغادر الخيمة.

"روغان، إلى أين أنت ذاهب أرجوك ابقَ أنا أحتاج إليك". توسلت إليه، كان هذا يزداد سوءًا مع الوقت. سي ليس معي الآن، وإذا خسرتُ روغان أيضًا...

استدار روغان، وبدا الغضب في عينيه، وقال: "سأجمعُ الفريق الخاص بي، كثيرون هم الأشخاص في ديفينيتي الذين يرغبون بمدّ يد المساعدة. الجميع يعانون من البلوز، والأثرياء، والبرج، والقبة. عصابة الأطفال تتوق للقيام بشيء ما، قال ليتل جيمي والكاسينو بويز أنهم مستعدون لاتخاذ إجراء".

خطا الطبيب إلى الخيمة وقال: "مقابل المال، أنا متأكد، وعصابة الأطفال هم مجرد أطفال، يا روغان. هل تريد حقًا تعريض حياتهم للخطر؟".

أجاب روغان: "يريد الناس القيام بشيء أي شيء أفضل من أن نعيش حياتنا بهذه الطريقة، نعاني دائمًا من القلق ونحن نبحث عن الطعام ونخشى القلق من التشويه في القبة وحتى الأسوأ من ذلك، أن تُقتل لمجرد محاولتك البقاء على قيد الحياة، يجب علينا القيام بشيء عوضًا عن الحديث عن الدومينيون وكأن الخيال والأساطير ستنقذنا.. فنحن بحاجة إلى أكثر من ذلك".

أجاب الطبيب بقلق: "الدومينيون ليسوا خيالًا. كما أنهم ليسوا مجموعة من المتمردين؛ الدومينيون هم مجموعة في غاية التنظيم كانت تُنسق الهجمات على الاتحاد منذ شهور. وهم قادمون".

"سأُصدق ذلك عندما أراه". سخر روغان واستدار ليغادر.

ردّت العمة ماي بغضب: "شكك كما تريد، لكن من الذي تعتقد أنه فجر القبة في مونت رويال الشهر الماضي؟ هل تعتقد أنهم الأشباح".

سألت: "هل الشائعات صحيحة؟ وهل هم المسؤولون عما حصل في كينغ تاون؟".

أجابت العمة ماي: "نعم، وإن كنتِ ستجلسين وتسمعين سأُخبرك عن ذلك".

قلتُ: "ليس لديّ الكثير من الخيارات. روغان، رجاء لا تذهب. استمع إلى العمة ماي". كان واقفًا عند باب الخيمة، يولينا ظهره. ثُم استدار ببطء وتنهد.

قال: "حسنًا"، وعاد إلى كرسيه عند الزاوية. "لكن إن كان الهراء عن العمال الأحرار سأرحل. لقد سئمتُ إضاعة الوقت".

في الوقت الذي جلس فيه على الكرسي بنزق، ناح تيتوس. التقط الكلب الصغير، ومشى، ووضعه في حضني، حيث استقر بشكل مريح.

مددتُ يدي، وأمسكتُ بالفراء الناعم بين أذنيه، تلوى تيتوس بسعادة، وتحرك إلى الأعلى بحيث كان مستلقيًا على صدري، فضممتهُ بين ذراعي، ونظر روغان إليّ، كبت ابتسامة. قال: "يبدو أنك صنعت صديقًا".

"إنه يبقيني دافئة، هذا كل ما أحتاج إليه".

مدّ روغان يده، وحكّ خلف أذن تيتوس، فهزّ ذيله الصغير، واستقر في الداخل بشكل أكثر راحة.

"بالتأكيد" همس لي روغان وغمزني. نقل يده من أذن تيتوس إلى ذراعي، حيث بقيت. تبادلنا النظرات كما لو كانت هذه آخر لحظة هادئة سنعيشها معًا قبل أن يتغير كل شيء. ثم تنفست بعمق، سعلتُ سعلة خفيفة كي أكسر الصمت.

قلتُ للعمة ماي: "أخبرينا عن الدومينيون، متى بدأت؟".

"بدأت منذُ سبعة عشر عامًا، عندما حكم على شاب اسمه دارف بوشار بالسجن في القبة بتهمة السرقة. كان دارف بوشار تقريبًا بنفس عمرك وعمر سي عندما أصبح مناضلًا من أجل الحرية. عاش شمال مونت رويال في مقاطعة كاباك مع والدته، في مدينة جانبية تسمى تريبون. لقد كانت حياة صعبة، كما هي حال كل العمال الأحرار في المدينة، لكن دارف ووالدته استفادا منها. لقد أصيبت بالشلل في هجوم الفيراغ ولم تستطع المشي، لكنها كانت خياطة بارعة، فصنع لها نولًا يدويًا حتى تتمكن من صنع البطانيات والملابس التي يمكن أن يتاجر بها دارف من أجل الحصول على طعام. وأي شيء يبقى من حياكة البطانيات، كانت تحوله إلى دمى وألعاب صغيرة أخرى أعطتها للأطفال في تريبون.

قضى دارف أيامه في البحث عن خيوط أو قطع من القماش أسفل أحواض بناء السفن في أكوام النفايات الكبيرة التي أُلقيت هناك من قبل سفن الشحن. استهلكها الأثرياء، الذين كان يطلق عليهم بيجو في مونت رويال، وتخلصوا منها، ومزقوا كل شيء بما في ذلك الملابس، ولكن

تركوا ما يكفي حتى تتمكن والدة دارف من أن تؤدي عملها وتنسج البقايا مع بعضها لتصنع شيئًا مفيدًا. لكن دارف ازداد استياءً وغضبًا أكثر فأكثر عندما نظر إلى النفايات، وإلى الحزن والمرض في تريبون مقارنةً برفاهية وإسراف البيجو. فانخرط مع مجموعة تُسمى ليه كوينز، وهي عصابة لا تختلف عن عصابة الكاسينو بويز.

على الرغم من تقدمه بالسن، سرعان ما أصبح مرشدهم، وأبعدهم عن الابتزاز والمقامرة إلى هدف أسمى بكثير -السيطرة على وسائل النقل بالطاقة الشمسية في طريقها من أرصفة السفن خارج تريبون إلى مونت رويال. كل ما سرقوه من-طعام، دواء، ثياب، أسلحة-أعطوها للأحرار في تريبون، أو تاجروا بها في السوق السوداء. لقد حققوا نجاحًا كبيرًا، ولكن في النهاية، وبعد أن كثر انزعاج الاتحاد. تسللوا إلى ليه كوينز عن طريق جاسوسة تدعى فرانس دولاك من أجل جمع المعلومات. كانت فرانس دولاك فتاة صغيرة جميلة، وقد وقع دارف في حُبها، ولم يكن يعلم أبدًا أنها عميلة لدى الاتحاد. لقد أشركها في كل شيء، وبدورها أخبرت الاتحاد بكل شيء.

ذات ليلة، بينما كان دارف ورفاقه ينصبون كمينًا لشحنة من الإمدادات الطبية المتجهة إلى مستشفيات البيجو الخاصة في مونت رويال، هاجمهم البلوز، وأسروا ستة عشر منهم، جميعهم من المتمردين المخضرمين وسرعان ما انتشر خبر أن قائد القبة أعلن عن بطولة كبرى، حيث سيتبارى كل اثنين منهم حتى الموت، والفائز سينتقل ليتقاتل مع آخر، حتى يبقى واحد في النهاية، وعندها سيقرر

الجمهور مصير هذا الشخص أو مصيرها. لقد مضت سنوات على آخر بطولة من هذا النوع في قبة مونت رويال، وكان البيجو متحمسين لرؤية العمال الأحرار يصفون بعضهم، كان ثمن التذاكر مرتفعًا، لكنها بيعت في غضون دقائق.

ظل الستة عشرة في عُزلة، ولم يعرف أي منهم مع من سيقاتل. وأخيرًا، عندما حل الموعد، كانوا جوعى ومعذبين، ومستائين. بدأ القتال وسرعان ما بدا واضحا أنهم أكثر من راغبين في ذلك. تعاونوا، مستخدمين الأسلحة ضد بعضهم بعنف، حتى لو كانت الدموع في عيونهم. وسرعان ما جاء دور دارف للقتال. كان خصمه رجلًا أكبر سنًا يدعى سيغوين، والذي كان في ليه كوينز لسنوات.

كان سيغوين ضعيفًا وبالكاد كان قادرًا على حمل السيف الذي أعطاه إياه البلوز. وبينما كانوا يدورون حول بعضهما، اتخذ دارف قرارًا. اندفع ونزع سلاح سيغوين، ثم رمى سيف سيغوين وسلاحه. وصرخ قائلًا: "أنا أرفض". كان الأعضاء الآخرون في ليه كوينز يقفون جانبًا في انتظار دورهم. من دون أي تردد، ألقوا أسلحتهم وأيدوا موقف دارف، وصرخوا مثله: "أنا أرفض" نظر دارف إلى المدرجات. كان البيجو يصرخون ويصرخون في مقاعد المنصة العليا حيث كان يجلس قادة الاتحاد. رأى قائد القبة يقف على قدميه، رجل بعينين ميتتين وأنف ملتوي. أعطى إشارة. قبل أن يعرف أي شخص ما كان يحدث، بدأ البلوز بإطلاق النار على ليه كوينز حتى لا يعودوا مؤيدين لدارف. نظر حوله في حالة من الفوضى بينما كان الجمهور يهدر من سعادته.

همس مرة أخرى: "أنا أرفض"، وشد قبضتيه، في انتظار ما لا مفر منه. لكنه بعد ذلك نظر مرة أخرى إلى المنصة، ورأى شيئًا لم يتوقعه. كانت فرانس هناك مع قادة الاتحاد. كانت تصرخ وتبكي، وتلوّح بعنف وتدفع بقوة قائد القبة الذي أمر بقتل ليه كوينز. أمسك الرجل بذراعيها وتحدث بحدة، فانهارت على الأرض وهي تبكي. ثم توقف للحظة واستدار بعيدًا. عندما عاد، تحدث في ميكرفون حتى يسمع الجميع: "أيها الجمهور، ماذا تقول قاعدة الرحمة؟".

كان هناك صمت مفاجئ. ثم بدأ الجمهور يهتفون، عيون.. عيون.. عيون! أشار الرجل في المقصورة مجددًا، وأمسك البلوز دارف. كان يحمل مشرط ليزر، وبحركة واحدة سريعة، كان دارف نصف أعمى، كان البلوز على وشك أن يدمر عين دارف الأخرى، ولكن حصلت جلبة، وتدفق العشرات من الأشخاص الذين يحملون بنادق الليزر عبر الممرات واندفعوا إلى أرضية القبة، وأطلقوا النار أثناء فرارهم، لقد أتى سائر أفراد ليه كوينز لإنقاذ قائدهم وأي شخص آخر نجا. قُتل البعض خلال هجوم البلوز، وأصيب سيغوين وعدة آخرين بجروح، لكنهم ما زالوا في حالة جيدة. في الفوضى، تمكنوا من الهروب إلى الأنفاق أسفل المدينة، ولم يرهم الاتحاد مجددًا.

بمرور الوقت، نمت ليه كوينز، وجمعت المزيد من الأعضاء. ليس فقط من مقاطعة كاباك، ولكن من جميع أنحاء أدناك، وأصبحوا الدومينيون، وجمعهم هدف واحد هو الإطاحة الكاملة بالاتحاد، واستعادة السلطة لمواطني أدناك. وأصبحت عبارة "أنا أرفض" شعارهم.

سألت: "ولكن كيف يخططون للقيام بأي من ذلك فالجميع يعلمون أن الاتحاد يتحكم جيدًا بكل شيء تقريبًا كيف يمكن لمنظمة سرية أن تتخلص من الاتحاد؟ هذا غير منطقي. أنا أقصد، أنهم ربما يستطيعون سرقة الطعام من وسائل النقل أو تفجير مبنيين، ولكن هل يمكنهم القيام بانقلاب؟"

أجاب الطبيب: "لا تستخفي بالدومينيون، ولا تنسي أن الاتحاد لا يستطيع اختراق ليه كوينز...".

"هل هذا يعني أنه يمكن أن يكون للدومينيون عملاء داخل الاتحاد؟". جلستُ، أفكرُ في هذا وأنا أحضن تيتوس بين ذراعيّ.

تذمر روغان: "إنها قصة جميلة، ولكن ما مقدار ما هو حقيقي وما مقدار ما هو أسطوري؟ لقد بدت لي وكأنها قصة خيالية".

فجأةً، رفع تيتوس رأسه من بين ذراعي، وأصدر صوتًا منخفضًا. نظرت سيريدوين إلى باب الخيمة وقالت بهدوء: "انظر حيث ستأتي مرة أخرى، بالشكل نفسه، مثل الملك الذي مات". تحول صوت تيتوس إلى نباح حاد. قفز من حضني، وركض إلى أسفل الكرسي الذي يجلس عليه روغان حيث ألقى بباب الخيمة إلى الخلف. وقف رجل هناك، بعين خضراء متوهجة، والأخرى مغطاة برقعة سوداء.

قال: "لم أمت بعد يا عزيزتي".

18 سي

حدقتُ إلى تريك للحظة. بدا في حالة يرثى لها. كان هناك دوائر سوداء تحت عينيه، وشفته السفلية مشقوقة ومنتفخة، وكان جسده مليئًا بالكدمات، وملابسه ممزقة. شعرت بالعار عندما تذكرتُ كيف أنني رفضتُ بشدة التفكير في مساعدتهِ، ثم ألقيت نظرة خلفه. كل ما استطعتُ رؤيته هو سُحُب عاصفة صفراء كبريتية تتجمع في الظلام، محتضنة السماء حيث تنتهي حافة المنصة، لم يكن هناك شيء مفتوح، وكنا على بعد بوصات من تلك الحافة. تراجعت إلى الخلف حتى شعرت بالجدار الصلب للبرج خلفي.

حدق إليّ تريك وسألني: "هل تعاني من رهاب المرتفعات؟".

قلتُ: "يبدو ذلك، لم يسبق لي أن كنت على هذا الارتفاع".

أجاب: "حسنًا، لن أكذب وأقول إنك ستعتاد على ذلك، لحسن الحظ هذا يزعجني كثيرًا. أنت سي، أليس كذلك؟ شقيق دي؟".

على الرغم من بنيته، ومظهره المُنهك، إلا أنهُ كان يتمتع بالهدوء والثقة وكان يتحدث بطريقة جعلتهُ يبدو أكبر سنًا مما كنتُ أتوقع.

قلتُ "نعم، لم يسبق لنا أن التقينا، ولكنني أعرفُ من أنت".

"كيف حال أختك؟". بدا مُخيفًا عندما اقترب مني، وسحب ركبتيه باتجاه صدره. "لم أكف عن التفكير بها خلال الأيام الماضية".

بدأتُ بالرد: "هي.."، ثم انقطع صوتي.

سأل بقلق: "ما هذا؟ هي ليست..."

قلتُ: "لا" بصوت مليء بالألم. "إنها تعاني من المرسا. ألقي القبض عليّ، وأنا أحاول السرقة من إحدى الثَريات لدفع ثمن الدواء الذي تحتاج إليه. لا أعرف إن تمكن روغان من إيصال الدواء لها أم لا، أو حتى إذا عاد إلى ديفينيتي. كُل ما أستطيع قوله إن دي لا تزال على قيد الحياة، ولكن من دون دواء، من يعلم إلى متى". ضربت يدي على المنصة. "أشعر بأنني عديم الفائدة يجب أن أكون هناك لمساعدتها" بدأت المنصة بالاهتزاز ببطء، مد تريك يدهُ ووضعها على قبضتي.

قال: "قِف، هذا ليس خطؤك، سيذهبُ روغان إلى أقاصي الأرض للتأكد من أن أختك على يد الحياة، أنا واثق من ذلك". توقفت الاهتزازات، وعندها استلقى تريك. تنفس وقال: "هكذا أفضل، دعنا الآن نناقش الخطة".

قلت باستخفاف: "بالتأكيد، الخطة. أوه، لديّ فكرة؛ كل ما نحتاج إلى فعله هو أن نضع أجنحة ونطير من هنا، ونجد حلًا للمشكلة".

نظر تريك إليّ للحظة، ثم تابع كما لو أنني لم أتحدث. قال بشكل صريح: "من الواضح، أننا سنتقاتل حتى الموت في القبة. في الحقيقة، ليس لديّ مصلحة في قتلك، وأتمنى أنك تبادلني الشعور نفسه".

"قتال حتى الموت؟ أنا لا أفهم. لماذا يحاول الاتحاد أن يجعل أيًا منا مثالًا؟ في الحقيقة أنا لم أسرق شيئًا، وأنت مجرد فتى".

ضحك تريك، بصوت خافت وقال: "هذا صحيح جدًا، أنا كذلك"، كان يضحك عندما انتقل للحديث بجدية "لماذا تعتقد أنني هنا إذن؟".

"حسنًا، أنت سارق، أنا أعلم ذلك".

"وكذلك الكثير من الأشخاص. كلا، ليست السرقة هي التي جعلتهم يضربونني لأيام. هم يعلمون أنني أملكُ معلومات يريدونها بشدة. لكنني لن أعطيهم إياها، وقد أدركوا ذلك، كانوا يستطيعون رميي من البرح، لكن الجمهور يحتاج إلى الترفيه، ولهذا جلبت إلى هنا. أتفهم ذلك؟".

لم أفهم ما كان يحاول قوله.

"لكن لماذا القتال حتى الموت؟ أنا أعني، لا أعرف من سيفوز، ولستُ متحمسًا لفقدان يد أو قدم، أو ما هو أسوأ، ولكن هذه؟ لماذا؟".

تنهد تريك بغضب: "هل تريدني حقًا أن أشرح لك؟ إنهم يريدون إرسال رسالة إلى الدومينيون".

أخيرًا فهمت: "أنت في الدومينيون؟".

قال بسخرية: "أنا أرفض". عندما رأى تعابير وجهي، قالها مرة أخرى. "أنا أرفض هو شعار المناضلين من أجل الحرية، لا تمزح معي وتقل لي إنك لا تعرفه أنت من بين كل الناس؟".

بمرور الوقت تصبح الأمور أكثر إرباكًا، ولكن عندما كنت على وشك أن أسألهُ لماذا قال لي "من بين كل الناس"، فُتح الباب المعدني، وضُرب بجدارِ البرج. صعد حارس البلوز إلى المنصة، وهو يحمل حبلًا.

تذمر تريك: "إنهم جبناء. عرضوا عليّ الحبل في اليوم الأول إن أخبرتهم بما أعرفه، فضحكتُ في وجوههم". التفت إلى البلوز وصرخ: "أُفضلُ أن يلقى بي عن البرج على أن أطوق بحبل".

تجهم الحارس وصرخ: "سنرى كم أنت شجاع عندما تعود إلى التابوت، ثاديوس، هيا بنا" بدأ يتحرك نحونا. قفزتُ ووقفتُ بينه وبين تريك.

التفت تريك إليّ وقال: "لا تنزعج، سيأتي دورك. سأكون بخير". بدا شجاعًا، لكنني كنت أستطيع رؤية الخوف في عينيه قبل أن يلتفت إلى البلوز ويبدأ المشي نحو الباب. "أنا قادم، دوراند.. لا أريدك أن تقلق بشأن الرياح التي تهب على الحافة. على الرغم من أن التفكير في أنك تتدلى في الهواء يجعلني أضحك..".

قاطعه حارس البلوز، دوراند، بضرب رأسه. ترنح تريك لثانية، والدم يسيل من فمه. ركضتُ نحوه، لكن تريك ثبت نفسه، ولوّح لي بعيدًا. ضحك الحارس وأمسك بتريك من ذراعه، وسحبه إلى الداخل. ثم أغلق الباب، وتركني وحدي على المنصة.

جلستُ قبالة الحائط، محاولًا الهروب من الريح، لكنها كانت في كل مكان. أخيرًا ظهرت الشمس من خلف الغيوم الصفراء الداكنة في السماء، لكنها لم تُحدِث فرقًا. كنت أعتقد أن القرب من الشمس سيجعل المنصة أكثر دفئًا، لكن الرياح لم تتوقف أبدًا. لقد جاء الصوت من جميع الاتجاهات، ولم يكن هناك جانب واحد من البرج لم تكن الرياح تهاجمه باستمرار، فلا عجب أن يذهب الناس إلى تاورماد إذا مكثوا هنا لفترة طويلة.

ارتجفتُ، وحاولتُ أن أنكمش على نفسي، حشرتُ ذقني بين ركبتي ويداي تحت ذراعي المتصالبين. وكنت أنظر بين الحين والآخر لأرى الشمس تتحرك عبر السماء. حاولت ألا أُفكر في تريك، وما قد يحدث له الآن.

على الرغم من نضجه، لا يزال فتى أكثر من كونه رجلًا، وقد شعرتُ بالضيق عندما فكرت باستجوابه وضربه. لقد تواصلت في ذهني مع دي، لأرى إن كان بإمكاني معرفة ما كانت تشعر به، لكن كل ما عاد إليّ كان حضورًا ضعيفًا، يكفي لإخباري بأنها لا تزال على قيد الحياة.

كان هناك القليل جدًا مما يُمكنني التفكير فيه من دون أن أُصاب بالجنون، مددتُ يدي إلى جيبي، وسحبتُ الخرزة الخشبية التي كنت أحملها معي. حركتها بين أصابعي، ثم ركّزتُ على النحت لتمضية الوقت، رافضًا فكرة أنني قد لا أعيش أبدًا لأنحت شيئًا جديدًا، ما الذي يمكنني نحته بعد ذلك؟ تركتُ عقلي ينجرف حتى بدأت الصورة تتشكل وتتشكل. كان الكلب الصغير، الذي سرقناه من الثرية. لماذا كنت أفكر فيه؟ كنت متيقنًا أنه مات، أو أن روغان باعه للجزار، ولكنني لا أزال أستطيع رؤية خصلات الشعر وذيله الصغير يهتز بشدة. تمنيت أكثر من أي شيء أن يكون لديّ أداة نحت وكتلة من الخشب عندما فتح الباب المعدني مجددًا.

ظهر تريك على المنصة، شبه واعٍ وكان ينزف. وظهر خلفه سونغي، قال بمرح وهو ينظر إليّ ويركل أضلاع تريك: "ها نحن نلتقي مجددًا يا صديقي القديم".

تأوه تريك بصوت مكتوم.

قفزت على قدمي، لأفعل شيئًا. بخلاف دوراند لم يكن مع سونغي حبل. فكرت في مدى سهولة التغلب عليه، ودفعه ليلقى حتفه، وكما لو أنه يستطيع قراءة أفكاري، تمسك بالباب. قال مبتسمًا بفظاظة: "أوه، يا لك من كتاب مفتوح. وفر طاقتك، لا أريد أن أعرض نفسي للخطر، سيصاب والدي بخيبة أمل شديدة بسبب إهدار المال. أعني، انظر إليّ... أحدث التقنيات وما إلى ذلك. سيكون موتًا باهظًا للغاية، أؤكد لك. لكن قل لي: هل تستمتع أنت وصديقك الصغير بإقامتك؟ الشيء الوحيد الذي قاله "أنا أرفض"، كم أصبح مملًا للغاية.

حدقتُ إليه ببرود، وبدأت أستشيط غضبًا. حدق سونغي إليّ بفضول. وسألني بهدوء: "سأجرؤ على ذكر أختك الجميلة؟ كانت جميلة جدًا، كما أذكر. تانك الشفتان الجميلتان تصرخان من أجل..." لقد فاق غضبي التصور، فبدأ البرج بالاهتزاز. قال: "آه، ها هو. فضولي وفضولي". تراجع صوب الباب مع ازدياد الاهتزاز. لقد بدأت المنصة بالاهتزاز وأخذت معدنها يلتوي. قال: "حسنًا، يؤسفني أنني سأتركك الآن. حاول أن لا تسقط من فوق الحافة".

شددت قبضتي وهاجمته، لكنه كان سريعًا جدًا. بحركة واحدة، اختفى داخل البرج، وأغلق الباب خلفه، عندما وصلت إلى المكان الذي كان يقف فيه. ضربت قبضتي على الباب وصرختُ: "سأقتلك وإن كان ذلك آخر شيء أقدم عليه في حياتي".

وسط فوضى اهتزاز المعدن والتواءه، سمعتُ صراخ تريك مجددًا، ثم فجأةً، شعرتُ بإحساس شخص ما يضغط على يدي،

وشـعرتُ بالراحـة والطمأنينـة تغمـرني؛ لا تـزال دي علـى قيـد الحيـاة. استنشقتُ بحدة، ثم زفرت ببطء، وتركـت الغضـب يتبدد، ليحـل محلـه الهدوء. توقفت المنصة عـن الاهتزاز، عنـدها استلقيت علـى الأرضـية. دفع تريك نفسه على مرفقه ونظر إليّ. قال: "يجب عليك التحكم بذلك، فآخر شيء نريده هو أن يلقى بنا من هنا كما لو أننا دميتان من القماش".

"التحكم بماذا؟ ما الذي تتحدث عنه؟". كنت في حيـرة مـن أمـري، لكـن جوابـه كـان مرعبًـا. "الصـوت والاهتـزاز، بـالطبع. مـن تظـن أنـه يسببهما؟ هل تعتقد أنها مجرد صدفة أنه كلما تغضب أو تشعر بـالخوف تشرع الأرض بالاهتزاز، لا أصدق أنهم لم يتصلوا بـك، ولـم يخبروك". رأى الحيرة والخوف يرتسمان على ملامحي. "لا يبـدو ذلـك"، خاطـب نفسه أكثر مما خاطبني. "مثير للإعجاب".

سألته: "من هم الذين لـم يتصلوا بي ولـم يخبروني؟".

نظر تريك بقلق: "الدومينيون، فأنت سلاحهم الفتاك".

19 دي

خيّم الصمت على الخيمة، وحدقنا جميعًا إلى الشكل الذي أمامنا. كان طويلًا، وذا شعر داكن كثيف، مسربلًا بالسواد من رأسه حتى أخمص قدميه، باستثناء ورقة حمراء صغيرة مُخاطة على كُمهِ. على الرُغم من مظهرهِ القاسي، إلا أنهُ كان صغيرًا، لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر. جالت عيناه الجميلتان في أرجاء الخيمة، متفحصًا كُل واحد منا. توقفت عيناه عليّ لبرهة، وبدا حاجباه وكأنهما يتقوسان قبل أن ينظر إلى سيريدوين ويثبت عينيه عليها. تحركَ نحوها واحتضن يدها بين يديه. قال مُبتسمًا بصوت خافت: "مثل المسافر، أعودُ مرةً أُخرى".

رفعتْ سيريدوين يديها ووضعتهما على خديها اللذين أصبحا ورديان. ردت: "تسعدني رؤيتك".

تبادلا النظرات بشغف، ثم صاح الطبيب بصوت عالٍ وقال: "من الجيد أن أراك يا دارف، ولكن المكان أصبح مزدحمًا، ولديّ مرضى يجب عليّ أن أعتني بهم".

ابتعد دارف عن سيريدوين، وعانق الطبيب، بدا الطبيب غير مرتاح لذلك، لذلك ربت على ظهر دارف كي يفلته.

قال دارف: "بالطبع، سنتحدث لاحقًا. خرج الطبيب من الخيمة، وأعاد دارف بوشار انتباههُ إلينا. قال، وهو ينقل نظره بيني وبين روغان: "يبدو أن المقدمات ضرورية أنا دارف بوشار".

قاطعته العمة ماي: "هذه هي الفتاة التي أخبرتك عنها، شقيقها في البرج". بدتْ متوترة، ومترددة، بخلاف طبيعتها، كما لو أن وجودها في حضرة دارف أرهبها. ابتسم لها دارف بلطف، وقال: "شكرًا لكِ يا عمة"، واسترخى بشكل واضح وسأل: "ومن هذا؟". تابع وهو يحُدق أولًا إلى روغان، ثم إلى يد روغان، التي كانت لا تزال على ذراعي.

رفع روغان يده إلى جانبه وقال، "أنا روغان. أنا.. صديق دي".

ضحك دارف: "الصديق المتشكك. دعني أؤكد لك أنني لستُ قصةً خرافيةً أكثر من قصة البرج خلفي. والآن، شقيقها هناك جنبًا إلى جنب مع أحد أفضل الجنود. ليست قصة قبل النوم، لكنهُ واقعٌ صعب. قال بقوة: حان الوقت للعمل، للقتال".

صاح روغان بازدراء: "للقتال؟ أنت وأي جيش؟".

بكيتُ وقلت: "روغان توقف"، لكن دارف ضحك، لم يبدُ منزعجًا من وقاحة روغان، في الواقع، بدا وكأنه يستمتع.

قال وهو يرفع يده للعمة ماي التي تقدمت إلى الأمام وعيناها تلمعان: "إنك تُذكرني بشخص أعرفهُ". استطعت القول إنها كانت على وشك توبيخ روغان، لكنها تراجعت وظلت صامتة. تابع دارف: "هل تريد أن تعرف أي جيش؟ حسنًا، إنهم هناك. وهم ينتظرون".

سألتُ ولكنني كنت أقل تشكيكًا: "أي جيش؟ من المؤكد أن جيش الدومينيون لا يقارب جيش الاتحاد".

"لم يعد الاتحاد كما كان، ونحن لم نعد الوحيدين الذين يريدون زواله، لقد شكّلنا اتحادًا مع الفيراغ، وهم أكثر ضراوة وتعطشًا للدماء أكثر من أي شيء يمكن أن تتخيله".

صرختُ بشك: "الفيراغ؟" هل فقدت عقلك؟ الفيراغ هم وحوش، شيء ما من الكوابيس".

قال دارف: "لقد أصبح الفيراغ مختلفين وهم مصممون على إصلاح أخطاء الماضي".

سخر روغان: "وأنت تثق بهم؟".

قلت: "أنا أؤيد روغان. فجأةً بدأت الأرض تهتز. انقلب المصباح الشمسي على الطاولة، وسقط على الأرض. وشرع تيتوس ينبح، صرخت بصوت مرتفع. كان رأسي مليئًا بالغضب، غضب أسود أعمى كان يزداد مع اهتزاز الخيمة وبدأتُ أتلوى، إنه سي، استطعتُ أن أشعر به في ذهني، لففتُ ذراعي حول رأسي، وترجحت ذهابًا وإيابًا مع تدفق الموجات بشدة فوقي، مددتُ يدي، وتواصلت معه، فأرسل لي أفكار الهدوء، "المنزل"، حتى شعرتُ أن العاصفة أخذت تخبو شيئًا فشيئًا. توقفت الخيمة عن الاهتزاز، وركض ثاديوس إلى روغان.

صاح روغان: "ما هذا بحق الجحيم؟"، واقترب مني واحتضنني وسألني: "هل أنت بخير؟".

شعرت بالدوار، وكاد يغمى عليّ: "ما كان هذا؟ إنها المرة الثانية خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية التي أشعر فيها أن الأرض ستنفجر. هل هو سلاح الاتحاد الجديد؟ هل الكوكب يُحتضر؟".

نظرتُ إلى روغان متوسلة: "ما الذي يحدث؟".

كانت العمة ماي ودارف يقفان عند المدخل، لكنهما كانا قريبين بما يكفي لكي أسمع ما الذي يقولانه. قالت العمة ماي بهدوء: "أخيرًا لقد عاد الفتى إلى وطنه".

أجابها دارف: "مهما يكن الأمر، ليس من السهل دفعه".

أجابت بابتسامة صغيرة: "حسنًا، إنه ذو روح طيبة"، ودنت منه لتلمس خده بطريقة أمومية. "بطيء الغضب. إن أردت رأيي، يشبه والده كثيرًا".

عندما خرجتْ الكلمات، تراجع دارف عن مداعبتها ونظر إليها بحدة، شهقتْ وهي تغطي فمها بيدها، لكن الأوان فات، لقد سمعتها أنا وروغان.

قلتُ ببطء: "والده؟ ما الذي تتحدثان عنه؟". بدا دارف قلقًا. تابعتُ "أبوه هو أبي. من الأفضل أن يتحدث أحد الآن ويشرح الأمر. من هو أبونا؟ من؟".

قالت العمة ماي: "الوقت غير مناسب الآن، كثيرة هي الأمور التي يجب علينا القيام بها من دون أن نشتت أفكارنا الآن...".

صرختُ: "نشتت أفكارنا؟ هل تسمين هذا تشتيتًا للأفكار؟ حسنًا، دعيني أخبرك شيئًا لن يحصل شيء قبل أن يخبرني أحدكم من هو أبونا".

أشرتُ إلى دارف. "هل أنت؟ هل هذا ما قصدته؟". ظل دارف صامتًا، وحدّق إلى اللاشيء. أصررتُ: "منذُ متى تعرف؟". لم أسمع جوابًا، فقلت بهدوء ومرارة: "لقد كنت تعرف، أليس كذلك؟ كيف تجرؤ على المجيء إلى هنا الآن؟".

أجاب دارف وهو ينظر إلى العمة ماي وبدا من عينيه مقدار غضبه: "لم أرد لذلك أن يحصل على هذا النحو". نظر إلى الأرض وهمس: "سامحيني".

"سامحيني؟". حاولت القفز من السرير، ولكن روغان حاول منعي، لكنني دفعته جانبًا، ووقفتُ منتصبة للمرة الأولى منذ أيام. "ماذا عنك؟ تظهر هنا بعد ستة عشر عامًا، وبعد كل ما مررنا به، وتقول مبتسمًا لدينا جيش، أوه، بالمناسبة، *أنا والدك المفقود منذ زمن طويل* هل تمزح؟ هل لديك أي فكرة كم عانينا؟". ساد الصمتُ في أرجاء الخيمة بينما كنتُ أنتظر رده. استدارت العمة ماي، ومسحت دموعها. ووقف روغان خلفي.

أخيرًا، قال دارف بخضوع: "كنت أحاول حمايتكما". لا يزال يحدق إلى اللاشيء.

قلتُ بسخرية: "أوه، حسنًا كل شيء على ما يرام، كانت حماية جيدة إذا لم تحسب حساب الضرب، والإذلال، والأيام التي أمضيناها من دون طعام، والحرمان التام من المودة الإنسانية، التي قيل لنا أن لا ضرورة لها، لم يكن لي سوى سي، لأنك لم تكن موجودًا". خطوت خطوة، وشعرت بالدوار. أمسك بي روغان عندما بدأت أهوي، لكنني

استدرتُ إليه، وأوليت العمة ماي ودارف ظهري: "أنا بخير. ليغادر، لا أريد رؤيته مجددًا".

وضع روغان تيتوس على السرير، واحتضنني، فضغطتُ رأسي على صدره، محاولة ألا أبكي.

قال روغان: "اخرج، افعلْ ما طلبتهُ منك".

تنهد دارف، وقال: "أنا لا أستطيع، ما لم تأتيا معي، لم يعد المكان آمنًا البلوز قادمون، علينا الوصول بسرعة إلى المدينة، إذا أردنا البقاء على قيد الحياة وإنقاذ أخيك. اغضبي، اكرهيني، ارغبي بقتلي، أيًا يكن ما تريدينه، ولكن احزمي أمتعتك ودعينا نذهب".

سأل روغان بتشكك: "كيف نذهب؟ بالكاد تستطيع دي المشي، ناهيك عن الوصول إلى أولد كي".

ابتعدتُ عنه، ونظرت إلى عينيه.

قلتُ: "لا تقلق عليّ، سأكون بخير طالما أنك معي، كل ما يهم الآن هو سي، حياتي لا تساوي الكثير إذا حدث له شيء". توقفتُ. "لكن علينا أولًا التوجه إلى خيمتي، لوضع أدوات سي في مكان آمن، وجمع الإمدادات وإخبار سارة بما يحدث. إنها تستحق معرفة الحقيقة، بالإضافة إلى أننا لا نستطيع أخذ تيتوس معنا، آملُ أن تكون مستعدة لرعايته".

"أنا متأكد من أنها ستفعل ذلك، ولكن هل أنتِ متأكدة من قدرتك على المغادرة؟ أنت في غاية الضعف، يمكنني اصطحابك إلى الأنفاق ويُمكننا الانتظار هناك..."

ضحكتُ بشدة: "الانتظار في الأنفاق، أنت وأنا نعلم أن أيًا منا لم يولد ليختبئ، أين المتعة في ذلك؟ أُفضل أن يلاحقنا اللوبوت بدلًا من نختبئ وهذا ما ينطبق عليك أيضًا".

ابتسم روغان موافقًا، والتفت إلى دارف: "قابلنا عند طرف ديفينيتي، سنكون هناك خلال ساعة".

أومأ دارف برأسه، وغادر الخيمة. تنهدت العمة ماي بشدة: "لقد فعل ما كان يعتقد أنه الأفضل في ذلك الوقت. كان صغيرًا جدًا...".

قاطعتُها: "لا أريد سماع ذلك، هيّا روغان، لنذهب".

جمعتُ صندوق أدوات سي، وأمسكتُ بالأدوات الطبية التي تركها لي الطبيب، وتجاوزتُ العمة ماي في شمس الظهيرة، وتبعني روغان وهو يحمل تيتوس. مشينا صامتين بين الخيام، وكانت الأفكار تزدحم في رأسي. تركني روغان بمفردي لدقائق، ثم انفجر فجأة: "لماذا أنت غاضبة جدًا؟".

توقفت واستدرتُ نحوه محتجة: "أي نوع من الأسئلة هذا؟ لماذا لا أغضب؟".

هزّ روغان كتفيه، وأبعد الشعر من عينيه ونظر إليّ بهدوء: "لا أعرف. ألم نكن نحلم باليوم الذي سيعود به آباؤنا؟ أنا شخصيًا كنت أحلم. كان الشيء الوحيد الذي منعني من البكاء كل ليلة عندما أنام في دار العمل هو الأمل أن يأتي والداي يومًا وينقذانني..".

صرختُ مرةً أُخرى: "لكنه لم يعُدْ وينقذني، أليس كذلك؟ لقد فات الأوان على ذلك الآن".

بدا روغان مُرتبكًا: "ما الذي تقصدينه، بلقد فات الأوان؟ أنا لا أفهم".

تمتمتُ: "لا شيء، هيا. ليس لدينا وقت لهذا". ركضتُ وتبعني روغان.

أخيرًا، وصلنا إلى الخيمة. وضعتُ صندوق الأدوات على الأرض، ثم استدرتُ وأخذت تيتوس من روغان: "ابقَ هنا، سأعودُ حالًا". أنزلتُ تيتوس برفق، وفتحتُ باب الخيمة، ودخلت، تبعني الكلب الصغير. كانت سارة تجلس على الكرسي في الزاوية، وكانت تخيط شيئًا لامعًا. نظرت إلى الأعلى وشهقتْ عندما رأتني.

"لا أصدق عيني، هل أنت دي؟ هل أنت أفضل؟". وضعت ما تخيطه، ونهضت وعانقتني، ثم امتلأت عيناها بالدموع. بدأتْ تقول: "سي...".

أجبتها: "أنا أعلم، لا تقلقي. أعدك أننا سننقذه، لكنني أريدك أن تبقي هنا. هل يمكنك الاعتناء بهذا؟".

أشرتُ إلى تيتوس فلمعت عيناها. تنفستْ "أوه، يبدو أنه أحد كلاب الأثرياء". هز تيتوس ذيله، ووقف على قائمتيه الخلفيتين، فحملتْهُ سارة بفرح وضمتْهُ إلى صدرها. قالت: "بالطبع يمكنني الاعتناء به". ثم نظرتْ إليّ مرة أخرى، ولا تزال الدموع تنهمرُ بغزارة: "لكن ماذا سيحدث لسي؟".

قلتُ: "الدومينيون هنا"، بدوتُ مستاءة قليلًا. نظرتْ إليّ بطريقة غريبة، وحاولتُ أن أقولها مرةً أخرى دون أن أشعر بالمرارة. "سألتحق بهم اليوم أنا وروغان. سيكون كل شيء على ما يرام".

بدتْ سارة متشككة، ولكن بعد ذلك نبح تيتوس نبحة صغيرة، فركزتْ عليه مرة أخرى. تمتمتْ له: "جميل جدًا". مددتُ يدي وحككتُ خلف أذنه.

قلت لها: "أدوات سي أمام الباب، ضعيها في مكان آمن. إذا احتجت إلى طعام، فهناك زوجان من المنحوتات في الصندوق الموجود تحت سرير سي قايضي بها الطعام.. أتمنى أن أراك قريبًا". لم أنتظرْ ردها، خرجتُ من الخيمة قبل أن ترى الدموع تتشكل في عينيّ. أسرعتُ متجاوزة روغان، وقلتُ بفظاظة "تعالَ".

تبعني بصمت، وسرنا بصمت بين الخيام متجهين إلى جانب ديفينيتي حيث كان والدي ينتظر. أخيرًا رأيناه من بعيد، يقفُ في ظل خيمة، وكانت سيرودوين تقف إلى جانبه. كُلما اقتربنا، رأيتُ أنه كان يتحدث إلى أس- سام. عندما وصلنا إليهم، نظر أس- سام إلينا بصمت لكن بانتباه.

"حسنًا؟". تحديتُ دارف. كان دافعي لمهاجمته قويًا، وكنتُ آملُ أن يقول شيئًا، أي شيء، حتى أتمكن من الصراخ عليه مرة أخرى، وكأن ذلك سيجعلني أشعر بأنني أقل خيانة.

ولكن كل ما قاله هو: "استعد لمواجهة جيش الجمجمة". ثم استدار، وشرع بالسير نحو أولد كي.

20سي

سألتُ تريك، مرتابًا: "سلاح؟ ما الذي تتحدث عنه، كيف أكون سلاحًا للدومينيون؟ إنهم لا يعرفون من أكون، وأنا بالتأكيد لم أقابل أيًا منهم. وعلى الرغم مما تقوله العمة ماي، أنا أشك أنهم موجودون. إذا كنت تعتقد أنني أنا من تسبب بالاهتزاز، فلا بد أنك تمزح، الأرض دائمة التحرك.. لا علاقة لي بها".

أجاب تريك وهو يسعل بوهن: "أنا لا أمزح، والأمر يتجاوز أن الأرض دائمة التحرك". دفع نفسه، واستند إلى مرفقيه. كان يحدق إليّ وسألني: "هل أنت جاد في أنك لا تعرف حقيقة من تكون أنت وأختك؟".

"نحن اثنان من أطفال دور العمل، هربنا وأصبحنا عمالًا أحرارًا. ماذا الذي تريدني أن أعرفه أيضًا؟".

حاول تريك الجلوس. فجأةً، شهق والتوى وجهه من الألم.

سألتُه: "ما خطبك؟". طغى قلقي عليه على حيرتي وفضولي. "هل أنت بخير؟".

تنفس ببطء عبر أسنانه: "أعتقدُ أن أحد أضلعي مكسور، هذا كل شيء".

بدأتُ أقول شيئًا ما، لكنه تجاهلني باستخفاف، قال: "لقد سبق لي أن مررت بما هو أسوأ". شاهدته وهو يتحرك ببطء بحيث كان يجلس وقد أولى ظهره لجدار البرج. قال وهو يحتضن نفسه بذراعيه: "حسنًا. حسنًا، لا أعلم متى كان الدومينيون يخططون لاخبارك، ولكن من مصلحتنا أن أخبرك".

قلتُ متشككًا: "بالتأكيد، لا أطيق صبرًا لأسمع منك. دعني أُخمن: أنت رئيس الدومينيون، أنا ودي لدينا قوى سحرية خارقة، وسنقوم نحن الثلاثة بالإطاحة بالاتحاد".

ضحك تريك فجأةً وبشدة، ثم شهق على الفور. أحكم احتضان ضلوعه بذراعيه بينما استمر بالتناوب بين صرخات الضحك وصيحات الألم. عندما هدأ أخيرًا، نظر إليّ: "حسنًا، يبدو أن ما قلته غريب، لكنك لم تبتعد كثيرًا عن الحقيقة".

قلت وأنا أهز رأسي: "أنت إما مجنون، وإما تمزح من الألم". ابتعدت عنه، ونظرتُ إلى السماء. كانت الغيوم صفراء داكنة وتُنذر بالخطر، ستمطر قريبًا وبغزارة وسيكون هطول المطر مريحًا، بالرغم من أنني لم أتناول الطعام منذ فترة طويلة إلا أنني أكاد أموت من العطش. تخيلتُ نفسي مستلقيًا على المنصة، وفمي مفتوح على مصراعيه، وألتقطُ قطرات الماء التي تسقط على لساني. كدتُ أتذوق طعم المطر الحمضي المر، عندما قاطعني تريك بأحلام اليقظة.

قال بهدوء: أنا آسف، أنا آسف لأنهم لم يخبروك، لكن عليك أن تعرف. الدومينيون حقيقيون".

تنهدتُ: "حسنًا. الدومينيون موجودون. هل أنت قائدهم؟".

ضحك، وقال: "لا"، ثُم أمسك ضلوعه مرة أخرى. "أنا أحد المشاة، دوري الأساسي هو العمل كصلة وصل بين الدومينيون وأنصارهم، مثل العمة ماي، في ديفينيتي، وكذلك عبر مقاطعة تريليوم. أنا أنقل المعلومات ذهابًا وإيابًا، وأستخدمُ عملي لمساعدتهم في شراء الأسلحة، وأشياء من هذا القبيل. عملي ليس مهمًا، لكنني أفعل ما بوسعي".

قلتُ: "حسنًا، من هما والداي؟ ولماذا لا يعرف أيّ منا أيًا من هؤلاء الموالين للدومينيون إذا كنا مهمين جدًا؟".

"لن تكون حركة الدومينيون سرية إذا عرف الجميع من هم المتمردون، أليس كذلك؟ العمة ماي واحدة منهم، نعم، لكن هناك العديد غيرها. أنت تعرف بالفعل بعضًا منهم، لم تكن تعلم أنهم موالون. كان الأمر يتعلق بحمايتكُما، على ما أعتقد. لا أعرف التفاصيل، لكنني سأخبرك بما أعرفه".

كنت أسمع صوت الرعد يقصف في البعيد، وكان المطر يقترب. ثم خطرت لي فكرة: ماذا لو حصل برق؟ كان البرج البناء الأطول في المدينة، وربما في كل البلاد يا لها من طريقة لتنتهي حياتي مشويًا على قمة البرج. ارتجفتُ.

تتبع تريك نظراتي إلى السماء، وكأنه يقرأ أفكاري، قال: "لا تقلق. البرج محمي بشكل جيد، هناك قضبان تأريض مدفونة تحت القاعدة تسحب الكهرباء منها. نحن بأمان تام".

قهقهت: "أمان؟ فكرت إذا كنت لا تفكر في احتمال السقوط من هنا، أو معركتنا القادمة حتى الموت، أو الموت من الجوع أو العطش أولًا. أيًا يكن الأمر، كيف لفتى لم يسبق لي أن قابلته أن يعرف الكثير عني؟".

فكّر تريك للحظة. وأخيرًا قال: "بالطريقة نفسها التي أعرف فيها الكثير من الأشياء. هناك ميزة بأن تكون فتى وصغيرًا جدًا. بالرغم من العيوب، لكن من السهل جدًا أن تجلس في زاوية حيث يتجاهلك الآخرون ويقللون من شأنك، ربما يجدر بي أن أخبرك من البداية".

تنهدتُ: "لم لا، فنحن لن نذهب إلى أي مكان في وقت قريب، من فضلك، نوّرني".

أجفل تريك من الألم، وتلوى حتى أصبح في وضعية شبه مريحة، أبعد خصلات الشعر عن عينيه وقال: "أنا مثل معظم الناس في هذا العصر، تُركت في دار العمل قبل أن أبدأ بالحبو...". قاطعته "عندما قُلت البداية، كنت تعني البداية حقًا". بينما كنت أبعد نظري عنه، نظر إليّ بحدة، فشعرت بالتوبيخ. تمتمتُ، "آسف".

أومأ تريك وتابع: "لقد وُضعتُ تحت رعاية ولي أمر وحشي وسادي بكل ما تعنيه الكلمة. كان اسمه كلود، وعلى الأرجح أُصيب بصدمة نفسية بسبب ماضيه، لكنه حرص على تنفيس غضبه عليّ كلما أُتيحت له الفرصة". استدار وسحب قميصه الرقيق ليكشف عن نمط متقاطع من الندوب الكثيفة والمرتفعة التي كانت تنتشر من كتفه إلى أسفل ظهره. تنفست بعمق، فهزّ كتفيه بلا مبالاة، ثم ترك قميصه ليغطي

ظهره مجددًا، وأكمل: "كان لديه حزام خاص ذو مشبك، وكان يضربني به لأي سبب، مهما كان تافهًا، لم يكن أحد ليهتم ما دام الضرب لم يتسبب بموتي".

قلتُ: "قصتك مألوفة"، فأومأ برأسه.

"لذلك، لم أكن أتحدث ما لم أكن مضطرًا. لقد تعلمت بالطريقة الصعبة أنه إذا كان بإمكاني الاندماج في الخلفية، وجعل نفسي غير مرئي، فستكون لديّ فرصة أكبر للبقاء على قيد الحياة، أصبحتُ جيدًا جدًا في المشاهدة والاستماع، بعد ذلك، قبل ذكرى الترك السابعة مباشرةً، سمعتُ أحد الحماة يتحدث عن مقطورة نقل بالطاقة الشمسية كانت تغادر في الصباح، وتأخذ المنتجات الطازجة والإمدادات الأخرى من دار العمل لدينا بالقرب من الحدود إلى الجزيرة. تسللتُ من جناح النوم إلى المقطورة مُختبئًا بين الصناديق. كان هذا آخر ما رأيته في دار العمل. قضيتُ أيامًا أتناول البطاطا النيئة، وبالكاد أستطيعُ أن أتحرك بسبب الحرارة الجهنمية داخل المقطورة، لكن الأمر يستحق العناء. تسللتُ من المقطورة بمجرد اقترابي من أولد كي، وشققت طريقي إلى ديفينيتي.

سخرتُ: "سأراهن أن كلود وقع في شر أعماله لأنه لم يراقبك بشكل أفضل". يمكن للحماة أن يكونوا لطفاء أو قساة كما يريدون، لكن فقدان ولد يكون تحت رعايتهم يعني أيامًا في السقيفة.

أجاب تريك: "هذا ما يحصل عادة، لكنني قتلته قبل أن أغادر".

صرختُ، مصدومًا: "قتلته؟ وأنت في السادسة من عمرك".

هزّ تريك كتفيه وأجاب: "لقد نضجت باكرًا".

صدمت، وأزعجتني بعض الشيء فكرة أن تريك كان وحشيًا جدًا في مثل هذه السن المبكرة، على الرغم من أنها كانت مفهومة في ظل الظروف المحيطة. كنت محتارًا بين عدم الرغبة في المعرفة وبين الفضول الشديد. أخيرًا، سألتُه: "كيف فعلت ذلك؟".

"انتظرته حتى نام، ثم لففتُ الحزام حول عنقه، وشددتهُ بإحكام، واستخدمتُ لوح سريره للضغط. عندما توقف عن الحركة، نزعت مشبك الحزام، ودفعته إلى أسفل حلقه قدر الإمكان". نظر إليّ وابتسم ابتسامة خافتة. لقد فهمت في تلك اللحظة أن الاستخفاف بتريك كان أكثر شيء خاطئ يمكن لأي شخص أن يفعله.

جلسنا صامتين، ثُم تنحنح وتابع. "بمجرد وصولي إلى ديفنتي، كان الأمرُ صعبًا. خلال الأشهر القليلة الأولى، بحثتُ ما استطعتُ خلال النهار، ونمتُ خلف الصناديق في بلاوبلاو، في مأمن من أي شخص يحاول الاستفادة من شخص صغير وضعيف. ذات ليلة، كنتُ مُتجهًا إلى أسفل الخيام، بحثًا عن بقايا طعام، عندما سمعتُ صوت امرأة. بدتْ خائفة. وكان هناك صوت رجل كذلك. اقتربتُ أكثر وسمعتهُ يقول: "أعطني ما تدينين بهِ، أو سأجرُك بنفسي إلى منزل الدعارة". ألقيتُ نظرة خاطفة من خلال باب الخيمة ورأيتها. كانتْ... جميلة". تنهد طويلًا وبشدة وهو يستدير بعيدًا وينظر نحو الأفق. لم يقُلْ شيئًا للحظات، حتى تكلمتُ.

سألتُه بهدوء: "من كانت؟".

التفت بسرعة، كما لو كنتُ قد أيقظتهُ من حلم، حلم جميل لم يكن يريد أن يستيقظ منه: "كان اسمها سيلفي بلين. كان لديها كشك في السوق الخفية. لقد أتى أحد الكاسينو بويز كي يأخذ منها خوة، شاهدتهُ وهو يمسك بذراعها. صرختْ، ودخلتْ الخيمة. سألتهُ، "لماذا تؤذي أمي؟". استدار نحوي، مُتفاجئًا برؤية فتى صغير يقف هناك، وبينما كان مشتتًا، أمسكت بسكين كانت على الطاولة وطعنته في ظهره. جاء بعض الجيران من العمال الأحرار وساعدوها في التخلص منه".

على الرغم من شكوكي الأولية، إلا أنني كنت أجد قصة تريك رائعة. كنت أستطيع أن أتخيله، شخصية صغيرة أمام المدخل في ظلمة الليل، وهي تمسك السكين وتغرقها في ظهر الرجل الذي كان سيُؤذيها. شعرت... بارتياح مذهل. سألتُ بلهفة: "ماذا بعد؟".

قال ببساطة: "لقد استوعبتني". لقد كانت أمًا بالنسبة إليّ مثل أي امرأة يمكن أن تكون في أي وقت مضى. كانت أيضًا من أنصارُ الدومينيون، وعلى مدى العامين التاليين، ذهبتُ معها إلى كل مكان، إلى كل اجتماع سري، إلى كل لقاء مع قادة المناضلين من أجل الحرية، حيث كنت أجلس في زاوية، ألعب بلعبة مثل طفل جيد. لكنني شاهدت وسمعت، حتى عرفت كل ما أحتاج معرفته.

سألتُه: "سنتان؟ لماذا سنتان؟ ماذا حدث بعد سنتين؟". كنت أرغب في الحصول على نهاية سعيدة لهذه القصة، ولكن في أعماقي، كنت أعرف أنها لم تكن كذلك. قال: "لقد مرضتْ، مرض الإشعاع. ماتت ولم يكن بوسعي فعل شيء. بمجرد أن ماتت عدت وحيدًا

مجددًا. لكن على الأقل كان لديّ الدومينيون. بدأتُ العمل معهم، وأنشأت شبكة من الجواسيس، واستخدمت مواردي لتمويلهم، حتى نصب لي خائن كمينًا وانتهى بي المطاف هنا".

سألتُ بصدمة: "عصابة الأطفال؟ هل كلهم جزء من الدومينيون؟".

أومأ رأسه: "وأكثر من ذلك بكثير".

سألتُه: "لكن من هو الخائن؟ هل هو الذي أصاب دي أيضًا؟".

"لا أعرف من هو. بعد". أصبح وجه تريك شاحبًا. "لكن لديّ شكوك".

قلتُ: "أراهن أنه أس- سام، هناك شيء عنه أنا لا أثق به".

ضحك تريك: "لا، ليس أس- سام. إنه جندي مخلص. ليس هو من أشك به. لا، إنه شخص آخر، شخص يائس وليس لديه ما يخسره. شخص يرغب في بيع أصدقائه مقابل النقود".

تنهدتُ في سخط: "حسنًا، ما علاقتي أنا ودي في كل هذا؟".

تنفس تريك بعمق: "حسنًا، أريدك أن تبقى هادئًا. من المهم جدًا أن لا تغضب عندما تسمع ما يجب أن أخبرك به. صدقني".

قلتُ ببطء: "سأبذل قصارى جهدي"، محاولًا أن أحافظ على إيقاع قلبي. "ما هو؟".

"والدك ووالدُ دي - هو دارف بوشار، مؤسس المقاومة وزعيمها". شهقتُ لكنهُ واصل، غافلًا. "عندما ولدت، كان الاتحاد قد تسلل إلى الدومينيون عن طريق الجاسوس. أخذكما دارف إلى دار

العمل، حيث اعتقد أنكما ستكونان بأمان، أعرفُ كم كان ذلك فظيعًا بالنسبة لك ولدي، لكنهُ فعل الشيء الوحيد الذي يمكنه حمايتكما.. إخفاؤكما بعيدًا". لقد دُهشتُ "أنا... أنا لديّ أب؟ أعني، من الواضح أنه كان هناك أب متورط، لكن هل تقصد أنه لا يزال على قيد الحياة؟ وفي الخارج هناك؟ كان هذا حلمًا. لم يكن هناك تفسير آخر". جلستُ، أحدق إلى الفراغ، أحاول معرفة كيف يمكنني الاستيقاظ.

"أعلم أن هذا كثير عليك لتستوعبه". لمس تريك كتفي بلطف والتفت نحوي. "ولكن هناك المزيد". حدقت إليه، مصعوقًا، غير قادر على الكلام. وتابع: "بعد ولادتك مباشرة"، وقبل أن تُترك في دار العمل، نقلت إلى منشأة خاصة، حيث حصلت على غرسة إلكترونية".

همستُ: "أي نوع من الغرسات؟". لقد حاولت أن أبقى هادئًا، لكن عقلي كان في حالة من الفوضى. "إنه نوع من الأجهزة الصوتية- التي يتم تشغيلها عن طريق زيادة النورأدرينالين في الدماغ- وهذا هو رد الفعل للطيران أو القتال. كلما شعرت بالرعب أو الغضب، تنشُط الغرسة وتسبب طاقة صوتية كافية بحيث يبدأ كل شيء من حولك في الاهتزاز. بما في ذلك الصفائح التكتونية تحت الأرض. تلك الزلازل التي نشعر بها ليست طبيعة. أنت من يتسبب بها، وكلما أصبحت أنت أكثر قوة، ازدادت قوتها بما يكفي لتدمير العالم".

21 دي

سار دارف بوشار إلى الأمام، ولم ينظر إلى الوراء. بدا أن سيريدوين تطفو بصمت، وعباءتها تطير حولها، ولم تواجه صعوبة في مشيها. كان أس- سام يحاول مواكبة الركب، لكنه كافح من أجل شق طريقه فوق الأنقاض التي تناثرت على الأرض بين ديفينيتي وأولد كي. في كثير من الأحيان، كان أس- سام يلقي نظرة خلفنا، وقد بدا القلق على وجهه. مشيتُ وروغان جنبًا إلى جنب في صمت لفترة من الوقت، ولاحت أولد كي في الأفق، وكنا نقترب منها كل دقيقة. فجأة توقف روغان، وأمسك بذراعي وجذبني إليه. سببت الحركة صاعقة من الألم في ظهري، لكنني لم أتركه يراني أتألم.

سألتُه: "ما الأمر؟". بدا متوترًا وقلقًا، لكنه ترك ذراعي.

أجابني: "إنها فكرة سيئة".

"ما هي الفكرة السيئة؟ الجزء الذي نتبع فيه ما يسمى بوالدي إلى المدينة، أو الجزء الذي ننضم فيه إلى جيش المتمردين السريين، أو الجزء الذي نسقط فيه الاتحاد؟". لم أقصد أن أسخر منه، لكن بدا أن الأوان قد فات قليلًا لبدء التساؤل عن الأمور الآن.

قال: "الأمر برمته"، وهو يشير إلى الدمار الذي يحيط بنا. "تذكري آخر مرة كنا هناك؟ لم يكن بالضبط منتزهًا فاخرًا. ماذا لو كان هذا كمينًا

آخر؟ أعني ما هي احتمالات أن يخفي الرجل الذي أخفى حقيقة أنه كان والدك لسنوات أمورًا أخرى الآن؟".

فكرتُ لبرهة، ماذا لو كان روغان محقًا؟ ولكن بعد ذلك شعرت بشيء وقلت: "أعتقد أن شخصًا مثل دارف بوشار قد يكون قادرًا على خداع الطبيب، أو حتى العمة ماي. لكنني لا أعتقد أن سيريدوين ستثقُ به لثانية إذا كان خائنًا، يبدو أن لديها فكرة عن هذه الأشياء، أنا متأكدة من أنها تستطيع معرفة إن كان يكذب". تقبّل روغان الأمر، وبدا الارتياح على وجهه.

"حسنًا، لن يقتلنا دارف بمجرد عبورنا إلى أولد كي، لكن ماذا عن البقية؟ لقد سمعت قصصًا مرعبة عن الفيراغ فربما سيأسروننا ويحولوننا إلى وجبتهم التالية؟". شعرت بالقشعريرة من الفكرة. حاولتُ ألا أفكر أن الفيراغ في الغابة في ذلك اليوم، لذا حاولت التفكير بسي. قلتُ: "كل ما أفكّر فيه هو إنقاذ سي، وإذا كان الذهاب إلى أولد كي والقتال مع مجموعة من أكلة لحوم البشر الجنوبية هو ما يجب أن أفعله، فهذا ما سأفعله. إذا كنت لا تريد المجيء، وإذا كنت خائفًا، فلا داعي لأن تكون هنا". قلت ذلك بلطف وحسن نية، لكن عينيِ روغان أومضتا.

قال مستاءً: "أنا لستُ خائفًا، كل ما في الأمر أنني قلق عليك، قبل ساعات قليلة، كنتِ مستلقية على السرير، وتحاولين التعافي من المرسا، والآن تمضين لما قد يكون كمينًا، بناءً على طلب من رجل لم يسبق لك أن قابلته، ويزعم إنه والدك، اعذروني على توخي الحذر".

شرعت أرد عليه، ولكن بعد ذلك انتابتني صاعقة أخرى من الألم، لم أستطع منع نفسي من أن أجفل، ولان وجه روغان على الفور. قال

بهدوء: "مهلًا، أنا آسف، هل أنتِ بخير؟ هل زال مفعول مسكنات الألم؟".

أجبته: "يبدو أنه زال، ربما حان الوقت لجُرعة أخرى من دواء المرسا". بحثت في حقيبتي، ووجدتُ زجاجات حبوب الدواء التي تركها لي الطبيب، أخرج روغان قارورة ماء من حقيبته، وأمسك بها لأجلي. كنا قد توقفنا عند تاب قبل مغادرتنا ديفينيتي، لأننا لم نكن نعرف إن كنا سنعثر على مياه نظيفة في أولد كي، التاب هو الهيكل الصلب الوحيد في مدينة الخيام بأكملها، وهو مبنى منخفض من الطوب يضم مراحيض وأحواض استحمام. لقد كان مكانًا للاجتماع مثل أي شيء آخر، حيث يمكن للناس الاختلاط بالآخرين، والقيل والقال، والاسترخاء لبضع دقائق أثناء الحصول على المياه العذبة أو تنظيف أنفسهم. في المساء، كان الناس يجتمعون، ويجلب بعضهم الآلات الموسيقية، وتتشكل فرقة موسيقية فجأة. ثم تنطلق الأغنية: "ليلة الفرقة.. لا جلوس القرفصاء" وكانت الموسيقى التي يتردد صداها عبر السماء وفوق مدينة الخيام تجذب العمال الأحرار الصغار والكبار، فيأتون للرقص وينسون مشاكلهم لبضع ساعات.

لحسن الحظ كان تاب مزدحمًا اليوم، لذلك لم يلحظ أحد أننا نملأ قواريرنا على عجل. لم أكن متأكدة إن كانت تاب قد وجدت هنا أولًا وأن ديفينيتي انتشرت حولها، أو إن كانت قد بنيت بعد أن بدأت الخيام الأولى بالظهور منذ عدة سنوات. في كلتا الحالتين، جعلت تاب الحياة في ديفينتي أكثر احتمالًا، لقد أشعرتني المياه بشيء من الراحة الآن. كانت الشمس تنخفض في السماء وهي تنتقل نحو الغسق، لكن

الجو لا يزال حارًا ما جعلنا نتعرق ونحن نمشي. لقد ابتلعت الحبوب مع كمية قليلة من الماء، كان مذاقها معدنيًا بعض الشيء، لكنها كانت منعشة، وبينما كنت أعيد القارورة إلى روغان، سمعنا دارف يصرخ لنا من الأمام كي نلحق بهم: "ماذا تفعلان؟ دعونا نذهب". وضعت سيريدوين يدها على ذراعه، وقالت له شيئًا ثم استدارا نحو أس- سام.

نظرت إلى روغان وابتسمت له بلطف وقلتُ: "الفرصة الأخيرة للعودة إلى الراحة من ديفينيتي".

تنهد روغان، ثم ابتسم لي وقال: "لست أنا من يتخلى عنك، سأكون آخر من يكون عشاء للفيراغ". ضحكتُ رغمًا عني، سأضيعُ من دون سي، ولكن إذا حدث أي شيء لروغان، لم أكن أعرف ما الذي سأفعله. خطر لي أنني ربما فكرت به على أنه أكثر من مجرد صديق أيضًا، ثم نحيت هذه الفكرة جانبًا. ربما في وقت آخر أو مكان آخر، لكن هذه ليست اللحظة المناسبة للمشاعر أو الرومانسية.

وصلنا بسرعة إلى أس- سام الذي نظر إلينا بتساؤل. قلتُ: "كل شيء على ما يرام، كانت كتفي تؤلمني قليلًا". أومأ أس- سام برأسه، وسرنا نحن الثلاثة معًا عبر الحطام، وشظايا الزجاج التي كانت تحدد الطريق إلى المدينة. أخيرًا، عندما وصلنا إلى الحدود، توقفنا جميعًا في الوقت نفسه. اختفى دارف وسيريدوين في الظل فورًا، لكنني ترددتُ أنا وروغان وأس- سام.

تذكرنا جميعًا زيارتنا الأخيرة إلى أولد كي، والفوضى والعنف والألم، وكل ما حدث منذ ذلك الحين. بدا من المناسب أن نفكّر لحظة،

لم أكن شخصًا مؤمنًا، ولم أعتقد أن روغان وأس- سام كانا كذلك، لكنني شعرت بأنني مجبرة على النظر إلى السماء والهمس: "احفظنا سالمين". سمعت صدى كلمات أس- سام بجانبي "احفظنا سالمين". أما روغان فاكتفى بالإمساك بيدي وضغط عليها قبل أن يتركها.

ثم دخلنا الظل.

فورًا، انخفضت درجة الحرارة، وشعرت بقشعريرة، أخرج روغان سترة خفيفة من حقيبته، وأعطاني إياها. قال بنبرة آمرة: "خُذيها". آخر شيء تحتاجه بعد مرض شديد هو أن تبرد. "لا تجادلي"، أنهى النقاش، مقاطعًا احتجاجاتي.

بقدر ما كرهت أن أكون طفلة، ارتديتُ السترة، لن أكون مفيدة لسي إذا كانت حالتي الصحية متدهورة، في الوقت الراهن، كنت أشعر بشيء من الضعف والدوار، لكنني عزوت السبب إلى مسكنات الألم التي أعطاني إياها الطبيب. من كان يعرف ما كانت مكوناتها بالفعل؟ كنت سعيدة فقط لأنها لم تكن التاستيروم واللوليبايس.

شققنا طريقنا عبر الطريق الرئيسي في أولد كي. في الضوء الخافت بدا كل شيء ساكنًا، ولم يقطع هذا الصمت إلا صوت قطعة من الخرسانة تسقط بين الحين والآخر من أحد المباني في مكان بعيد، وصوت خطواتنا على الرصيف. توقف دارف أمامنا وكان ينتظرنا، كلما اقتربنا منه، سمعتُ ضوضاء، بالكاد كانت ملحوظة في البداية، ولكن بعد ذلك ازدادت، بدا الأمر وكأن مئات الأشخاص يتهامسون، أستطيع القول إن روغان وأس- سام سمعاها أيضًا، من خلال الطريقة التي كانا

ينظران بها حولهما، بدا أن الضوضاء آتية من البعيد وتحيط بنا في الوقت نفسه.

سألت بصوت منخفض وأنا خائفة جدًا من التحدث بشكل طبيعي: "ما هذا؟".

قالت سيريدوين بهدوء وغموض: "لقد رنّ جرس الإنذار".

قال دارف: "يعرف جيش الجمجمة أننا هنا".

غمغم أس- سام "لماذا... لماذا.. لماذا"، خوفه ضاعف من تأتأته أكثر من المعتاد. كنت أعرف لاإراديًا ما الذي يريد أن يسأل عنه. "لماذا يُطلق عليهم جيش الجمجمة؟ هل هم.. هل هم مصّاصو دماء؟". التفكير في الأمر أشعرني بالقشعريرة، لكن دارف ضحك بخفة.

"لا، إنهم ليسوا مصاصي دماء، يا عزيزتي. عندما أتوا إلينا للمرة الأولى، كانوا يتضورون جوعًا لدرجة أنهم بدوا مثل الهياكل العظمية، لم يكن باستطاعة الفيراغ زراعة الكثير من الطعام، تمامًا كما لا نستطيع هنا. لكن على عكسنا، لم يكن لديهم بريدباسكت، ولأنهم جاءوا إلى هنا للانضمام إلينا، حاولنا تسمينهم بعض الشيء، لكن ذلك لم يكن جيدًا، فبغض النظر عن كثرة ما يأكلون، ظلوا نحفاء، ربما بسبب الإشعاع، من يدري؟ أيًا يكن الأمر، لقد رافقهم اللقب. لباسهم الرسمي... مرعب للغاية".

قلتُ: "هذا لا يفسر الضوضاء. وأنا لست عزيزتك". أخفض دارف رأسه قليلًا، ولم يبدُ أنه منزعج. لم أكن أهتم على أي حال، فهو لم يمتلك الحق بمخاطبتي بمصطلح عاطفي مثل هذا.

"ليس لدى الفيراغ أي تقنية- لأن الاتحاد جردهم منها بعد حروب المياه- لذا فهم يتواصلون عن طريق تمرير الرسائل شفهيًا، من شخص إلى آخر. هناك جنود فيراغ مُتمركزون كل 30 قدمًا فوقنا". ضحك عندما نظرت أنا وروغان وأس- سام في الوقت نفسه بصدمة. "الصوت الذي تسمعونه هو صوت تناقلهم لعبارة مفادها أننا ضيوف مرحب بهم ولسنا أعداء، كونوا ممتنين لأن أعدادهم أكبر مما يمكن لأي شخص تخمينه وهم محاربون شرسون، أشعر بالشفقة على أي بلوز ربما تبعنا". أومأت سيريدوين بصمت موافقة. استدارا وتابعا تقدمهما، وتبعناهم نحن الثلاثة ونحن نلقي نظرة خاطفة من حين إلى آخر مع ازدياد حدّة الهمسات.

يبدو أنه مضت ساعات علينا ونحن نسير، لقد بدأت ساقاي ترتجفان، وأصبح رأسي مشوشًا، وتقت للجلوس لحظة، لكنني واصلت المضي قدمًا، ولم أرغب في إظهار أي ضعف. أخيرًا، بدا أننا وصلنا إلى قلب أولد كي، حيث تزدحم المباني، توقف دارف أمام حطام كثيف، وفجأة توقف الهمس.

قال وهو يقف أمام مدخل زجاجي الأبواب: "نحن هنا". الآن فتحت الأبواب على مصراعيها، وانحرفت عن مفصلاتها، وتحطم الزجاج حولها على الأرض. حتى من خلال الظلام، يمكننا أن نرى درجًا يصعد إلى الأعلى وآخر يقود إلى الأسفل. "هيا".

تردد صدى خطواتنا على أرضية رخامية، كانت في وقت من الأوقات فاخرة للغاية، ولكن الحطام والغبار يغطيانها الآن، شققنا

طريقنا إلى الدرج المؤدي إلى الأسفل خلف دارف. وبدلًا من أن يصبح أكثر ظلامًا، بدا أن الجو يضيء قليلًا أثناء نزولنا. أشار دارف إلى اليسار، وتبعناه على طول ممر واسع صامتين.

ما زلنا نشعر وكأننا مراقبون من قبل مئة عين، على الرغم من أنه لم يكن هناك ما يمكن رؤيته. أخيرًا، بعد سلسلة من الالتواءات والانعطافات، وصلنا إلى تقاطع وتوقف دارف لبرهة، وأشار إلى اليمين "سنمضي في هذا الطريق، هل أنتم جاهزون؟".

انعطفنا جميعًا، وتنهدتُ. لاشيء يمكن أن يعيدني إلى تلك اللحظة. سمعت روغان إلى جانبي يستنشق بصعوبة، وازدرد أس- سام لعابه بصعوبة. كنا عند جانب قاعة ضخمة كهفية تحت الأرض. امتدت إلى الخلف لما بدا وكأنها بضع كيلومترات، تتقاطع مع مجموعة أخرى من الأدراج، وقف مئات الأشخاص في صمت أسفلنا داخل تلك القاعة، التي بدا أنها مضاءة بوهج المصابيح الشمسية الخافتة، كان الجميع يضعون أغطية سوداء تغطي وجوههم باستثناء أعينهم، ويرتدون معاطف سوداء طويلة، أو بناطيل سوداء وقمصان، ورُسمت على الأغطية جماجم بيضاء، وكانت ثيابهم مزينة بعظام بيضاء ناصعة. حدقنا إلى بعض بصمت، كانت الهياكل العظمية تتحرك، ربما كانت تماثيل مروعة لكل ما نعرفه. ثمَّ بدأ الحشد بالتفرق بصمت، عندما جاء أحدهم نحونا. كان أطول من أي شخص آخر، والجمجمة على غطائه كانت مطليّة باللون الأحمر، وكان نحيفًا جدًا لدرجة أنني تمكنت من رؤية العظام الحقيقية تحت لحمه تبرز من خلال ملابسه عندما اقترب. صعدَ

الدرج درجتين في كل مرة، وكان يصعد بسرعة، ثم توقف، على بعد أقدام قليلة منّا، وخلع غطاء رأسه، فكشف عن وجه مشوَّه، وأسنان حادة بارزة. في تناقض حاد مع بشرته الداكنة، كان شعره أبيض ومجموعًا في عدة ضفائر قصيرة تبرز من رأسه في كل الاتجاهات. نظر إلى دارف وسيريدوين ثم عاد إلينا.

قال بصوت منخفض: "أنا ملاخي ثورن".

22 سي



قلتُ لتريك: "لا يمكن لهذا أن يكون صحيحًا"، وأنا أهز رأسي ببطء غير مصدق لما قاله لي للتو. "كلامك لا معنى له. لقد كنت غاضبًا أو خائفًا في كثير من الأحيان، ولم يكن هناك كثير من الاهتزازات في الأرض، ناهيك عن تحرك الصفائح التكتونيّة".

صمت للحظة، يشاهد الغيوم وهي تتحرك. وأخيرًا، قال: "ربما هناك عامل آخر، فكّر في المرات القليلة الماضية التي حدث فيها، ما الذي يجمع بينها؟".

قلتُ: "حسنًا، لا أعرف، إذا كان ما تخبرني به صحيحًا، ففي الوقت الحالي، الشيء الذي تسبب في ذلك هو سونغي، لن أسامحه أبدًا على ما فعله بدي لم يكن أخذ عينه كافيًا.."

حذَّرني تريك: "ابقَ هادئًا. حسنًا، ماذا عن الأوقات الأخرى؟".

"في الأسبوع الماضي عندما أدركت أن دي أُصيبت، كنت أستطيع سماع صراخها في رأسي، ثم بدأ الاهتزاز، ولكن ذلك حصل عندما كانت في المدينة، كنت خائفًا من أنها ستموت عندما رأيتها في خيمة الطبيب، لكن شيئًا لم يحدث بعد ذلك".

بدأت الأمطار الشديدة تهطل، أحنيتُ رأسي إلى الوراء وفتحتُ فمي، على أمل التقاط بضع قطرات من الماء الثمين.

قال تريك: "انتظر"، واختفى حول منعطف البرج. شعرت بتسارع الأفكار في رأسي، بدت قصة تريك غير معقولة، ولكن ماذا لو كان ذلك صحيحًا؟ ماذا لو كان بإمكاني فعلًا أن أتسبب في اهتزاز الأرض بقوة كافية لإحداث نوع من الضرر؟ فكّرت في كل الاهتزازات الصغيرة في الماضي. لم يكن الأمر مقتصرًا على الوقت الذي أصيبتْ فيه دي، بل حدث عندما أوقعها بعض الفيراغ في الكهف، وذلك عند شعرت بالرعب من أنّهم سيقتلونني ويأكلونني، لكن بعد ذلك ظهرت دي وأنقذتني.

لقد حدث الأمر أيضًا عنما كنت في السابعة من عمري تقريبًا، وتهت في الحقول، ولم أتمكن من العثور على طريقي للعودة إلى دار العمل، وكنت بعيدًا جدًا عن دي. وقتها حل الظلام، وسمعت عواء الذئاب. أتذكر أن الأرض اهتزت عندما كنت أبكي. أخيرًا، وجدني واحد من الثلاثة عشر وأعادني. كانت دي إلى جانبي، تبكي أيضًا، لكن في المرة الثانية التي شعرت بها في ذهني، توقف الاهتزاز. فجأة ظهر تريك، وهو يحمل وعاء معدنيًا ضحلًا. وضعه على المنصة.

أشار إلى الوعاء: "يمكننا استخدام هذا لالتقاط بعض المطر، احتفظ به في الجانب الآخر. أخبرت دوراند أنّه إذا أراد استعادته، فعليه أن يخرج ويحصل عليه. لحسن الحظ، حبله الصغير لا يصل إلى هذا الحد". توقف وفحص وجهي. "يبدو أنك اكتشفت شيئًا ما؟".

أجبت: "لستُ متأكدًا، ولكن يبدو لي أنه في كل مرة يحدث فيها أحد هذه الاهتزازات، أكون غاضبًا أو مرعوبًا، وأكون بعيدًا عن دي، عندما نكون معًا، لا تحصل الاهتزازات، وإن سبق لها أن حصلت تتوقف".

رفع تريك حاجبيه: "إنها نظرية مثيرة للاهتمام، ربما هذه هي قوتها؛ يمكنك تدمير العالم، ويمكنها أن تمنعك من فعل ذلك".

أمطرت السماء بغزارة، امتلأ الوعاء، فأشار إليه تريك وقال: "اخدم نفسك".

أمسكته وشربت حتى ارتويت، كان الماء حارًا وأسيديًا، لكنه كان مصدر ارتياح لفمي العطِش. شربت نصفه، وأعطيت الوعاء لتريك، الذي شرب ما تبقى، ثم وضعه مرة أخرى لجمع المزيد من مياه الأمطار. كنا منقوعين بالماء، ولكننا شعرنا بالراحة بعد أن أمضينا ساعات عرضة للرياح والشمس التي جففت بشرتينا.

كان تريك يقول: "أتعلم، أنا أتساءل.." عندما فُتح الباب فجأة، واصطدم بقوة بمعدن البرج. استدرنا بسرعة، مستعدين لأي شيء يخرج، رأيتُ شخصيتين مظلّلتين أمام الضوء داخل الباب. كان أحدهما طويلًا ومهيبًا، والآخر منحنيًا، يبكي ويبكي. ثم دفع الرجل الطويل بالثاني دون أن ينطق بكلمة إلى المنصة، وأغلق الباب خلفه. صرخ الوافد الجديد بعد أن دُفع بقوة باتجاه حافة المنصة.

تمكَن من التمسك، قبل أن يهوي إلى الأسفل، ثم انهار، وانحنى، ولف ذراعيه حول رأسه، وهو يئن. نظر إليه تريك، بنوع من الفضول ثم

جلس. راقبته لدقيقة وهو يتأوه ويترجح، ثم جثمتُ إلى جانبه، ووضعت يدي على كتفه. تيبَّس، وتوقف الأنين لكنه ظل راقدًا.

قلتُ: "لا بأس، أنت بأمان الآن". كان بإمكاني سماع تريك خلفي، وهو يحاول أن يكتم ضحكته على ما قلته، ثم رفع الوافد ذراعيه عن رأسه فصدمتُ، وصرختُ: "ليتل جيمي؟!".

"سي، هل هذا أنت؟". حاول ليتل جيمي الجلوس، ومسح وجهه بظهر يده "يظن الجميع أنك ميت". لم يكن هناك سوى شيء واحد في ذهني، شيء واحد أرغب بشدة في معرفته. "جيمي، كيف حال دي؟!"

ردّد بذهول: "دي؟ أوه، إنها بخير. جلبَ لها روغان الأدوية في الوقت المناسب".

تراجعتُ مرتاحًا، فكل ما مررت به لم يكن عبثًا، أرسلتُ رسالة شكر صامتة إلى روغان لأنه أنقذها. آمل أن أشكره شخصيًّا يومًا ما. ابتسمتُ لنفسي، فقد أصبحت الأحاسيس الضعيفة التي كنت أتلقاها من دي، بالتناوب بين الغضب والخوف منطقية الآن، ربما كانت غاضبة لأنها كانت عالقة في السرير لا تعرف أين أنا، الآن يمكنني رؤيتها، وهي تهاجم الطبيب، وتشعر بالسوء لأنها كانت أضعف من أن تساعدني. لكن هذا بالضبط ما أردتهُ، وكان أكثر أمانًا بهذه الطريقة، كانت تعلم أنني حيّ، وكان ذلك كافيًا. فجأةً، دوّى صوت تريك تحت المطر. قالَ: "أنا أعرفك، أنتَ جيمي دايموند".

نظر جيمي إليه بعصبية، ثم جلسَ بتبجح كاذب: "هذا صحيح. ليتل جيمي دايموند، لأنه عندما تنخفض الرقائق، أُراهن دائمًا على الماس".

حدّق تريك إليه: "ما الذي يفترض بك أن تخبرنا به؟".

حدقتُ إليه بهدوء فتابع وهو ينظر، نظر إلينا بأمل: "سيتم إنقاذنا، أليس كذلك؟".

قال تريك ببطء: "من الذي سينقذنا؟"، كان جيمي غافلًا عما يقوله تريك.

قال جيمي متلعثمًا: "حسنًا، أنا.. أنا أعني، أنت... أنت مهم".

ألحّ تريك عليه: "مهم لمن؟"، وتحدث مرة أخرى بصوت خفيض. فجأةً، اتضح لي ما كان تريك يسعى إليه.

سألتُه: "جيمي، لماذا أنت هنا حقًا؟ لا تحاول إخبارنا أنك ستقاتل حتى الموت من أجل محاربة البلوز. سيطلقون النار عليك فورًا، ما الذي يحدث؟".

نظر جيمي حوله يائسًا. وقالَ: "كلا، كلا، أنا لا أعرف شيئًا، الرجل الذي في الداخل.."

أجبتُ بغضب: "أي رجل؟! أخبرنا".

رفع جيمي يديه: "توقف، انتظر.. اهدأ، سي، من فضلك، ابقَ هادئًا".

نهض تريك، ولوّح بيديه فوق جيمي، الذي كانت يداه لا تزالان مرفوعتين، في محاولة لدرء هجومنا. "لماذا تريد أن يبقى سي هادئًا، جيمي دايموند؟ ما الذي تعرفه؟ ماذا طلبوا منك أن تعرف؟".

بدأ جيمي بالبكاء مرة أخرى: "أرجوك، قالوا لي إذا حصلتُ على أي معلومات جيدة، سيسمحون لي بالرحيل. لديّ زوجة في المنزل!".

وقفَ، وهو يكشف عن جسده النحيل.

سألتُه: "لماذا أنت، جيمي؟ من بين كل الناس، لماذا أنت؟".

أجابني تريك: "لأنه قد يراهن على الماس عندما تنخفض الرقائق، لكنه يخسر في كل مرة. كنت أعتقد أنه سيتعلم، لكن لا. جيمي بكم تدين بالضبط للكاسينو بويز؟ هل الدين الذي وعدوك بإلغائه يستحق أن تخون شعبك لأجله؟".

خطا تريك خطوة إلى الأمام، وتراجع جيمي خطوة إلى الوراء، ونظر بقلق من فوق كتفه صوب الهاوية.

"لطالما تساءلت من الذي أخبر البلوز بأنني سأكون في أولد كي. ماذا أعطوك؟ هل أعطوك ما يكفي لتسديد ديونك؟ هل هذا كل ما نعنيه لك؟". خطا تريك خطوة أخرى إلى الأمام. بغض النظر عن الاختلاف في حجميهما، اتخذ جيمي خطوة أخرى إلى الوراء على الرغم من مدى قربه من حافة المنصة، من الواضح أنه خائف.

همسَ جيمي: "قالوا إنهم سيقتلونني، سامحني".

قال تريك ببرود: "السماح شيء كثير".

صرختُ: "تريك، لا!"، لكن الأوان كان قد فات. لقد هاجم جيمي، ودفعه من صدره، صرخَ جيمي وهو يندفع إلى الخلف. كان هناك لحظة، جزء من الثانية عندما تعلّق كعب جيمي بالحافة واستخدم ذراعيه، محاولًا استخدام الهواء لسحب نفسه إلى الأمام إلى بر الأمان، لكن لم يكن هناك فائدة. صرخ لمرة أخيرة قبل أن يختفي أسفل الحافة، ثم ما لبث صراخه أن تلاشى.

صرختُ بتريك: "لماذا؟!".

التفتَ نحوي، وهزَّ كتفيه بخضوع.

"كانوا سيقتلونه على أي حال، لم يكن ذكيًا أو ماكرًا بما يكفي ليكون جاسوسًا فعالًا".

مرة أخرى فتح الباب، وخرج دوراند، واختفى حبله حول الجزء الداخلي من الباب.

قال: "ثاديوس! حان الوقت لتدخل أنت وصديقك، القتال غدًا، يجب أن نجهزكما".

تهكّم تريك: "لماذا لا تأتي إلى هنا وتأخذني؟". دُفع دوراند جانبًا، عندما خرج سونغي من خلفه. ومضت عينه الإلكترونية باللون الأحمر وهو ينظر إلينا.

قال بلا مبالاة:" لقد قتلت جاسوسي".

عندما رأيته شعرت أن غضبي يتفاقم، لكنني حاولت أن أفعل ما قاله تريك للسيطرة عليه. كان هناك رعشة طفيفة في معدن المنصة، لكنني أقمت جدارًا مانعًا الكراهية، بالطريقة نفسها التي استطعت من خلالها منع دي من الإحساس بمشاعري الحقيقية. هدأت الهزة، ورفع سونغي حاجبه لكنه اكتفى بقول: "الخيار بسيط. تعالَ الآن، وإلا سأشطرك إلى شطرين".

تبادلت وتريك النظرات. هزّ كتفيه، وتحركنا معًا نحو الباب، متجاوزين دوراند إلى الغرفة المضيئة. صعدنا مجموعتين من الأدراج إلى ممر دائري يحيط بالبرج. كان هناك عدد من الغرف في الداخل. قال سونغي، ستبقى هنا لساعات. ثم ستُنقل إلى القبة لتُجهز. شخصيًا،

راهنت على تريك. عزيزي سي، إنه بالتأكيد مرتزق أكثر منك، وبالطبع، إذا حدث لك أي شيء، فسأحرص على رعاية أختك جيدًا...".

توقف لبرهة، يتأمل ردّ فعلي، لكنني سيطرت على نفسي وأمسكت الجدار، فبدا مستاءً. دفع دوراند تريك إلى الغرفة بقوة كافية لدرجة أنه تعثر واصطدم بالأرض. ضحك دوراند، لكن سونغي نظر إليه بحدة، وتوقف ونظر إلى قدميه.

قال سونغي بهدوء: "لا تلحق الضرر بالمحارب". أمسك ذراعي، وأشار إلى الغرفة حيث كانت هناك طاولة عليها طعام، سال لعابي على الفور. بينما كنت على وشك الدخول، لمحت شيئًا يتحرك. استدرت في الوقت المناسب لأرى شخصًا يختفي حول المنعطف في القاعة. كانت امرأة ترتدي ملابس زرقاء، صهباء الشعر، نظرت إلى المرأة مجددًا بسرعة، وأدركت أنها تشبه تمامًا شخصًا سبق لي أن حلمت به. بالضبط مثل والدتنا.

23 دي

قفز قلبي في مكانه. تحرك روغان نحوي بحذر في الوقت الذي خطا فيه مالاخي خطوة إلى الأمام، بوجهه المشوه، وأسنانه الحادة، ولاحظت أنه كان يحاول أن يبتسم. تدخل دارف وقال: "بحق الإله توقف أنت تخيفهما!". ثم شرعا يضحكان، ويربتان على أذرع بعضهما ويتعانقان. ألقيت نظرة خاطفة على روغان وأس- سام الذي بدا وكأنه على وشك أن يغمى عليه، هزّ روغان رأسه في حيرة وهزّ كتفيه.

ترك مالاخي دارف ونظر إلينا، وهو لا يزال يضحك. قال بصوت أجش وخفيض، وبدا كما لو أن حلقه مليء بالحصى: "لا تقلق، نحن لا نأكل حلفاءنا، نحن نأكل أعداءنا فقط". توقف، وعلى الرغم من العدد الكبير من الأشخاص في الغرفة أدناه، كان الجميع صامتين، وظلّ جيش الجمجمة بلا حراك. تقدمت سيريدوين، فأخذ يدها بطريقة شجاعة بشكل غريب. "الساحرة البيضاء، ها نحن نلتقي مجددًا".

قالت مبتسمة: "تسرني رؤيتك سيدي".

طرح مالاخي سؤالًا على دارف: "من هؤلاء؟"، مشيرًا إليّ، وإلى روغان، وأس- سام.

أشار دارف إليّ: "هذه.." لقد بدأ بالحديث، لكنّه فكّر بالأمر بشكل أفضل عندما رأى النظرة الغاضبة التي رمقته بها.

"إنها دي، وصديقاها روغان وسام، إنهم مهمون بالنسبة إلى القضية".

هز مالاخي رأسه: "سُعدت بلقائكم. إن وجودكم هنا أمر جيد. هناك أخبار جديدة وخطط يجب أن تُوضَع. تعالوا، هناك مكان للاجتماع في الجزء الخلفي من القاعة حيث يمكننا الجلوس والنقاش".

نزلنا جميعًا الأدراج، وعندما وصلنا إلى القاع، تفرق جيش الجمجمة بصمت مجددًا، متيحين لنا المرور من خلالهم. لقد كنا في مكان بدا وكأنه مدينة تحت الأرض. كان هناك العديد من واجهات المتاجر التي تصطف في القاعة، مع لافتات غامضة وغريبة.

"برأيك، من هي فيكتوريا، وما هو سرها؟". همس روغان إليّ عندما مررنا إلى جانب متجر امتد من الخلف إلى الظلام. كان هناك تماثيل بلاستيكية لأشخاص في بعض النوافذ أو ملقاة على الأرض، كانت عديمة الملامح، وكانت عيونها فارغة.

سألت: "ما هذا المكان؟". لم لم يسبق لي أن رأيت شيئًا مثل هذا من قبل، لقد كان هناك مناطق في ديفينيتي حيث كانت الشوارع مليئة بالمتاجر والأعمال، لكن معظمها أصبح أنقاضًا الآن، بعد حروب المياه. نُهب كل شيء بقي بحالة جيدة، وقد بدا أن هذه المدينة الفارغة الموجودة تحت الأرض لم تكن مختلفة عن ذلك. نظر مالاخي بدهشة. وسأل: لم يسبق لكم رؤية مركز تجاري من قبل؟".

هزّ أس- سام كتفيه، لكنني ضحكت بشكل حاد: "أوه، لا".

"تم التخلي عنّا أنا وروغان في دور العمل في أقصى الشمال عندما كنّا رضيعيَن. لم يسبق لنا رؤية أي مدينة قبل أن نأتي إلى ديفينيتي". أركز بشكل خاص على *تم التخلي عنا*، وأنا أقوم بالنظر إلى دارف لأرى إن قامت هذه الجملة بلفت انتباهه، لكنه استمر بالتحدث عمدًا ولم ينظر إلى الخلف.

قال مالاخي: "كان هناك مراكز تجارية كهذه في كل مكان حيث وُلدت، لكنها أُغلقت جميعها من قِبل الاتحاد".

سألته: "أُغلقت؟ هل تقصد دُمّرت خلال حرب المياه؟".

رمقني دارف بنظرة حادة، ودفع مالاخي الهواء من أنفه ساخرًا. وقال: "حرب المياه؟ أهذا ما يعلمونكم إيّاه هنا؟

نظر دارف معتذرًا: "لقد تربّوا في دور العمل".

قال: "إن جُلّ ما يعلمونه هو الدعاية الكاذبة التي يريدها الاتحاد".

في هذا الوقت، كنا قد وصلنا إلى منطقة مفتوحة تحتوي على المقاعد والطاولات، محاطة بما يبدو أنها طاولات للطعام. هناك لافتة تشير إلى أنها فناء الطعام. تحرك مالاخي باتجاه طاولة، وقال: "ربما حان وقت أن يعرفوا الحقيقة، بعدها سيفهمون سبب وجودنا هنا. لكن أولًا، دعنا نأكل معًا".

جلسنا على المقاعد البلاستيكية القاسية، ونحن ننظر إليه بترقب. أشار بيده بصمت، وفجأة، ومن العدم، ظهرت شخصيات مقنعة، وهي تحمل أطباق تقديم الطعام يوجد عليها أكواب وصحون يصدر منها

البخار وضعت أمامنا. كانت الأكواب مليئة بالماء النقي الذي كانت رائحته حلوة ومنعشة، واحتوت الصحون على شيء بدا كالحساء.

نظرت سيريدوين إلى طبقها وضحكت: "على الرغم من أنه ليس مشجعًا، لكنه سيملأ بطونكم".

قال مالاخي ثورن لدارف: "إنها تمتلك حسًا عاليًا من الفكاهة والسخرية". ثمّ نظر إلى بقيتنا. "ابدأوا بالأكل، وثقوا بي. أنه آمن للاستهلاك البشري".

أخذ رشفة من الماء. إنه ساخن ومنعش.

قلت: "مم، ما هذا؟".

أجاب: "إنه شاي بلسم الليمون، إنه أحد الأعشاب القليلة التي تستطيع أن تنمو في ظروف جافة جدًا. وعلى الجانب الآخر، الحساء مصنوع من البروتين الصناعي. إنه ليس أشهى شيء في العالم، لكن يمكننا جعله يبدو بشكل فاتح للشهية أكثر من شكل المكعبات التي يأتي بداخلها".

بينما كان أس- سام يلتهم الحساء بنهم، نظر إلى الأعلى وقال بفم مليء بالطعام: "إ-إ-إنه ج-جيد ج-د"

كنت مصدومة. إن قال أحدهم لي الأسبوع الماضي أنني سأشارك وجبة من الطعام مع قاتل، وأنني لن أكون هذه الوجبة، كنت لأصف كلامه بالجنون، ما يحدث كان مخالفًا لكل شيء مررت به مع القتلة أو سمعته عنهم، كان يفترض بهم أن يكونوا حيوانات، آكلين لحوم بشر غير متحضرين يعيشون مثل الرُحل، كان القتلة الثلاثة الذين هاجموني

أنا وسي خير دليل على هذا، لكن مالاخي وجيشه، على الرغم من مظهرهم المخيف، كانوا مختلفين. أولًا، بدَوا منظمين بشكل كبير ومنضبطين بالنسبة إلى أشخاص غير متحضرين، لقد قدموا لنا شاي بلسم الليمون، وهو ليس شيئًا يشربه الهمجيون. بينما كنت أفكر بهذا الشيء. قال روغان بحدة كبيرة: "إذا كنت تتحدث عن الحقيقة، ماذا تعني بهذا؟".

غرف مالاخي آخر ملعقة من حسائه وابتلعها، ثم وضع ملعقته بحرص، ووضع يده على عينيه، وقال بهدوء: "شكرًا للأرض ولما تقوم بإنباته، شكرًا لأقربائي ولما يزرعونه". ثم نظر إلى الأعلى وبدأ بالكلام، "في هذه الحالة حقيقة شعبي هي تاريخكم، أو لأكون أكثر دقة، ما أخبَركُم به الاتحاد على مدى كل هذه السنوات بأننا سفّاحون، وحوش، وأننا هاجمناكم لنأخذ ما كان ملككم. لكن لفهم الحقيقة، يجب أن نعود إلى الفترة التي تسبق ما تسمونه حروب المياه. منذ عدة سنوات، كنا نُشبهكم كثيرًا؛ وكانت بلادنا تعاني من تغييرات كوكب الأرض التي نعلم بها جميعًا. الطقس الغريب، عواصف أكثر شدة، ارتفاع مستوى المحيطات التي غمرت السواحل، والجفاف الذي جفف البلاد كلها، هذه التغييرات تسببت ببدء هجرة ما تبقى من شعبنا إلى الشمال، بعيدًا عن الصحراء والجوع. كان مصدر مياهنا الوحيد هو المحيط؛ لقد بنينا أنابيب بطول الآلاف من الكيلومترات لنقوم بنقل مياه المحيط إلى مُحليّات المياه التي أزالت الملح منها، جاعلة إياها صالحة للشرب. لكن بخلافكم، كان لدينا عقود من القيادات التي رفضت أن تعترف

بالحاجة إلى التغيير. بينما كان بلدكم يُطوّر تكنولوجيا الطاقة الشمسية ويبني مزارع الرياح، كان بلدنا يستخدم الوقود الأحفوري والطاقة الهيدروليكية، حالما جفّ النفط، كنّا هدفًا سهلًا".

سألت: "كانت هدفًا لمن؟". لقد كان هذا مختلفًا عن أي شيء تعلمته، وإن كان صحيحًا أم لا، كان هذا مذهلًا.

أجابني: "للاتحاد، لقد اعتمدنا عليهم للتجارة، وكانت علاقة استفاد منها الطرفان. لكن ذات يوم، أرسلوا مبعوثين طالبوا منا التوقف عن كل إنتاج لنصبح أمّة مستهلِكة. لا مزيد من التصدير. أرادوا الاستيلاء على اقتصادنا وجعل العلاقة الاقتصادية بيننا من طرف واحد. وبالمقابل، سيتركوننا وشأننا".

سأله روغان: "ماذا تعني بسيتركونكم وشأنكم، يبدو هذا وكأنه تهديد".

أجاب مالاخي: "كان كذلك، وكانت قياداتنا أكثر غرورًا من أن تفهم هذا الأمر. بالطبع، لقد رفضوا هذا العرض *السخي* من الاتحاد. بعد يومين، هوجمنا. لقد استهدفوا مُحليّات الماء، وعطلوها عن طريق النبضات الكهرومغناطيسية، ثم دمروها بالكامل بواسطة القنابل، فتوقف بالكامل إنتاج المياه القابلة للاستهلاك".

تدخلت:" عندها بدأتم بأعمال الشغب ومهاجمتنا".

أجاب: "لم يكن لدينا خيار آخر، لقد كنّا يائسين، نموت من العطش. تركنا الاتحاد بهذه الحالة لستة أشهر، ثم أرسلوا مبعوثيهم مع عرض آخر".

قالت سيريدوين بحزن: "كان هذا أقسى جزء على الإطلاق". تنهد مالاخي وهزَّ رأسه.

سأل أس- سام: "م-ماذا كان هذا الع-ع-عرض؟". اتكأنا جميعًا على مقاعدنا، حتى دارف، الذي يجب أن يكون على علم بهذا الأمر بالفعل، ركّز على ما سيقوله مالاخي، الذي تنفس بعمق وتابع.

قال بصوت متقطّع: "لقد أخذوا الأطفال، مقابل حصولنا على الماء، وافقت الحكومة على تسليمهم كعبيد يعملون في مصانع الاتحاد". تلى هذا توقف طويل عن الكلام، بعدها قال دارف: "أتَرَون ذلك؟ لسنا مختلفين كثيرًا عن بعضنا، على الرغم من القصص التي سمعتموها، الفيراغ ليسوا من الزومبي، الموتى المشاة، الأشباح، أو الأرواح الشريرة".

قلت بسخرية: "لسنا مختلفين على الإطلاق، باستثناء أن أطفال الفيراغ سُرقوا منهم، نحن فقط تخلينا عن أطفالنا"

لمعت عينا دارف بغضب، وكان على وشك أن يقول شيئًا ما عندما قاطعه روغان قائلًا: "عليّ أن أسأل، إن لم تكونوا آكلي لحوم بشر حقًا، لماذا تبردون أسنانكم بهذه الطريقة؟".

ضحك مالاخي وقال: "أنا رجل كبير في السن، إن لم أبدُ هكذا، هل ستخاف مني؟".

ضحك روغان أيضًا، وأكمل مالاخي: "لا نمتلك أية تكنولوجيا أو أسلحة متطورة، لكننا نحاول أن نبدو مرعبين، وهمجيين قدر الإمكان. يأتي مبعوثو الاتحاد كل سنة، لكي يأخذوا أطفالنا. أقل شيء يمكننا فعله هو أن نحرص ألّا يأخذوا شيئًا آخر".

سألته: "لم لا تتوقفون عن إنجاب الأطفال؟ ألَن يتركونكم وشأنكم بعد مدة؟".

قال: "في البداية حاولنا ذلك، لكنهم بعدها بنوا مزارع للتكاثر. كان الأمر أسوأ. لا يأخذون الأطفال منّا حتى يبلغوا الخمس السنوات، هكذا نقضي عدة سنوات معهم قبل أن يتم انتزاعهم من أيدينا. هل ترى كل هؤلاء الأشخاص؟". أشار نحو جيش الجمجمة الصامت، منتظرًا بصبر. "هؤلاء ليسوا فقط جيشًا من الجنود المدربين، إنهم أيضًا آباء وأمهات، وبعضهم أجداد مثلي حتى. *اظهروا*".

أمرهم فجأة. ومع هذا، استدار أفراد الجيش سويّة وفي الوقت نفسه، وأزالوا جميعًا الأقنعة التي رُسمت عليها الجماجم. بعض الجنود كانوا صغارًا، لكن معظمهم كانوا رجالًا ونساء متوسطي العمر، أو حتى أكبر من ذلك، الشيء الوحيد الذي اشتركوا به هو أنهم بدوَا جميعًا شرسين وحازمين.

قال: "كما ترون تأتي قوتنا من حقيقة أننا لا نمتلك شيئًا لنخسره. سنساعدكم بالقتال، والفوز".

سأل روغان ببطء: "حسنًا، لكن ما الخطة؟ لا يمكننا أن نرقص الفالس حتى نصل إلى البرج فحسب، نقرع على الباب، ونطلب من الاتحاد بلطف إعادة بلدنا، وأطفالكم".

ضحك دارف بشدة: "لن نرقص الفالس، ستكون رقصة أكثر رقة من هذه. لكن دعني أؤكد لك أنه في الوقت الذي سننتهي به، سنكون قد استولينا على جميع الأبراج، من الساحل إلى الساحل".

أصرّ روغان: "وماذا بعد؟ هل سيغادر الاتحاد فحسب؟ ماذا نفعل لكي نمنعهم من الثأر؟".

ابتسم مالاخي ابتسامة عريضة، لمعت أسنانه في الضوء الخافت. فسألته. "ماذا تعني؟".

ضحك دارف بخفة: "انظروا إلى الطريقة التي يعامل الاتحاد الناس بها هنا، هل تظنّون حقًا أنهم يعاملون مواطنيهم بطريقة أفضل؟ تخبرنا مصادرنا أن شعب إيست إند ثاروا بالفعل على حكومتهم وأطاحوا بها، وأن شعب جان على وشك القيام بالشيء نفسه. إن الاتحاد مشغول جدًا، وبصراحة، أظن أننا آخر شيء قد يقلقون بسببه. هناك كمية قليلة جدًا من البلوز خارج مراكز المدن الرئيسية؛ إنهم ينقلون جميعًا إلى البرّ الرئيسي لتشين لكي يدعموا الاتحاد في بلادهم الأصلية، إنه الوقت المناسب لكي نهاجم".

استدرتُ إلى مالاخي: "لكن ما الذي يجعلك تظنّ أنهم سيعيدون كلّ الأطفال؟ ما الذي يمنع الاتحاد من.. قتلهم فقط؟".

بدا مالاخي غاضبًا عندما قال: "لن يفعلوا ذلك، إن كانوا يريدون رؤية عائلاتهم مجددًا".

قالت سيريدوين بهدوء: "لا يسعني إلا أن أتذكر أن مثل هذه الأشياء كانت أغلى ما لديّ".

مع سماع كلماتها، تنّهد مالاخي، وأسند ظهره إلى كرسيه، وقال بهدوء: "نحن نحب أطفالنا، ويحب الاتحاد أطفالهم".

سأله روغان باهتمام: "هل تعني رهائن؟".

ردّ دارف: "ليس لدينا خيار آخر، العديد من البيجو أو ما تسمونهم الأثرياء، ينتمون إلى عائلات قوية في الاتحاد، وبعض البلوز أيضًا، نعتقد أنه يمكننا التفاوض".

سأل روغان بشيء من السخرية: "حسنًا، جيد. فلنقل أننا استولينا على البرج ودمرنا القبة، وحصلنا على أطفال الفيراغ، وأصبح الجميع سعداء، ماذا نفعل بعد هذا؟ كيف سننجو من دون الاتحاد؟".

أجاب دارف: "نعيد البناء، لن يكون أمرًا سهلًا، لكننا أقوياء. كنّا مستقلين سابقًا، يمكننا أن نكون مستقلين مجددًا".

قُلت: "هناك مشكلة واحدة فقط" استدار الجميع وحدقوا إليّ، شعرت فورًا بعدم الراحة، لكنني أكملت الكلام على أية حال: "لقد رأيت الأسلحة التي يمتلكها البلوز، ورأيت الأسلحة التي نمتلكها، إن الاتحاد متفوق علينا بالأسلحة".

أجاب دارف، مبتسمًا: "هذا هو الشيء الذي أخطأتِ به، لدينا شيء لا يعلم الاتحاد بوجوده. أخوكِ".

24 سي

مـع نظـرة اشـمئزاز، أغلـق دورانـد البـاب خلفـه بقـوة، تاركًـا إيّانـا وحدنا. ووقف تريك ببطء، مرتجفًا بسبب ألـم أضـلاعه، ونظّف الغبار عـن نفسـه. نظـر إلـيّ وسـألني بفضـول: "مـا الأمـر؟ تبـدو وكأنـك رأيـت شبحًا".

قلت ببطء: "ليس شبحًا، أشبه بشخص من الحلم".

أجـاب تريـك: "حسـنًا، لـمَ لا نبـدأ بالأكـل قبـل أن ينتهـي الوقـت، ويمكنك إخباري بكلّ شيء عن ذلك؟ أنا لا أعلم بشأنك، لكنني أتضور جوعًا، وقبل أضع شيئًا في معدتي. لن يكون بمقدوري التركيز".

لقد بدت فكرة جيدة، في حين أنني احتجت بعض الوقت لأحلل ما رأيته بعناية، أو على الأقل ما اعتقدت أنني رأيتـه. هـززت رأسـي. ذهبنـا إلى الطاولة، واتسـعت عينـاي مـن الدهشـة عنـدما رأيـت تشـكيلة الطعـام الموضوعة أمامنا. كان هناك خبز، ولحم، وفاكهة لـم يسبق لي أن رأيتها، وأطبـاق مـن الخضـار والأرز، وأطبـاق مـن المربعـات الداكنـة التـي تـم تزيينها بأشكال لولبية من مادة كريمية.

قلت لتريك، وأنا أملأ الطبق بالطعام: "أنـا لا أفهـم. لمـاذا يفعلـون هذا؟ أعني، لقد جوعونا لأيام، والآن هناك مأدبة؟".

ضحك تريك، ووضع أحد المربعات الصغيرة في فمه، وقال: "ممم، كعكة الشوكولاتة، يجب عليك أن تجرّبها قبل أي شيء". حمل واحدة لأجلي، وأكمل "أتخيّل أنهم يريدون أن نكون سعيدين وبصحة جيدة قبل المباراة، لن يكون مشهدًا كبيرًا إن كان البطلان بالكاد قادرَين على التحرك بسبب الجوع، أليس كذلك؟ لكن بتمهل، لا تريدُ أن تمرض".

أخذت قطعة الكعك منه، ووضعتها في فمي.

راودني إحساس لم أشعر به من قبل. صِحتُ: "شوكولاتة؟ إنها مذهلة". وأغمضت عينيّ ببهجة عارمة. لقد كان الإحساس كافيًا لكي أنسى أين كنت للحظات.

أمرني تريك: "كُل بعضًا من الطعام الآخر حالًا، يجب عليك أن تحافظ على قوّتك. يمكنك تناول المزيد من الشوكولاتة لاحقًا". نظر إليّ نظرة الوالد المتسامح، وفجأة أصبحت غارقًا في حزن كبير من فكرة أننا، بعد أقل من 24 ساعة، سنقاتل بعضنا حتى الموت.

قال وكأنه يقرأ أفكاري: "لا تهتم بأي شيء آخر الآن. لنجلس ونأكل، ويمكنك إخباري عن حلمك".

ملأت طبقي بالطعام وجلست: "حسنًا، تُركتُ ودي في دار عمل أيضًا عندما كنا نبلغ ثلاثة أشهر من العمر فقط.."

"أرى أنك ستبدأ من البداية" ضحك مذكّرًا إيّاي بنكتتي السابقة. "آسف، لم يمكنني أن أقاوم. أكمل".

"أظن أنني أستحق هذا". قلت هذا ضاحكًا وكان فمي مليئًا باللحم والخبز. ابتلعت الطعام وأكملت. "لم نعرف والدينا، الدليل الوحيد

الذي كُنّا نمتلكه هو ملاحظة موضوعة على مهدِنا مكتوب عليها، *اعتنوا بهما. أنا لست قادرة على ذلك*. لكن كلما كبرت، بدأت تراودني.. لا أعلم إن كُنت ستسميها أحلامًا أو رؤى... عن أمنّا. استطعت الإحساس بها في تلك اللحظة، حزنها ويأسها لأنها اضطرت لتركنا، وعندما كبرت أكثر، كنت قادرًا على الإحساس بشكلها. كان الأمر غامضًا دائمًا، لكنني أعلم أن دي رأتها أيضًا، وبسبب هذا، لقد كنت قادرًا على تكوين صورة واضحة عنها".

"ثمّ" اندفع تريك، واضعًا شوكته ومتكئًا إلى الأمام تحسبًا.

"ثمّ... أظن أنني رأيتها للتو خارجًا في الممر. في الحقيقة، أنا متأكد أنها هي، لكنه أمر غير منطقيّ. كانت ترتدي زيًّا أزرق، زيّ قائد إقليمي، كيف لهذه أن تكون أمّنا؟".

فكّر تريك للحظة. وأخيرًا قال: "إن الأمر منطقي بطريقة ما، نحن نعلم أن دارف بوشار هو والدك، ونعلم أن ليه كوينز، حركة التمرد الأولى الخاصة به، اخترقتها جاسوسة للاتحاد، امرأة شابة. ماذا لو أخذت دورها بجدية أكبر ممّا يمكن لأي شخص تخيّله، وأصبحت حاملًا؟ من المستحيل أنّ عائلتها كانت ستسمح لها بالاحتفاظ بالطفل أو بالطفلين، كما اتّضح لاحقًا. وقد كانت صغيرة جدًا".

تنهّدت: "بطريقة ما، يجعلني هذا الأمر أشعر بشعورٍ أسوأ، لقد أحببت دائمًا أن أتخيّل أن أمنا تخلّت عنّا لأسباب أقل أنانية، لأنها لا تستطيع تحمل تكاليف الاحتفاظ بنا، وأن الأمر كان فظيعًا بالنسبة إليها، ولكن إن كان ما تقوله صحيحًا، فقد سببنا لها مشكلة".

قال تريك: "لا أعلم عن ذلك، لقد تركت ملاحظة، أليس كذلك؟ هذا أكثر مما أعرف، وتركها للملاحظة يجعلها تبدو وكأنها لم تمتلك خيارًا آخر، وكانت تفعل ما تمنّت أنه الشيء الصحيح لك ولدي".

"أتمنى لو كنت قادرًا على تصديق هذا، لكن إن كانت تهتم بالشيء الصحيح، كانت ستعود من أجلنا، وإن كان ما تقوله صحيحًا بخصوص الغرسة الإلكترونية التي من المفترض أنني أمتلكها، فمن الواضح أنها علمت بهذا الأمر. فَلِمَ لَم تأتِ من أجلنا؟ كانت دار عمل سيئة بما يكفي بالنسبة إليّ، لكنها كان سيئةً بمقدار عشرة أضعاف بالنسبة إلى دي.. أنا.."

فجأة، هتف صوت من مكبر الصوت في الزاوية: "بقي خمس دقائق".

صرخت، وأنا أنظر حولي بجنون: "خمس دقائق حتى ماذا؟".

أجابني تريك بهدوء: "خمس دقائق أخرى وسيفصلوننا، لكي يجهزونا للقتال غدًا، خذ بعض الكعك الآن".

نظرت إلى تريك؛ فتى ضعيف مرهق والكدمات تملأ جسده، يجلس هناك حاملًا إليّ قطعة من كعكة الشوكولاتة كأخٍ صغير. قاومت الدموع التي كانت تتشكل، وأعلنت بحزم: "لن أقتلك، لا آبه بما سيفعلونه بي".

ابتسم تريك بحزن: "أقدّر تعاطفك، لكنني أشك أنك ستمتلك خيارًا آخر، أنا أرفض قتلك، لذا إن لم تقم بإمتاع الحشود، سيذبحوننا معًا، أنا مستعد لكي أضحي بنفسي من أجل الصالح العام. هذا أفضل شيء يمكن فعله".

أصررت: "لا أحد سيضحي بأي شيء، نحن فقط نحتاج إلى خطة. نحن.."

بعد ذلك فتح الباب، ووقف دوراند هناك ضاحكًا: "لقد حان وقت تنظيفكما أيتها الحشرتان المثيرتان للشفقة، ضحك بشدة". يريد الحشد رؤية محاربين لامعين وشابين، لا يريد الحشد أن يرى متسولين". أشار إلى شخصين من البلوز خلفه، أمسكا بنا، وأخذانا في اتجاهين مختلفين. ألقيت نظرة أخيرة على تريك. ناداني: "اختر سلاحك بحكمة". بعد أن نقر على صدغه ثلاث مرات. ضحك البلوز الذي يمسك بذراع تريك قائلًا: "نصيحة جيدة، لن يأخذ الأمر كثيرًا من الجهد لإرسالك إلى الحياة الأخرى". ثم جره حول الزاوية بعيدًا عن ناظريّ.

همست: "لا تستهينوا به". متسائلًا عمّا كان تريك يعني بكلامه.

كان البلوز الذي يمسكني رجلًا كبيرًا من إيست إند يحمل شارة اسمية مكتوبًا عليها فارما، رمقني بنظرة حادة، وسحبني باتجاه مجموعة من الأبواب. قال: "سنذهب في هذا الاتجاه"، ثم ضغط على زرّ إلى جانب الباب. سمعت ضوضاء أزيز غريبة بدت وكأنها تقترب أكثر وأكثر، ثم فُتحت الأبواب فجأة، وظهرت غرفة صغيرة أخرى. أدخلني إلى الغرفة بصمت، وأُغلقت الأبواب خلفنا. في الداخل كان هناك مجموعة أخرى من الأزرار. ضغط على أحدها، ثم اهتزت الغرفة. لقد كنّا نتحرك. نظرت حولي بتوتر، ثم ضحك قائلًا: "لم يسبق لك أن كنت في مصعد، أيها العامل الحر؟".

هززت رأسي، وأكملنا رحلتنا إلى الأسفل بصمت. قفزت قليلًا عندما توقف المصعد، وفُتحت الأبواب مجددًا، وهذه المرة ظهر بهوٌ يؤدي إلى جسر زجاجي متقوس في الأفق. أمسك بذراعي وجرني نحو الجسر.

سألته: "إلى أين نحن ذاهبان؟".

استنشق فارما من أنفه ثم قال: "إلى القبة، بالطبع. إلى أين تظن أننا ذاهبان؟ سينظفونك، ويعطونك سلاحًا، ويمنحونك قسطًا جيدًا من النوم، ثمّ ستدخل قتالًا حتى الموت، لا أقصد الإهانة، لكنني راهنت على الفتى الصغير. قد لا يبدو هكذا، لكن يمكنه تلقي الكثير من الضرب، والقيام به أيضًا. في البدء، عندما أحضرناه إلى هنا، قضم أذن أحد الحراس كان علينا صعقه ثلاث مرات لكي نجعله يبصقها". قهقه، محركًا رأسه باستمتاع. لم أقل شيئًا، لكنني ضحكت بداخلي أيضًا على فكرة أن ينخدع أي شخص بحجم تريك.

في هذا الوقت، كنا في منتصف الجسر الزجاجي. نظرت حولي، وكان بإمكاني رؤية الطرادات التي تعمل بالطاقة الشمسية في الماء، تتحرك جيئة وذهابًا بين الميترو والجزيرة، لتقوم بتوصيل الأثرياء إلى اليابسة الرئيسية لكي يتسوقوا ويتباهوا بأنفسهم، بينما كافح بقيتنا للبقاء على قيد الحياة. في الميناء، كان هناك رجال يمتلكون رؤوسًا حليقة مليئة بالوشوم يرتدون بذلات ذات ألوان فاتحة ونساء يرتدين أثوابًا بألوان مثل ألوان الطاووس، يوجد بينهم أطفال وكلاب صغيرة. حتى من هذا البعد، بدَوا جميعهم قلقين، يتجولون على غير هدى. رآني فارما أشاهد، فاستنشق مجددًا. وقال بسخرية: "انظر إليهم، يمشون بثقة بثيابهم

الفاخرة وحليهم بينما يستمعون إلى وسائل الترفيه المليئة بالدعاية السياسية التي تُبثّ عبر غرساتهم. أنا لا أعلم كيف يتحملون هذا الأمر؛ أصوات تثرثر في رؤوسهم باستمرار، تتحدث عن آخر شائعة، ما سيرتدون، وأيٍّ أخبار جديدة عن الشخصيات المهمة في الاتحاد، هذا مقزز. كلّما أسرعنا بالتخلص منهم..". توقف عن الحديث فجأة، ثم نظر إليّ نظرة جانبية، وبسرعة غير موضوع الحديث. وأكمل بعدها بحماسة: "حسنًا، ما هو نوع السلاح الذي تفكر به؟ أراهن أن الفتى الصغير سيختار سكينًا بدلًا عن الصاعق، أظنه يفضّل الدماء".

همست بينما كان انتباهي مشتتًا: "أنا لا أعلم". وكنت أتساءل عن مدى احتقاره للأثرياء في الميناء. لطالما اعتقدت أن البلوز كانوا مخلصين ومدربين على حمايتهم، لكن ربما لم يكونوا سعداء بشأن حالة الأشياء أيضًا. قال: "لا تهتم، ستقوم بالاختيار قريبًا".

"ها نحن ذا". وقف أمام باب أحمر وفتحه. في الداخل كان هناك خزانات التخزين، وفي المؤخرة، كان بإمكاني رؤية غرفة مليئة برؤوس مرشات الحمام. بدت مثل صنابير المياه في المنزل. ذهب إلى إحدى الخزانات، فَتَحَها، وأخرج منها بعض الثياب النظيفة؛ مناشف، وزوجًا من القوارير الصغيرة. أمرني: "اذهب إلى هناك، استحمّ وارتدِ هذه الملابس". دفع الأشياء المكدسة نحوي وغادر، واقفل الباب خلفه.

وضعت الثياب على مقعد خشبي أمام الخزانات، خلعت ملابسي، وتوجهت إلى غرفة الاستحمام. كانت كهفية الشكل، ذات أرضية إسمنتية، مع قرابة عشرين مرشّ حمّام مثبت على الحائط. علقت

المنشفة على خُطّاف، ونظرت إلى صنابير المياه الموجودة على الحائط تحت مِرشّ الماء. لقد كانت مسمّاة "ب" و"س". هل من الممكن وجود ماءٍ ساخنٍ هنا؟ فتحت الصنبور وانتظرت لبرهة. كما هو متوقّع، أصبحت المياه دافئة بسرعة، ثم أكثر سخونة مع الوقت. عدّلت الحرارة وشغّلت مرش الماء. وأنا واقفٌ تحت هذا الرذاذ الفاخر، كنت على وشك أن أنسى سبب وجودي هناك. لم أستحم منذ أن غادرنا دار العمل، وحتى في ذلك الوقت لم يكن الماء بهذا الدفء. نظفت نفسي، غسلت شعري، ثم وقفت هناك للحظات، وتركت الماء ينساب على جسمي. في النهاية، وبما أنني لا أعرف الوقت الذي سيعود فيه فارما، أغلقت الصنبور مكرهًا. جففت نفسي، وذهبت إلى غرفة الخزانات لكي أرتدي ملابسي. لم تكن الملابس مميزة- قميص أزرق فاتح وبنطال غامق -لكنها مصنوعة من نفس نوعية القماش الواقي من الشمس الذي استخدمه الأثرياء وكان هذا القماش أنعم من أيّ شيء سبق لي أن ارتديته.

كنت جالسًا على المقعد، مواجهًا للخزانات، ألمس الياقة الحريرية للقميص عندما سمعت قفل الباب يُفتح. لم أنظر حولي، كان بإمكان فارما الانتظار حتى أصبح جاهزًا. أُغلق الباب، وسمعت صوت القفل مجددًا. عم الصمت للحظة، ثم سمعت بكاءً. استدرت بسرعة، وها هي المرأة من أحلامي. وقفت بسرعة ثم ركضت باتجاهي، ثم لفّت ذراعيها حولي بشدة.

قالت لاهثة: "هذا أنتَ حقًّا.. شكرًا للإله".

وقفنا هناك للحظة صامتين، ثم أمسكت بها من كتفيها ودفعتها بعيدًا عنّي لكي أتمكن من رؤيتها بشكل جيد. كانت الآن أكبر من المرأة في الرؤيا الخاصة بي، كانت تمتلك الشعر الأصهب نفسه الذي أمتلكه أنا ودي، العينين الخضراوين نفسيهما اللتين حدّقت إليهما دي بينما انهمرت الدموع منهما على خديها.

قلت بهدوء: "أنا أعرفكِ".

أجابتني: "أجل، أنت تعرفني. ولدينا الكثير لنتحدث بشأنه".

لقد كنت مصدومًا وغاضبًا. لم يكن بإمكاني تصديق القصة التي أخبرنا بها دارف لتوّه. صرخت: "أنتِ تقصدين إخباري أنكِ لم تتخلي عنّا في دار العمل فحسب، لكنّك قد استخدمتِ سي كتجربة بشرية أولًا؟ غرسة إلكترونية يمكنها التسبب بالزلازل. هل هذه مزحة سخيفة؟ لقد كنت واقفًا على قدميّ، وأنا أصرخ في وجهه بأعلى صوت. تململ مالاخي محرجًا في مقعده، تنهدت سيريدوين بعمق، ورفع دارف يديه إلى الأعلى كما لو أنه يحاول درء غضبي.

قال: "أنت لا تفهمين". بدأت في الابتعاد، ولففت ذراعيّ. انفجر شيء ما في داخلي وبدأت بالجموح، قفزت فوق الطاولة ووضعتها بيننا مبتعدة عنه بذلك.

صرخت بوجهه: "أنا أكرهك، ابقَ بعيدًا عنّي".

بدأ دارف بالاقتراب مني، لكن روغان وقف ومنعه من ذلك. وأمره بصرامة: "لا تفعل ذلك، لا تلمسها. يقوم سي بذلك فقط، وفي بعض الأحيان أنا، لكن لا أحد غيرنا. أنت لا تعلم ما مرّت به".

بدا دارف مهزوزًا، واستدار إلى روغان وسأل: "ما الذي تتكلم عنه؟".

25 دي

صرخت بوجه دارف: "كلّا، لا تجرؤ على التظاهر بالاهتمام الآن".

أوليتهم ظهري، ثم غادرتِ بعيدًا، وأنا أمشي من دون أن أنظر حولي في المركز التجاري. نظر جيش الجمجمة إليّ بصمت. تفحصهم لي أشعرني بالسوء، لذا توغلت في متجر مظلم، كان مليئًا بأجزاء من أجسام بلاستيكية ورفوف مكسّرة. توجهت إلى مؤخرة المتجر حيث كان هناك غرف صغيرة مع أبواب. دخلت إلى إحداها، أغلقت الباب خلفي، وأقفلته، ثم جلست على مقعد في الداخل، أتنفس بسرعة وبصعوبة، مع دموع ساخنة على وجهي. كانت الغرفة حالكة السواد وباردة، وكان الجلوس هناك في الظلام أمرًا مريحًا بطريقة ما، وأنا أستمتع إلى صوت تنفسي بينما أحاول ترتيب هذه الفوضى في رأسي بعيدًا عن الجميع. لقد حاولت الوصول إلى سي، لكنه كان بعيدًا جدًا، كل ما استطعت الإحساس به هو الهمهمة الخفيفة الصادرة عن وجوده، ولا شيء أكثر. كبحت نوبة بكاء مليئة بالألم، ووضعت راحتي يديّ على عينيّ لمنع الدموع من الانهمار مجددًا. لقد اشتقت إلى سي كثيرًا. لم أُضطر للتعامل مع أي شيء مثير للخوف أو الغضب من دون وجوده إلى جانبي لكي يطمئنني ويهدئني، والآن كنت خائفة وغاضبة.

أتذكر لحظة وصولنا أنا وسي إلى ديفينيتي، لم تكن سهلة، لكنها كانت فرجًا لنا بعد السنوات الطويلة في دار العمل. ثم اضطرارنا لشق طريقنا إلى الأسفل نحو الجنوب، متجنبين الفيراغ والعصابات المتسولة التي أطلقوا عليها "ت-د-ك" اختصارًا، ت-د-ك كانوا أناسًا من أعمار مختلفة ممن هربوا من دور العمل، أو المزارع، أو مصانع العبيد، لكنهم تعرضوا لأذى هائل لدرجة أكبر من أن يستطيعوا النجاة في مدينة مخيمات، لذلك جمعوا أنفسهم وبذلوا قصارى جهدهم للنجاة. اعتبر الاتحاد والأثرياء ديفينيتي، والأماكن التي تشبهها، أماكن همجية وغير متحضرة، لكنها لم تكن كذلك. كانت ديفينيتي منزلنا الأول الحقيقي، وكانت أول مكان شعرنا به بالأمان بشكل كبير، كان لدى مدن المخيمات مجموعتها الخاصة من القوانين وقواعد السلوك غير المكتوبة، أهمها هو أن الجميع متساوون، وهو شيء لن يتمكن الأثرياء من فهمه مطلقًا. إن أردت العيش في مدينة مخيمات، كان هناك ثلاث قواعد عليك أن تتبعها:

"ما هو ملكي هو ملكي وما هو ملكك هو ملكك".

"لا تلعب إن لم تتمكن من الدفع".

"إن كان لديك مشكلة مع القاعدتين السابقتين، توجّه إلى المحكمة".

اشتملت القاعدتان الأوليان كل شيء تقريبًا، وكل ما لم تشملاه تحلّه المحكمة. كان الذهاب إلى المحكمة أمرًا طوعيًا، إن كان هناك نزاع لا يمكن حله بأي طريقة أخرى، فتصبح الحاجة إلى ثلاثة

أشخاص محايدين أمرًا مهمّا، أشخاص ليسوا أقارب، أو ليس لديهم أي اهتمام في نتائج هذا النزاع. لقد سبق لي أن ذهبت إليها بسبب قضية وافد جديد اسمه ليام سرق أصبغة من مالك متجر في السوق المخفية، ثم استخدمها لكي يصنع لوحات جميلة باعها بنفسه إلى الأثرياء مقابل مبالغ كبيرة من المال. جادل مالك المتجر، كويو، أنه يجب أن يحصل على كل المال الذي كسبه ليام، على اعتبار أن الأصبغة كانت ملكه، لكن استعادتها كانت غير ممكنة لأن ليام استخدمها كلها. جادل ليام أن موهبته كانت السبب الوحيد الذي أدى إلى بيع اللوحات بشكل جيد، لذلك يجب عليه أن يدفع ثمن الأصبغة فقط. بعد ذلك، ولتعقيد الأمور أكثر، اتضح أن ليام صرف الأموال التي جناها في الكاسينو وخسرها كلها.

في المحكمة، تبين أن ليام خرق القاعدة رقم 1 لكنه لم يخرق القاعدة رقم 2، وهذا ما جعله محظوظًا لأن الرجال في الكاسينو يتولون أمر القاعدة رقم 2 غالبًا، وكان لينتهي الأمر بليام بذراعين مكسورتين بدلًا من جلسة استماع في المحكمة. بعد كثير من النقاشات، قدمنا لهم خيارًا: بإمكان ليام أن يعمل في متجر كويو حتى يسدد ديونه، أو بإمكانه تقديم شيء يمتلك القيمة نفسها لكويو، أو يمكنه مغادرة ديفينيتي. حسنًا، لم يرغب كويو أن يعمل سارق معروف في متجره، لكنه كان معجبًا بلوحات ليام، لذا اختار الخيار الأخير تعويضًا له. ولن أنسى مطلقًا ما قاله كويو في تصريحه الأخير: "لا يتعلق الأمر بجمال اللوحات فقط، لكنني سأبتسم دائمًا عندما أفكر بالأثرياء الذين يعتقدون أنهم

أفضل منّا، لكن جدرانهم ليست أجمل من جدراني". بعد ذلك، وفي خاتمة مثيرة للاهتمام، عرض كويو أن يصبح شريكًا للبام، وأن يزوده بالمواد التي يحتاج إليها للوحاته والسماح له بمشاركة المتجر مقابل جزء من الأرباح.

بحسب معلوماتي، لا يزالان معًا، حتى أنهما يتقاسمان الخيمة ذاتها، لذلك كانت المحكمة شيئًا فعالًا، في معظم الأوقات على الأقل، وعندما لا تكون المحكمة فعالة، يعيش أعضاء ت-د-ك، ظروفًا قاسية ويقومون بالنهب والسرقة.

لقد أشعرني التفكير بالمحكمة بشيء من الراحة، أتذكر وجودي على المنصة في الأعلى، كان رأيي ذا أهمية، وكان سي يشاهدني، وكان فخورًا بي جدًا. فهل سيكون فخورًا بي الآن؟ جلست وحدي في الظلام وأنا أحبس دموعي؟ فجأة، سمعت طرقًا خفيفًا على الباب. توقفت، لم أكن بمزاج مناسب للتحدث لأي شخص.

قلت: "أيًا كنت، اذهب بعيدًا". كنت أعلم من وراء الباب، وكنت أعلم أنه لن يبرح مكانه.

قال روغان من خلف الباب: "لن أذهب، هل أنتِ بخير؟".

تنهدت، ونهضت، وانحنيت على الباب، ووضعت راحتي عليه. كان بإمكاني الشعور به على الطرف الآخر من الباب، يعتريه القلق. "لا أعلم. أجل. ربّما". تنهدت مجددًا. "أنا متعبة فقط".

"لقد أراد دارف معرفة سبب استيائك".

"ماذا قلت له؟".

"في الحقيقة قلت له إنني لا أعلم، واكتفيت بالقول إن شيئًا حدث لك عندما كنت أصغر سنًّا، وأن لمسك من قبل شخص لا تثقين به قد أثار جنونك، هل تتذكرين المرة الأولى التي وضعت فيها يدي على كتفك؟".

ضحكتُ بوهن: "المرة الأولى التي ذهبنا لكي نسرق سويّة، نعم. كُنت لأذهب مباشرة باتجاه مجموعة من البلوز لو لم تمنعني من الالتفاف حول الزاوية".

ضحك روغان بدوره: "وبالمقابل كُدتِ أن تكسري أنفي، لقد ترعرعت في دار عمل أيضًا، وأعلم أن أمورًا فظيعة قد تحدث. من كان؟ هل كان أحد الحماة؟".

ترددتُ، ما كنت لأخبر أحدًا عن ذلك اليوم، كان سي الشخص الوحيد الذي يعلم، ولم أكن مضطرة لإخباره بالتفاصيل. لكن روغان كان صديقي المفضل، وكان لينقذ حياتي في أولد كي، في الحقيقة، كان سينقذ حياتي أكثر من مرة. لقد استحق أن يعرف الحقيقة. أغلقت قبضتي، وضعتها على الباب، وتنفست بعمق. "كان حارسًا، قبض عليّ وأنا أسرق الحلوى، قال إنه سيقتنع بالتغاضي عن الأمر إن..." توقفت عن الكلام، وأنا أتذكر ذلك الشعور المثير للاشمئزاز الذي أحسست به عندما لمس بشرتي، وجدت صعوبة في إزدراد لعابي وأكملت. "أخبرته أنني أفضل الموت على ذلك، ابتسم لي تلك الابتسامة الشنيعة، وقال، *كوني حذرة تجاه ما تتمنينه*. ثم جرني إلى الكوخ ورماني على الأرض. ضربت رأسي، لا أتذكر الكثير بعد هذا، باستثناء الألم. عندما انتهى

منّي، وقف، ضحك وقال: "حلوى للحلوة"، وبعدها رمى الحلوى عليّ، وتركني ملقاةً هناك. كان هذا قبل يوم تركي الخامس عشر". كان بإمكاني الشعور بأظافري تحفر في راحة يدي. دفعت ذكرى نظرة سونغي المنحرفة بعيدًا، وحاولت تهدئة نوبة الغثيان التي اجتاحتني.

سمعت روغان يتنفس بحدة: "ما كان اسمه؟ أين هو الآن؟". بدا صوت روغان على الطرف الآخر من الباب منخفضًا وخطيرًا.

قُلت: "لا تقلق، لقد تدبر سي أمره".

صمتنا قليلًا، ثم قال روغان: "سي؟ سي خاصتنا؟ لا أصدق ذلك. ماذا فعل؟".

"أنا لا أعلم كل التفاصيل، لكنه استعمل أداة قص تعمل بالليزر، أرسل الحامي شمالًا إلى محطة زراعية ولم أرَه مرة أخرى".

صمت روغان لدقيقة، ثم قال: "بعد أن تأذيتِ في أولد كي، أخبرني سي أنه في حال توفيت، كان سيقتلني بنفسه. أظن أنني كنت محظوظًا".

سألته بصدمة: "ماذا قال سي؟".

أجابني روغان: "كان جديًا، لم يسبق لي أن رأيته أكثر جدية".

كُنّا هادئين للحظة، ثم قال روغان: "دعيني أدخل".

فتحت قفل الباب، وجلست على المقعد في الخلف. فُتح الباب ببطء؛ كان روغان مظللًا من الضوء الخافت القادم من المتجر. ربتت على المقعد إلى جانبي، أتى إليّ وجلس إلى جانبي وتنهد. أرحت رأسي على كتفه، وأمسك يدي. تنفست بعمق، لقد كانت رائحته كرائحة ديفينيتي قبل أن يأتي المطر الساخن إليها، مزيج من رائحة التوابل،

واللوحات القماشية والغبار الذي يحوم في دوامات. في غضون لحظات، كنت أنتحب على سترته. لم يقل شيئًا، وضع يده حولي بلطف فقط وتركني أبكي، على سي وعلى نفسي، على ديار تركناها خلفنا، وعلى أبٍ تخلى عنّا، وأم لن نعرفها مطلقًا، على كل شيء خسرناه، وعلى الأشياء التي ما زال بإمكاننا خسارتها.

أخيرًا، لم يبقَ لديّ أي دموع لأذرفها. وقفت، مسحت وجهي بكُمّي. استدار روغان إليّ وسألني: "ماذا الآن؟".

أجبته: "الآن؟ سنعود. لدينا عمل لننجزه".

26 سي

لقد كانت ترتدي زي قائد إقليمي، كان شعرها أقصر من الذي رأيته في أحلامي، لكن لم يكن هناك شك أنها هي، نظرتُ إليها بدهشة وصمت، أمسكتْ يدي، وهي تنظر حولها بتوتر، وشدتني باتجاه المقعد. عندما قالت: "تعالَ واجلس". لقد استنتجت فجأة أنها لم تتكلم معي بعد.

سألت، مذهولًا: "هل أنا أسمعك في رأسي؟".

ابتسمت وأجابت مجددًا من دون أن تتكلم: "هل كلامي واضح؟ ومفهوم؟".

هززت رأسي ببطء، لقد بدا كلامها واضحًا وكأنها تتكلم إليّ مباشرة. أخيرًا قالت: "هذا رائع"، مستخدمة صوتها للمرة الأولى. لقد كان صوتًا ناعمًا ومنخفضًا مع لكنة خفيفة.

سألتها: "من أنتِ؟". شعرت كما لو أنني أعلم ذلك بالفعل، لكنني احتجت أن أسمع هذا منها.

قابلت عيناها الخضراوان عينيّ، ترددتْ للحظة، ثم أمسكتْ يدي. يمكنني أن أشعر بها ترتعش، عبرني ارتعاشها، وجعلني أرتعش بدوري.

قالت: "اسمي فرانس دولاك، أنا والدتك". أمسكت بيدي بإحكام، وكأنها تحاول أن تحميني.

جلستُ وأنا أحاول أن أضبط نفسي بصمت، محاولًا التفكير بشيء لأقوله. في النهاية، قلت الشيء الوحيد الذي كان بإمكاني التفكير به في ظل هذه الظروف. "أين كنت طوال هذه السنوات بحقّ الجحيم؟". كُنت أحاول منع الغضب من الخروج مع صوتي، لكنني لم أنجح كثيرًا.

تركتْ يدي ووقفتْ، وهي تستشعر عواطفي ثم ابتعدت عنّي: "لديكَ كلّ الحق في أن تغضب، لكن على الأقل دعني أحاول أن أشرح".

لقد أردت أن أكرهها وأطلب منها أن تخرج، لكنني لم أفعل ذلك لثلاثة أسباب. أولًا: لأنني كنت فضوليًا. كان لديّ كثير من الأسئلة؛ لماذا تَركَتنَا في دار العمل؟ هل كان دارف بوشار والدنا حقًا؟ وأين هو؟ هل كان يعلم بما حدث لنا؟ ثانيًا: لأنني كنت في وضعية حرجة للغاية، ونادني مرتزقًا، لكن ربما يمكنها استخدام منصبها لكي تساعدني أنا وتريك. أخيرًا: وهو الأمر الأكثر أهمية. لأنني عندما كنت أسمع صوتها في رأسي، كان هناك شيء آخر بالإضافة إلى هذا؛ إحساس رهيب بالخسارة والوحدة، اللطف والتصميم اللذين جعلاني أرغب بإعطائها فرصة أخرى.

هززتُ رأسي، ثم جَلسَتْ إلى جانبي مجددًا. تنفست بعمق وبدأتْ بالكلام: "لقد ولدت بعد انتهاء حروب المياه. كان والدي قائدًا في جيش أدناك، بقدر ما كان هذا الشيء محدودًا، عندما ساعدتنا قوات الاتحاد على هزيمة الفيراغ، لقد كان مسؤول الاتصال الرئيسي مع قادتهم، وبمقابل المساعدة التي قدمها خلال الحرب، رُقّي إلى منصب حاكمٍ عام لمقاطعتي كاباك وتريليوم. كان والدي شخصًا صارمًا وقاسيًا، وقد دعم الاتحاد بينما قاموا بتفكيك مجتمع أدناك بطريقة ممنهجة، وأعادوا

تشكيله وفق رؤيتهم الخاصة. لقد نشأتُ مع والدتي، امرأة وديعة وطيّبة، والتي نادرًا ما كنت أراها، لكنها توفيّت عندما كنت في الرابعة عشرة، بعدها ذهبت للعيش مع أبي في مونت رويال حيث كان يترأس القبة في ذلك المكان. كانت هناك مجموعة من المتمردين تدعى ليه كوينز أقلقته لسنوات، وعلى الرغم من أنه قبض على البعض منهم، وعذبهم، كما أنه ترك للحشود فعل ما يحلو لهم بهؤلاء المتمردين في القبة، إلّا أنه لم يكن قادرًا أبدًا على تحديد القائد الحقيقي لهذه المجموعة. بعد ذلك، وفي يوم من الأيام، بعد بلوغي الستة عشرة عامًا بقليل، أخبرني أنه سوف يرسلني إلى تريبون، مدينة مخيمات تقع خارج مونت رويال، لكي أخترق صفوف ليه كوينز وأجد قائدهم. لم أُرد الذهاب، لقد توسلت إليه لكي لا يُرسلني، لكنه لم يعطني خيارًا آخر.

كانت خطته أن يلبسني ملابس بالية، ويرميني خارجًا في تريبون بطريقة فظة لكي أدافع عن نفسي كعاملة حرة. لكن في البداية، أخضعني لبعض المعالجات التجريبية من خلال بعض الأدوية المصنوعة من قبل الاتحاد، معالجات آمن بأنها قد تحوّر حمضي النووي لكي تزيد من قدراتي الإدراكية مما يجعل التقاط المعلومات أمرًا أسهل بالنسبي إليّ".

سألت، مشككًا: "أنت تقصدين أنه حوّلكِ إلى شخصٍ متخاطر ذهنيًا؟".

أجابت: "نعم، لقد كان يحلم بإنشاء جيل جديد من الأشخاص الذين يملكون قدرات معززة. لكن تجاربه عليّ جلبت عَرَضًا جانبيًا لم يكن في حسبانه أبدًا. لم يقتصر الأمر على قدرتي على استشعار أفكار

الأشخاص القريبين منّي فحسب، لكنني كنت قادرة على رؤية حقيقة من كان والدي حقًا، لقد كان رجلًا مليئًا بالكراهية اعتدى على والدتي لسنوات، وقد استمتع بتعذيبها. لذلك قررت الذهاب إلى تريبون، لكن عوضًا عن أن أصبح جاسوسةً للاتحاد، سأختفي ببساطة، بعد ذلك حصل ما لم يكن متوقعًا".

سألت: "ما هو؟". لم يكن بإمكاني التفكير بأي شيء أسوأ من أن يُجري والدك التجارب بالأدوية عليك ثم يُرسلك بمفردك لكي تحاولي النجاة بحياتك في مدينة مخيمات.

ابتَسَمَتْ بحزن: "أسوأ شيء. وأفضل شيء. لقد قابلت والدَك".

"والدي؟ من هو؟ لم أعني صياغة السؤال في صيغة الماضي، لكن لسبب ما، اعتقدت أن والدنا ميت. لم تستشعر دي وجوده قط، ولا أنا أيضًا، لذلك افترضت أنه توفيّ منذ وقت طويل".

تحولت ابتسامة فرانس الحزينة إلى نظرة فخر مليئة بالعاطفة.

"إنه دارف بوشار، قائد حركة التمرد. الشخص الذي كان يجب أن أنصب الفخّ له هو الشخص نفسه الذي وقعت في حبه. كنا معًا لمدة سنتين قبل أن تحدث خيانة في ليه كوينز ويُرسَل إلى القبة، غضب أبي كثيرًا عندما علم أنني عملت إلى جانب حركة التمرد، وزودت الاتحاد بمعلومات خاطئة، بدلًا من العمل لصالحه".

"ماذا فعل بكِ، لا أعتقد أنه تركك تنجين بفعلتك".

"أوه، كان لديه عقوبة جيدةً مخبأة لي، أنا متأكدة، لكنّه لم يكن يعلم أنني كنتُ حاملًا، وأن دارف خطط بالفعل لهروبي، على الرغم ممّا

حصل له. أقنعته أن يظهر الرحمة لدارف، متعهدّة بإكمال عملي جاسوسة لصالح الاتحاد. بعد أن هاجمت ليه كوينز القبة في مونت رويال، هربتُ ودارف، واختبأنا حتى أنجَبتْ. لكننا علمنا أنه في حال معرفة والدي بأمرك وأمر إليزيا والقوى التي امتلكتماها، سيطاردنا، ولن يتوقف عن ذلك حتى يحصل عليكما".

سألت مرتبكًا: "إليزيا؟ من هي إليزيا؟ وما هذه القوى التي تتحدثين عنها؟".

ضحكت فرانس: "إليزيا هي أختك، بالطبع. أعلم أنكم تُطلقون على أنفسكم سي ودي الآن، لكنكما ولدتما نيكو وإليزيا. وبالنسبة إلى القوة، لقد أصبح من الواضح جدًا وليس بعد فترة طويلة من ولادتكما، أنكما ورثتما "قدراتي الإدراكية". فأنتما لم تبكيا أبدًا، عندما كنتما تجوعان، كنتما تجدان طريقة تعلماني بها. أنتَ على علم بالغرسة الإلكترونية، لقد كانت محاولة لتوجيه هذه القدرات بطريقة يمكن أن تكون مفيدة".

وقفتُ بسرعة، مشيت بجانب صف الخزانات وانحنيت، وأرحت رأسي على الحديد البارد. لقد كان هذا كثيرًا لأستوعبه، فكيف بتصديقه. هل كانت هذه محاولة سونغي الأخيرة للانتقام، بإرسال هذه المرأة مع قصتها الخيالية لكي ترفع معنوياتي؟ في أي ثانية الآن، أتوقع أن يظهر، مع هذه النظرة المنحرفة على وجهه، ويقول: "لقد نلت منك".

تنهدت فرانس من خلفي: "أعلم أن هذه القصة تبدو خيالية، لكنها حقيقية. ليس لسونغي أي علاقة بهذا، على حد علمه، أنا فقط قائد إقليمي آخر يجب أن يقوم بإطاعته على مضض".

التفتت إليها بحدة، نسيت أنها تستطيع ببساطة قراءة أفكاري. قلت ساخرًا: "حسنًا، لقد قمت بأخذنا إلى دار العمل، وقبل أن تتخلي عنّا، زرعتِ نوعًا من الأجهزة الإلكترونية بداخلي، ليتم استخدامي كسلاح بعد سنوات. أخبريني، كيف يمكن لأحد أن يصدق أنك مختلفة عن والدك؟".

اقتربت مني، ووضعت يدها على كتفي: "كل ما يمكنني فعله هو إخبارك أنني آسفة، وهذا أكثر ممّا فعله والدي لي. لحسن الحظ، كان مهتمًا بسمعته بشكل أكبر، لحفظ ماء وجهه مع الاتحاد، لذلك عندما عدت إليه وكذبت عليه وقلت إن دارف قد اعتدى عليّ وأجبرني على العمل لصالحه، تقبل الأمر، وكنت قادرة على الاستمرار بذلك سرًا وتقديم المعلومات للسلطة بينما ترقيت في الرتب بسبب نفوذه. والآن، وبصفتي رئيس قبة، أنا.."

صرخت مصدومًا: "رئيس قبة؟ أنت رئيسة القبة؟ كيف يمكنك فعل هذا؟ هززت كتفيّ مبعدًا يدها عنّي باشمئزاز وأدرت ظهري لها، لكنها أمسكت بمرفقي بقوة ودفعتني لكي أصبح بمواجهتها.

قالت بتوتر: "نيكو، استمع إليّ، أنا أعلم أن هذا أكبر من أن تستوعبه، لكن بمقدار ما يبدو الأمر فظيعًا، أريدك أن تضعه جانبًا، كل شيء فعلته كان ضروريًا، على الرغم من مدى كرهي له. هناك قضايا أكبر على المحك: إنقاذك أنت وتريك ما هو إلا جزء من خطة أكبر بكثير تهدف إلى إسقاط الاتحاد إلى الأبد. والدك قادم، إنه سيحضر أُختك، وجيشًا معه".

قبل أن أحظى بفرصة لأرد على ما قالته للتوّ، فُتح الباب فجأة، وكان فارما واقفًا هناك، تحركت بشكل غريزي إلى أمام فرانس لكي أحميها، لكنّها التفّت حولي وذهبت إلى فارما. حياها وقال: "لقد حان الوقت. يجب عليّ أن آخذه".

ردّت: "أحتاج إلى خمس دقائق إضافية فقط، نحن على وشك الانتهاء".

قال فارما: "حسنًا، لكن ليس أكثر من خمس دقائق، لا تريدين لهذا الماكر الموجود في الطابق العلوي أن تنتابه الشكوك، إنه مُنفعل جدًا الآن، لا أعلم ما الذي فعله هذا الشخص لكي يثير غضبه إلى هذا الحدّ، لكنه هناك على الشرفة العالية، يتجول بسرعة مثل الذئب، ويطلق النار بغضب على أي شيء يتحرك أمامه. لقد قتل خمسة طيور حتى الآن سأنتظر خارجًا". بهذا، غادر فارما الغرفة.

"لدينا دعمٌ أكبر مما يمكنك تخيّله، ستُصدم إن علمت عدد البلوز الذين يقفون إلى جانبنا". أجابت على وجهي المذهول. "لكنني أحتاج أن أسألك شيئًا، وهو شيء مهم جدًا. أعلم أنه يمكنك استخدام الغرسة، لكن هل يمكنك التحكم بها؟".

"أعتقد ذلك. لماذا؟".

"لأنه عندما يأتي والدك، سيحتاجون إلى تشتيت، إلى شيء ضخم، لتشتيت انتباه البلوز الذين ما زالوا موالين للاتحاد لفترة كافية لمنحهم الوقت لضرب البرج وتأمينه - سيلفت هجوم على القبة انتباههم بالتأكيد. أرني". أمَرَتني "أحتاج أن أرى".

ركّزت. لم يكن الأمر صعبًا. كلّ ما كان عليّ فعله أن أُبعد غضبي مما كان يحصل الآن، كل شيء أخبرَتني به، وكان هذا كافيًا. بدأت الأرض بالاهتزاز تحت أقدامنا.

قالت، وقد علا التعجب وجهها: "هذا جيد، الآن أوقفها قبل أن تجلب إلينا اهتمامًا غير مرغوب".

بنيت الجدار العقليّ بالطريقة التي تعلمتها بنفسي، وتوقفت الاهتزازات مباشرة.

قالت: "ممتاز، لكن ما الذي حدث في الليلة السابقة؟ لقد شعرت بك، كان البرج يهتز بكل ما للكلمة من معنى".

أجبت باقتضاب: "سونغي ليس الشخص "المنفعل جدًا" الوحيد هنا. ثم أصبحَتْ في رأسي فجأة، تتحرك فيه، وتبحث. أعدت بناء الجدار العقلي بسرعة محاولًا أن أمنعها، لكنني لم أنجح بفعل هذا قبل أن ترى ما لم أردها أن تراه.

تنفست بعمق وشدة، وأغمضت عينيها بسرعة محاولةً حجب الدموع.

قالت، بصوت مرتجف: "لقد وُعدنا أنه سيتم الاعتناء بكما جيدًا".

أجبتها: "دائمًا ما ينكث الناس بوعودهم" بدا صوتي أقسى مما كنت أنوي أن أظهره، ثم بدأت ملامح البكاء تبدو على وجهها.

هَمسَتْ: "أعلم أنه لا يمكنك مسامحتي أبدًا على أي شيء فعلته، لكنني فعلت كل شيء لأنني أحبكما".

لم أقل شيئًا. دخل فارما بعدها إلى الغرفة وأمسك بيدي: "لِنذهب، أيها الفتى المحارب".

اقتربت فرانس، لا يزال الألم مرتسمًا على وجهها: "لقد قُلتِ إننا ورثنا قدراتك وأنني حصلت على غرسة لتكبير قدراتي لكن ماذا عن دي؟ هل تمتلك غرسة؟".

اقتربت فرانس مني ولمست خدي بلطف، وقالت: "تمتلك أختك قوتها الخاصة، إنها لا تحتاج إلى غرسة".

27 دي

عدت وروغان من المتجر المظلم، ونحن ندوس على الأطراف، والجذوع، والرؤوس البلاستيكية المتناثرة على الأرض. فجأة، انتابتني رؤيا رهيبة عن ديفينيتي، كان فيها أجساد حقيقية ملقاة على الأرض، ثم شهقت. نظر روغان إليّ بقلق.

"ما الخطب؟".

"أنا.. أظنّ أنني أدركت لتوي مدى خطورة هذا الأمر كلّه. أعلم أن هذا يبدو غبيًا، لكنني كُنت مركزة على إيجاد سي لدرجة أنني لم أفكر بالصورة الأكبر. روغان، من الممكن أن يموت الناس، من الممكن أن نموت".

تنهد روغان: "أعلم، لقد انتابني الشعور نفسه عندما عبرنا إلى أولد كي، لكن لا نستطيع التراجع الآن، كثيرة هي الأمور التي على المحك".

كنا بالقرب من جيش الفيراغ تقريبًا، كانوا لا يزالون يقفون بصمت، ينتظرون، لذلك همست: "أعلم. أنا لا أريد التراجع، أنا فقط لا أعلم إن كان بإمكاني أن أثق بدارف. أعني، أثق أنه على الجانب الصحيح، أثق أنه ليس كاذبًا أو خائنًا.. لكنني أظن أنه منهمك بقضية تدمير الاتحاد لدرجة أنه لا يهتم لعدد الناس الذين سيتأذون في هذه

العملية. انظر لِما فعل بسي، هل يمكنني أن أثق أنه لن يضحي بي بهذه الطريقة عندما يحين الوقت؟".

أجابني روغان هامسًا: "لا يمكنني تصديق هذا، إنه والدك. أنا متأكد أنه لن يدع مكروها يصيبك".

ضحكت بهدوء: "أظن أنني آخر اهتمامات دارف، إلّا إن استطاع استخدامي في شيء ما. لقد أثبت التاريخ هذا الأمر". لوّحت بيدي للحيلولة دون أن يحاول روغان الاحتجاج على كلامي. "هذا يكفي. أنا متعبة وبدأ ظهري يؤلمني حقًا، حان الوقت لبعض مسكنات الألم. لنذهب ونرَ إن تبقى البعض من ذلك الشاي".

هزّ روغان رأسه، ثم عدنا إلى فناء الطعام، كان دارف جالسًا إلى إحدى الطاولات، وكان يتحدث إلى جنديّ من الفيراغ، وعندما رآنا، رفع حاجبيه متسائلًا.

قاومت رغبتي بأن أشير له بإشارة بذيئة في يدي، وعوضًا عن ذلك حرّكت كتفيّ. هز رأسه بشكل خفيف، ثم أكمل حديثه إلى الفيراغ، جلست على أحد الكراسي البلاستيكية القاسية مقابل طاولة تقع تحت درج كبير، ثم انحنيت، ووضعت رأسي على يديّ.

سألني روغان: "هل هذا الألم سيئ؟".

"قليلًا. أنا متعبة. ما أرغب بفعله حقًا هو أن أنام لبعض الوقت".

قال روغان: "سأحضر حقيبتك، وأرى إن كان بإمكاني إيجاد شيء لك لتشربيه، بعدها يمكننا أن نبحث عن مكان لكِ لتنالي قسطًا من الراحة". ثم اختفى حول الزاوية. جلست للحظة بصمت، وأنا أُفكر

بكيفية المضي قدمًا. كنت غاضبة من دارف، لكن الغضب كان يتعبني بقدر الألم الموجود في كتفي وظهري. كانت الحقيقة، أنني بقدر ما حاولت أن أكرهه، كنت معجبة به. كان واثقًا وصامدًا، كَسِب الأعداء كحلفاء، وقاد قوة من المتمردين الذين يناضلون من أجل الحرية. لقد احترمه الناس، وأعجبوا به، فلماذا لم يكن بإمكاني ذلك؟ ثم شعرت بنسمة خفيفة مرت على خدي، رفعت رأسي عن يدي. كانت سيريدوين تجلس على الكرسي المقابل لي، تشاهدني بصمت. ابتسمت ابتسامة خفيفة لها. ردت بابتسامة متعبة وقالت: "أنا مصنوعة من نفس معدن أختي".

"حسنًا، أنا لا أعلم بشأنك، لكنني أشعر بالصدأ قليلًا".

ضحكت سيريدوين، بصوت كريستالي خفيف، ثم توقفت وبدت رسمية: "أنت.." تَرَددت. "أنت تمتلكين أبًا حريصًا".

أجبت بسخرية: "هل هو كذلك؟ لا أعرف. أنت تعرفينه منذ فترة أطول".

أتى صوت أجش من خلفي: "إنه رجل طيب"، لقد كان مالاخي. جلس معنا وأكمل بصرامة: "لقد أحضرنا من الظلمات، ومنحنا الأمل، ويمكنني أخبارك بهذا: لقد كنت سأختار إخفاء ابنتي الوحيدة في دار عمل على أن أخسرها وأعطيها للاتحاد إلى الأبد، لكي تموت عبدة للاتحاد، نحّي غضبك جانبًا، لقد دفع ثمن أفعاله، وأنت أكثر حظًا من الكثيرين".

لمعت عينا سيريدوين الزرقاوان الثاقبتان، وقالت بهدوء: "كنت سأعطيك بعض البنفسج لكنها ذبلت كلها عندما مات والدي".

مددت يدي إلى سيريدوين، ولمست راحة يدها. فابتسمت إليّ.
قلت: "أنا آسفة".

سأل روغان: "ما الذي تتأسفين بشأنه؟". وهو يظهر من الزاوية، حاملًا بيده حقيبتي، وفي اليد الأخرى كوبًا كبيرًا.

أجبت متنهدة: "لا شيء". نظر روغان إليّ وإلى سيريدوين بفضول، لكنه لم يتابع الأمر.

وقف مالاخي وقال: "القمر عالٍ، حاولي أن ترتاحي، سيأتي الصباح قريبًا. وبعدها سنتحرك".

غادر هو وسيريدوين معًا، خطوته الواسعة تتماشى مع طريقة مشيها التي بدت فيها وكأنها تطفو، وكان رداؤها ذو القبعة يطير حولها.

نظر روغان إليّ مجددًا ورفع حاجبيه، لكنني نظرت إلى الأرض وقلت: "مالاخي مُحق، يجب أن نحاول النوم ويبدو هذا المكان جيدًا. أين أس- سام؟".

"إنه نائم في مكان الالتقاء الأول مع بعض الفيراغ، إنهم لا يتحدثون كثيرًا وهذا يناسبه تمامًا، صدقي أو لا تصدقي، يبدو مرتاحًا جدًا وهو بالقرب منهم".

ضحك روغان، وأعطاني كوبًا وحبة دواء: "الآن خذي هذه واستلقي".

فعلت ما طلبه، استلقى روغان على الأرضية إلى جانبي، وتوسدنا حقائبنا. في غضون ثوانٍ، أغمض روغان عينيه وخلد إلى النوم. لقد استغرقني الأمر وقتًا أطول بقليل، وهذا بسبب الألم الخفيف الصادر

عن كتفي والأفكار التي كانت تتسابق في رأسي. هل بإمكاني وضع الماضي خلفي حقًا؟ قال دارف إنه فعل ما فعله لكي يحميني أنا وسي، ولم يكن أكبر منّا بكثير عندما تخلى عنّا إلى دار العمل، هل كُنت سأنجز الأمور بشكل مختلف عنه لو أنني كُنت مكانه؟ ربما حان الوقت لإعطائه فرصة، أو على الأقل التوقف عن معاملته بطريقة سيئة. فكرّت في ردّ فعله عندما سأناديه: "أبي" بعد ذلك ضحكت على نفسي لأنني أصبحت عاطفية. في النهاية غرقت في نوم عميق، وخالٍ من الأحلام. استيقظت بشكل مفاجئ على أصوات الهمس والحفيف الناتج عن الحركة. نظرت حولي وكان روغان واقفًا هناك، بدا متيقظًا ويأكل شيئًا من وعاء سميك. سألته: "ماذا هناك".

"لقد نمتِ الليل كلّه، وأنا كذلك. منذ قرابة النصف ساعة، أتت أخبار أن الشمس قد أشرقت، وحان الوقت للاستعداد للذهاب. تفضلي". قال، وهو يدفع بوعاء آخر نحوي "خذي بعضًا من الشوفان. إنه عديم الطعم نوعًا ما، لكنه يملأ المعدة. أوه، وقد وجدت مكانًا يبعد القليل من هنا، فيه ما يبدو صنبورًا. يمكنك تنظيف نفسك إن أردتِ".

جرّبت تناول القليل من الشوفان، لم يكن مبهرًا، لكن روغان كان محقًا بشأنه. شعرت وكأنه ملتصق بأضلاعي ويدفء داخلي بطريقة مُرضية. عندما انتهيت من الأكل، أخذني إلى غرفة الاغتسال، وتركني هناك لكي يذهب ويجد أس- سام. خلعت جزءًا من ملابسي، نظرت إلى غرزاتي من خلال المرآة الموضوعة على الحائط. كانت الجروح تلتئم بشكل جيد الآن، ولكنها لا تزال طرية. نظفّت نفسي بأفضل ما

أمكنني، ثم ارتديت ملابسي، وخرجت لكي أبحث عن دارف ومالاخي.

وجدتهما في خضمّ محادثة ما أسفلَ الدرج الكبير. قلت: "صباح الخير".

ابتسم مالاخي، وبدا دارف مندهشًا، لكنه قال: "صباح الخير". ثم أضاف بحذر. "أتمنى أن تكوني قد نمتِ جيدًا".

أجبت بتهذيب: "نعم، يقول روغان إننا سنتحرك قريبًا، ما هي الخطة؟".

بدا دارف مرتاحًا لأنه لم يكن مضطرًا للأحاديث الصغيرة وبدأ بالعمل: "تفيد مصادرنا في الخارج أن الشوارع مهجورة. مع ذلك، من الأفضل لنا البقاء تحت الأرض، لذلك سنتبع المسار إلى المحطة".

توقف عن الكلام عندما رأى أنني لا أفهم ما يعنيه، ثم شرح لي: "المحطة هي مفرّع، مكان تلتقي فيه كل الأنفاق. لدينا قوات قادمة من كل أدناك، وقد قطعت ليه كوينز القادمة من كاباك الحدود إلى بادلاندز منذ ثلاث ليالٍ وهم يشقون طريقهم إلى المحطة بينما نتحدث الآن. الإنوكسوك.."

"هل الإنوكسوك قادمون؟". كنت مصدومة لكن متحمسة. كان الإنوكسوك أسطورة أخرى، مجموعة متمردة من أقصى الشمال، حيث الجليد لا يزال موجودًا. قال أولد ماك أن لدى الإنوكسوك تكنولوجيا رائعة وأنهم بقوا مختبئين عن الاتحاد عن طريق إقامة تماثيل حجرية كبيرة عكست الأشعة تحت الحمراء وإشارات السونار.

قال دارف: "نعم، الإنوكسوك من الشمال، أعضاء ويت كينغز ورايزينغ سَن من الغرب، ومجموعة من شعب سيريدوين من ذا روك في الشرق".

كنت مذهولة: "شعب سيريدوين؟ هل يبدون جميعهم مثلها؟".

ابتسم دارف: "كلا، إنها فريدة من نوعها بهذا الشكل".

"أرجوك أخبرني أنهم لا يتحدثون مثلها". فكرة أن مجموعة متمردة كاملة تتحدث لغة الألغاز المبهمة جعلت رأسي يدور.

"شكرًا للإله، كلا، يا عزيزتي.." توقف ثم تردد. "أنا آسف، أعلم أنك لا تحبين أن أناديك بذلك".

"أوه، كلا، كل شيء على مايرام". قلتها بلا مبالاة مزيفة.

بدا دارف متفاجئًا مجددًا، لكنني أعدت توجيه المحادثة: "لماذا تتحدث بهذه الطريقة على أية حال؟".

"كل ما أعلمه أن أمها ماتت عندما كانت رضيعة، وأن أبوها كان عالمًا مختصًا، بروفيسورًا حقيقيًا في الكلمات، رباها حتى قتلته فرقة مضادة للأذكياء تابعة للاتحاد. هم الذين أغلقوا جميع الجامعات. ذهبت إلى تريبون حيث قابلتها. في ذلك الوقت كان عمرها عشر سنوات تقريبًا، وكانت صامتة بسبب صدمة رؤيتها لوالدها وهو يقتل. لم تنطق كلمة واحدة في أول سنتين من معرفتي بها، ثم فجأة في يوم ما، نظرت إلى عينيّ وقالت: "دع الذي يأتي يأتي؛ سأنتقم لوالدي". وثقت بما قالت، وبعد مونت رويال، أرسلتها مخبرة، لكي تجمع معلومات عما كان يجري في الميترو. هي هنا منذ ذلك الوقت، وبدأت الاعتناء بكِ وأخيكِ منذ لحظة قدومكما إلى ديفينيتي".

سألته: "هل هي غامضة حقًا؟".

أجاب دارف: "لم أشك بذلك للحظة". وغمزني بعينه السليمة.

فجأة أصبح لديّ احترام جديد لسيريدوين. سواء كانت غامضة أم لا، فهمها صعب أم لا، إلا أنها عانت مثل الجميع ونجت.

ظهر روغان ومالاخي من جديد وانضما إلينا. سأل مالاخي: "هل حان الوقت؟".

هزّ دارف رأسه، والتف مالاخي وهمس شيئًا في الهواء كما بدا ذلك، لكن بدأ صوت هذا الهمس بالارتفاع حتى ملأ القاعة. لقد استنتجت أنه أيّا كان ما يقوله كان يُمرّر عبر القاعة كالأمواج، وفي اللحظة التي وصل فيها الصوت إلى كل طوابق المدينة تحت الأرض، بدأ جيش الفراغ بالذوبان، المئات الذين كانوا يقفون كالحراس الصامتين كانوا يختفون بشكل لحظي تقريبًا. رمشتُ، وكان قد اختفى نصفهم تقريبًا؛ رمشتُ مجددًا، فلم أرَ سوى العشرات منهم فقط في الملتقى. نظرت إلى روغان، وعندما أعدت النظر، كان الملتقى فارغًا بشكل كليّ. توقف الهمس، كان الصوت الوحيد المسموع هو صدى خطوات أس- سام وهو يشق طريقه إلينا.

عندما وصل إلينا، كانت عيناه مفتوحتين برهبة.

قال: "م-مخيف".

هززت رأسي موافقة، ثم أعلن دارف: "حسنًا. أحضروا أشياءكم. ذهبت سيريدوين إلى المحطة مع الحملة المتقدمة. لدينا مخبأ للأسلحة هناك بالفعل، والبلوز الموالين وضعوا بعض العبوات الناسفة حول

البرج. اللحظة التي يكون الجميع فيها في القبة يشاهدون القتال، هي اللحظة التي ستخرج بها قواتنا إلى سطح الأرض. بعدها علينا أن ننتظر أخاك ليقدم لنا الإلهاء الذي نحتاج إليه. في اللحظة التي يبدأ بها الاهتزاز ويهرع البلوز لكي يحموا القبة، سنُفجّر العبوات الناسفة ونُدمّر البرج".

قلت: "انتظر أنا لا أفهم. لماذا لا نقوم بإنقاذ سي وتريك أولًا؟ إن كان سي يمتلك القوة التي تقول عنها، يمكنه التسبب بالاهتزاز وهو معنا".

أجاب دارف: "كلا، نحتاج إلى أن تكون جميع الأعين عليه. هذه هي الخطة. أجرى الإنوكسوك آلاف تجارب المحاكاة، وتقنياتهم لا تخطئ، ليس هناك هامش للخطأ. يجب أن يتم الأمر بهذه الطريقة". وضع حقيبته على ظهره، ومشى مبتعدًا.

كنت غاضبة. ركضت خلفه، وأنا أصرخ: "كيف يمكنك أن تضحي به بهذه الطريقة؟ إنه أخي سوف يظن أنني تخليت عنه، إنه لا يعلم أي شيء عن هذا". توقفت عن الكلام وتقطع صوتي. "إنه بمفرده هناك".

أستدار دارف نحوي ونظر إليّ: "كلا، يا عزيزتي، إنه ليس لوحده، إنه مع والدتك. وهو يعلم بكل شيء".

28 سي

سألتها: "هل تعلم دي؟ هل تعلم دي عن قوتها؟".

تراجعت فرانس -والدتي- إلى الخلف قليلًا وقالت: "كلا، لن تعلم بها ما لم تكتشفها بنفسها، والدك لن يقول أي شيء لها".

"إن لم تكن غرسة، فما هي؟".

قاطع فارما الحديث محذرًا: "أيتها القائدة، يجب عليك الذهاب، لقد مضى وقت طويل".

قالت فرانس، واتجهت بسرعة إلى الباب: "إنه محق، وتوقَّف عن القلق بشأن أختك إنها بخير. أبقِ تركيزك على الخطة فقط. لا يمكننا تحمّل أية أخطاء، خاصة وأننا أوشكنا على النجاح، في المرة القادمة التي أراك فيها، سأكون في مقصورة كبار الشخصيات. تظاهر أنك لا تعرفني".

أجبت بقوّة: "لن يكون هذا صعبًا"، أوليتها ظهري، فسمعتها تتنهد وتتردد، لكن الباب فُتح، وأُغلق مجددًا. كانت قد رحلت. استدرت ووقفت هناك، محدقًا إلى الباب الذي اختفتْ خلفه، قابضًا ومرخيًا يدي، محاولًا التحكم بغضبي. نظر إليّ فارما بثبات.

قال: "وفّره لوقت لاحق، إنها تفعل ما يجب عليها فعله، إن كانت الظروف مختلفة..".

قاطعته: "لن نعلم إن كانت كذلك، أليس هذا صحيحًا؟ أيًا يكن الأمر، هذا لا يهم. لقد استطعت الاستمرار كل هذه المدة من دون أم". ضحكت بمرارة، وبدا على فارما عدم الارتياح. جلس على المقعد وحزم ملابسي القديمة.

سأل، وهو يتجه إلى سلة المهملات: "أفترض أن هذه الملابس البالية لا تهمك".

هززت رأسي، ثم تذكرت بعدها، وصرخت: "انتظر يوجد شيء في إحدى الجيوب أود الاحتفاظ به".

زمّ عينيه، وضيّق قبضته على حزمة الملابس: "أنت لا تتحدث عن نوع من الأسلحة أليس كذلك؟ يمكنك استخدام الأسلحة المعتمدة من قبلهم فقط. بقدر ما أرغب أن أعطيك أفضلية، لكن خوضك للقتال بمنشار سيلفت نظر الشخصيات المهمة، لا يُسمح إلّا بالشفرات المستوية في ميدان القتال، أنت تعلم ذلك".

أجبته: "تفقدها بنفسك، أنا أعدك، إنها ليست شيئًا خطيرًا. إنها شيء.. ذو قيمة عاطفية. إنها في الجيب الأمامي من البنطال".

تردد فارما للحظة، ثم هزّ كتفيه، وبدأ البحث في الجيوب: "هل هذا ما تبحث عنه؟". سأل مبتسمًا، وهو يسحب الخرزة الخشبية المصقولة جيدًا، ويمدّ يده نحوي.

قلت: "هذه هي، إنها شيء ليذكرني بالوطن". مررها فارما إليّ، ثم رمى بقية الملابس في سلة المهملات.

قال وهو يتحرك باتجاه الباب: "حسنًا، حان الوقت لكي تنال

بعض الراحة. ستستيقظ في وقت باكر جدًا".

قلت: "ظننت أننا لن نتعارك أنا وتريك قبل الظهيرة، لمَ العجلة؟".

أجابني بقرف: "حسنًا، إنهم يحبون أن يروكما وبأي طريقة ينظر كل منكما إلى الآخر، يظنون أن جنون الحشود، وهم يختارون يدًا أو رجلًا، وكل هذه الدماء، هي أمور تجعل المقاتلين حتى الموت يائسين ومذعورين، وهذا يؤدي إلى ترفيه أفضل". أضاف ساخرًا: "أود أن أشاهد أحدًا منهم يضحي بنفسه في القبة، سيكون هذا مسليًا جدًا".

شعرت بالغثيان عندما فكّرت في الصراخ وإراقة الدماء، لكنني حاولت عدم إظهاره. قادني فارما من هذه الغرفة إلى غرفة أخرى في أسفل الردهة، كانت صغيرةً وموحشة، وتحتوي على سرير حديدي، بدا الفراش رقيقًا وصلبًا، وكان هناك طاولة بجانبه عليها ضوء يعمل بالطاقة الشمسية ولا شيء آخر، وفي الجهة المقابلة كان هناك حمّام يحتوي على مرحاض ومغسلة.

قال: "سوف تقضي الليلة هنا، وسأعود في الصباح. أتمنى لك أحلامًا سعيدة، يا مقاتلي الشاب".

غادر، بعد أن أقفل الباب خلفه، فغرقت الغرفة على الفور في الظلام الدامس، وكان عليّ أن أتلمّس طريقي إلى حيث أتذكر أنه مكان الطاولة الجانبية. تلمّست مكان المصباح، وأشعلته، كان الضوء ضعيفًا – لم يتم شحن المصباح منذ مدة – لكنه سيفي بالغرض. جلست على طرف السرير، وأسندت رأسي على يديّ، وتنفست بعمق، وأنا أحاول ألّا أسمح لشعوري باليأس أن يطغى عليّ.

هناك احتمال كبير أنني في مثل هذا الوقت غدًا، سأكون ميتًا. لقد كانت فكرة مروّعة، لم أبلغ السابعة عشرة من عمري بعد، على الرغم من أن حياتي لم تكن سعيدة حتى الآن، إلا أنني لم أكن مستعدًا للتخلي عنها. جعلتني السنة الأخيرة، مع دي في ديفينيتي أرى أن هناك خيرًا في العالم، وأن السعادة كانت إمكانية أريد أن أتعلم المزيد عنها.

عندما وصلت مع دي إلى مدينة المخيمات، كنا متعبين ونتضور جوعًا، لقد نفد طعامنا قبل يومين من وصولنا، وكانت حافظات الماء قد فرغت في الليلة السابقة، فكنا نسير مترنحين على غير هدى، بكل ما للكلمة من معنى، وكنا نشعر باليأس معنويًا وبالقذارة ماديًا، ولا نعرف ما الذي ينتظرنا، لم يفاجئ ظهورنا أحدًا، فقد كان قدوم المراهقين من دور العمل أمرًا مألوفًا، قدمت لنا امرأة عجوز بعض الخبز، ودلّنا رجل إلى المكان الذي توجد فيه صنابير المياه، لم أعد أتذكر ملامحهما، بخلاف أصواتهما فهما تحدثا إلينا بنبرة لطيفة، وأرادا مساعدتنا، فكيف لي أن أنساهما. لم يسبق لأحد أن خاطبنا بمثل هذه الطريقة.

بعد ذلك، عندما تجولنا بين الخيم، تهنا في ما بدا لنا متاهة، وخفت من طلب المساعدة، ولكن بما أن دي عانت من مشاكل في المشي، أجبرنا على التوقف عند أحد التقاطعات، لنبحث عن أي دليل يشير إلى الدرب الصحيح الذي يفترض بنا أن نسلكه. فجأة، وُضعت يدٌ على كتفي، وعندما استدرت لأرى من يضع يده، رأيت امرأة عجوزًا تقف خلفي، كانت تدعى شاهيرا. قادتنا إلى الصنابير، وبعدها اعتنت بنا لأسابيع، هي وزوجها ناتو، لقد مضى على إقامتهما في ديفينيتي أكثر من

سنة. غادرا أدناك، وتنقلا من مدينة خيم إلى أخرى في محاولتهما الوصول إلى ذا روك، مسقط رأس ناتو، وقتها قالت شاهيرا: "العمر يمضي، وهو يريد أن يرى المحيط مجددًا قبل فوات الأوان".

دعتنا شاهيرا للمكوث معهما، على الرغم من أن خيمتهما كانت صغيرة. لقد عاملانا وكأننا فردان من عائلتهما، أو على الأقل كما تصورتُ ودي أن تُعامل العائلة أفرادها، لم يمضِ وقت طويل علينا، حتى استعدنا عافيتنا، ويعود الفضل بجزء منه إلى طهو ناتو الرائع، لم يكن لديهما الكثير، ولكنهما شاركانا ما لديهما على قلته.. في الأمسيات، عندما تنخفض درجات الحرارة بعض الشيء، كنا نجلس خارج الخيمة، حيث يتجمع الجيران، للاستماع إلى غناء شاهيرا، أو قصص ناتو الشيقة عن الحياة في ذا روك، عندما سألته لماذا غادر ذا روك، كانت المرة الوحيدة التي أراه فيها حزينًا، وذلك عندما أجابني: "ظننت أن حياة أفضل تنتظرني في الغرب، لكنني كنت مخطئًا، إن أفضل ما حصلت عليه في الغرب هو الليدي شيكس". إنه الاسم الذي يتودد به لشاهيرا، وخاصة عندما يشرب قليلًا من التاستيروم.

بعد فترة، بدأت أنا ودي نشعر بالذنب لأننا شكّلنا عالة عليهما، عندها بدأت دي تخرج للسرقة، قبل لقائها بروغان، وذلك عندما انضمت إلى إحدى العصابات الصغيرة، وبدأت تنشل وذلك من خلال انتظارها مرور أحد الأثرياء ثم تنشل حقيبته أو أي شيء آخر يمتلكه قبل أن يعلم البلوز بذلك. كما سبق لي أن قلت، لا يستخدم الأثرياء العملات عادةً؛ إنهم يملكون مَحَافِظَ سكان بانك على معاصمهم، لذا

في معظم الأوقات لم تكن حصيلة عمليات النشل سوى شيء للأكل أو للبيع.

لم تشعر شاهيرا بسعادة غامرة عندما علمت بهذا الأمر، لكنها قالت: "حسنًا، إنها طريقة لكسب لقمة العيش. وهي أفضل من بيوت الدعارة على كل حال".

بعدها، وفي يوم من الأيام. جلس ناتو وشاهيرا ليتحدثا إلينا، يمكنني أن أشعر بدي في رأسي، ينتابها القلق والارتباك؛ كنّا مقتنعين أنهما سئما منّا أخيرًا وسيطلبان منّا المغادرة. لكن الحقيقة، هي أنهما هما من كانا سيغادران. قال ناتو، إن الوقت حان ليمضيا في طريقهما، كانا متجهين إلى كينغز تاون ومنها إلى مونت رويال، وسيشقان طريقهما شرقًا.

اعترضت دي: "الطريق غير آمن فالفيراغ يسيطرون على المنطقة، وهناك عصابات الأطفال".

ابتسمت شاهيرا: "أوه، لا تقلقي، ناتو ليس غريبًا عن استخدام السيف، وأنا يمكنني أن أتولى أمر نفسي، لم ننجح بالوصول إلى هنا لمجرد مظهرنا الجميل، كما تعلمين".

بعدها، وبشكل غير متوقع، قالا إننا نستطيع الاحتفاظ بخيمتهما. قال ناتو: "سيحتلها آخرون إن لم تحتفظا بها، ولم يكن بإمكاننا الرحيل من دون معرفة أنكما تمتلكان مكانًا تطلقان عليه اسم منزل".

في اليوم التالي، وضّبا حقائبهما، وبعدها ذهبا. لقد كانت واحدة من المرات القليلة التي رأيت فيها دي تبكي، أما أنا فشعرت بالحزن، ولكنني كنت أشعر في قرارة نفسي أنني أستطيع أن أراهما مجددًا. لم أعلم متى أو

أين، لكنني كنت متأكدًا من أنني سأعاود رؤيتهما، وكان هذا الأمر مريحًا لي وأنا أشاهدهما يختفيان في أولد ميترو، يشقان طريقهما إلى بادلاندز تتبعهما عربة تعمل بالطاقة الشمسية وضعا فيها كل ممتلكاتهما.

لقد علّمنا الوقت الذي قضيناه مع شاهيرا وناتو أنه يمكن للأشخاص أن يكونوا لطفاء ومهتمين، وحتى مرحين. ما كنا لنعرف ذلك لو أننا بقينا في دار العمل. حتى يوم *الترك* كان حلوًا ومرًا. من المؤكد أنك تحصل على الحلوى في بعض الأحيان، لكن لا تزال ذكرى أنه لا يوجد أحد يرغب بك لدرجة أن يحتفظ بك موجودة. جعلتني السنة الأخيرة في ديفينيتي أدرك أنه قد يكون للمرء مستقبل، وأصدقاء، وربما عائلة لما لا. تألمت عندما تذكرت سارة تحملني؛ سأدفع أي شيء لكي أشعر بيديها حولي مجددًا. أما بالنسبة إلى دي فكيف يمكنني مغادرة هذا العالم من دون أن ألقي نظرة أخيرة على وجهها؟ كيف يمكنني أن أتركها وحيدة؟

شعرت بالأرض تهتز، فبذلت قصارى جهدي لكي أوقف الأمر. كنت واثقًا أن الوغد سونغي يضحك في مكان ما. حسنًا، إن كان قدري أن أموت فلن أموت وحدي بل سأصطحبه معي. هل أرادوا زلزالًا؟ حسنًا، سأقلب ميترو رأسًا على عقب، وأُدمر القبة فوق رأسه، إن كان هذا سيريحني من رؤية وجهه الساحر مجددًا.

في النهاية، نفد شحن بطارية الطاقة الشمسية، وعمّ الظلام الغرفة، فاستلقيت على السرير، ولكن النوم كان مستحيلًا، وبذلت جهودًا جبارة لأبقي جدار العزل في دماغي، ليس هناك جدوى من إضاعة الفرصة التي أمتلكها.

في وقت لاحق، رأيت ضوءًا أسفل الباب، وفي النهاية سمعت وقع خطوات. فُتح الباب، ورأيت شكل فارما المظلل أمام ضوء الصباح.

قال: "استيقظ، لقد حان الوقت".

أجبته: "لم أكن نائمًا". جلست ومطّطت ظهري المتيبس من الفراش الصلب.

تنحّى وجعلني أمر بجانبه عبر الباب: "لست متفاجئًا، سننزل إلى الأسفل".

قادني مجددًا إلى المصعد، واستعددت في الوقت الذي استغرقه نزول المصعد، والذي بدا وكأنه سنوات. أخيرًا، توقفنا وانفتحت الأبواب على بهوٍ في الطابق الأرضي. رأيت القبة من خلال الأبواب الزجاجية، وهنا تسارعت ضربات قلبي، توجهنا إلى الخارج باتجاه حرارة النهار، فرأيت الناس، والأثرياء، يتدفقون إلى القبة عبر المدخل الرئيسي الذي يبعد نصف كيلومتر تقريبًا وأعلى بمستوى واحد.

لقد بدوا غريبين جدًا بملابسهم اللامعة فاتحة اللون، وأقنعتهم الباهتة وعيونهم المعدّلة، كانت رؤوس الرجال حليقة وتغطيها الوشوم، أما شعور النساء فكانت مصبوغة بكل ما يخطر على البال من ألوان، رأيت تشتتهم، ولاحظت أن أحدًا منهم ما كان يتحدث إلى الآخر، وأنهم يصغون إلى شيء يثير اهتمامهم لا بد أن هذا له علاقة بغرسات الترفيه والدعاية السياسية التي أخبرني عنها فارما. تساءلت عمّا كانوا يقولون عنّي، وعن القتال حتى الموت.

رآني فارما أحدّق إليهم وقال: "لا تقلق حيال هؤلاء الحمقى، سنغادر". وأشار إلى نفق يخترق الفناء الإسمنتي أمامنا. نظرت حولي، فرأيت شخصًا ينتظر هناك، إنه دوراند حارس البلوز.

تصلّبت، لكن فارما اقترب مني وهمس بهدوء في أذني: "ربّما يجب عليّ أن أخبرك، إن دوراند واحد منّا".

29 دي



لم أنبس ببنت شفة بعد أن سألني روغان: "هل أنتِ على ما يرام؟". أشرت له بيدي باقتضاب لكي أبعد عنه القلق، "أنا بخير". لم يكن لديّ شيء لأقوله. كان سي مع والدتنا. وأخيرًا، بدأت بعقد السلام مع دارف. كان دارف في الأمام مع مالاخي، وكان قد رأى النظرة على وجهي عندما أدلى بتصريحه، وكان ذكيًا لدرجة أنه تركني لوحدي لكي أمتصّ ما أخبرني به. أُرجح أنه يظنني غاضبة منه مجددًا، ولكن ما فاجأني أنني لم أكن كذلك. كنت مرهقة جدًا، وقلقة من أن أغضب. في الحقيقة، كنت أشعر بالفضول، وتمنيت أن تكون الظروف مختلفة، وأن تتاح لي فرصة أن أطرح عليه بعض الأسئلة بشأنها. كيف بدت؟ هل أُشبهها؟ من المؤكد أنني لا أشبه دارف، فهو داكن الشعر والبشرة، إلا أننا نتشارك لون العيون نفسه. كانت العيون الخضراء أمرًا اعتياديًا، لكنها ليست اعتيادية الآن.

مشيت وحدي صامتة، أُفكّر بسي ووالدتنا. هل كانت مرتزقة مثل دارف؟ هل كانت موافقة على استخدام سي كسلاح، أو كانت مذعورة مثلي؟ لا أزال عاجزة عن سماع سي بشكل جيد في رأسي، فأنا لا أسمع سوى همهمة، وهذا ما طمأنني أنه لا يزال على قيد الحياة. لم يسعني الانتظار حتى أقترب بشكل كافٍ لأستشعر ما كان يشعر به حقًا؛ لا ينبغي أن

يطول الأمر الآن. كنا تحت الأرض، نمشي على ما يسمى *المسار* الذي امتد من حيث بدأنا المشي في *المركز التجاري* إلى المحطة. لم يكن يضيء المسار سوى ضوء خافت منبعث من المصابيح الشمسية التي كان يحملها دارف، ومالاخي، وبعض من جنود الفيراغ. سار روغان أمامي، وبدا جليًا أنه يريد أن يتركني بمفردي لبعض الوقت حتى أُفكر. كانت واجهات المتاجر هنا فارغة أيضًا، إنها مدينة أشباح مخيفة نصف مضاءة. انقضّت الظلال داخل المتاجر وخارجها مع مرورنا بجانبها، حاملين المصابيح كالأشباح، وهذا ما وتّرني. فجأة، ظهرت شخصية ضخمة إلى جانبي. لوهلة، ظننت أنه بلوز، ربما كان ذلك بداية كمينٍ ما، لكنه لم يكن سوى أس-أم.

سألني: "هل-هل أنت على ما يرام؟".

تنهدت: "إنني بخير بقدر ما تتيح لي الظروف التي نمرّ بها، ماذا عنك؟".

هزّ أس- سام كتفيه: "أنا-أنا بخير. أنا قلقٌ ف-فقط بشأن ت-تريك وسي". توقف، ثم انفجر غضبًا: "أنا س-سئمت من القبة. لا ي-يسعني الانتظار حتى تُ-تُدمر بالكامل".

"أنا أعلم". ترددت، ثم سألته بهدوء، "لقد قُتل والدك في القبة، أليس كذلك؟".

هزّ أس- سام رأسه بجدية: "لقد كنت في الت-تاسعة من عمري".

نال منّي فضولي. فسألته: "ماذا حصل؟". بعدها شعرت بالذنب لأنني جعلته يفكّر في هذا الأمر ثم أضفت وبسرعة، "لا تخبرني إن لم تكن راغبًا في ذلك".

"ك-كلا، لا مشكلة. لقد كان هذا منذ وقت ط-طويل. أنا لا أ-أتذكر الكثير عنه، باستثناء أنه كان يقوم د-دائمًا بعمليات ا-احتيال من نوع ما. كان هو ووالدتي يتشاجران دائمًا حول هذا الموضوع، وأ-أنه س-سوف يُقبض عليه في يوم ما. وقد ح-حصل هذا الأمر، وخسر الك-كثير من الأموال. ثم أتى رجال الك-كاسينو لكي يطالبوه بالأموال". لمعت عينا أس- سام في الضوء القاتم.

سألته: "وكان عليه أن يجد طريقة ليدفع فيها الأموال لهم؟".

تنهد سام: "أ-أجل، ح- حاول س-سرقة بعض الأثرياء. وكان هناك ع-عراك ما—وقعت المرأة بين ط-طرفي العراك ب-طريقة ما، وقد دُفعت إ-إلى الأرض، وضربت ر-رأسها. لقد ق-قبض عليه البـ-بلوز. وأُخذ إلى الق-قبة. الرجل الذي كان ي-يقاتله أدخل شفرة خلسة. كان عليّ م-م-مشاهدته ي-ي-يموت".

توقف أس- سام عن المشي لثوانٍ، وبدا التأثر على وجهه.

قلت بهدوء، وأنا ألمس كتفه: "أنا آسفة جدًا، وأنا أريد أن أرى القبة تنهار أيضًا، لكن آمل أننا لن نكون في داخلها لحظة حدوث هذا".

ضحك أس- سام بسخرية، وشاركته الضحك. ثم قال: "كل ما أ-أهتم به الآن هو إنقاذ ت-تريك. أنا مدين له. لقد ساعدني بعد أن توفي و-والدي، ا-اهتم بوالدتي، وق-قام بحمايتنا. لم يكن م-مضطرًا لذلك. إنه صديقي الم-مفضل". قال هذا بقوة، وفخر، وهو يقف وينتفض. ربما كان لديّ بعض الشكوك في داخلي سابقًا، لكنني علمت في هذه اللحظة أن أس-سام كان شخصًا يمكننا الاعتماد عليه مهما حصل لنا.

قلت: "حسنًا، لنستمر بالتحرك. بالمناسبة، لم يسعني إلّا أن ألاحظ أنك تتحدث بشكل... حسنًا، بشكل أفضل. لقد كنت أظن أن موقفًا مثل هذا كان من الممكن أن يجعل الأمور أسوأ".

أجاب أس- سام: "أنا أعلم، أنا م-متفاجئ أيضًا. لكنني أظن أنه بعد الن-نجاة في ليلة مع جيش الف-يراغ، ل-لم يتبقَ ل-لي الكثير لكي أ-أخاف منه".

أكملنا طريقنا صامتين، ونحن نلحق بالالتواءات والانعطافات في المسار حتى أصبحنا فجأة نسمع أصوات الهمس. توقف دارف ومالاخي، أمال مالاخي رأسه إلى جهة وبدأ بالاستماع. قال شيئًا لدارف، ثم استدارا ليواجهنا.

أخبرنا دارف: "إنها تبعد القليل عنّا الآن، كل شخص موجود في موقعه تقريبًا، سنلتقي مع السلطة وحلفائنا قبل أن نصعد إلى مستوى الأرض".

في تلك الأثناء عاد روغان ليقف إلى جانبي أنا وأس- سام: "ألا توجد طريقة ما لكي نصل إلى هناك من دون أن نصعد إلى الأعلى؟ ماذا لو رُصدنا؟".

كلما اقتربنا من البرج، أصبح الأمر أكثر خطورة، فالطريقة الوحيدة التي تتيح لنا الصعود إلى مستوى الأرض من الأسفل هي الصعود عبر ممر عمومي. من الأفضل لنا أن نصعد قبل البرج لكي نتجنب أي حراس. يوجد زقاق خلفي يمكننا المضي عبره؛ إنه ممر قديم يؤدي إلى ساحة القطارات القديمة الخارجة من الميترو. إن بقينا قريبين من

الجدران، ستستحيل رؤيتنا من الأعلى، سنضربهم من الخلف من حيث لا يتوقعون هجومًا. أغلب البلوز الذين لا يزالون موالين للاتحاد سيكونون داخل القبة، يشاهدون العرض، لكننا نعلم أنه سيكون هناك دوريات جوّالة، تحرس الممر العمومي ومدخله".

هزّ روغان رأسه مكرهًا، ثم نظر إليّ. هززت كتفيّ. ثم عاود دارف، ومالاخي، والفيراغ الذين برفقتهما المشي، فلحقنا بهم. استغرق الأمر أقل من دقيقة حتى وصل بنا المسار إلى ممر أوسع، طويل ومنخفض، مع مخارج كلّ بضعة أمتار امتدت في الظلمة. أصبحت الأصوات أعلى فأعلى، ثم مشينا في مخرجٍ من هذه المخارج أدى بنا إلى التقاء مليء بمئات الأشخاص. شهقت ونظرت إلى روغان، كانت عيناه متسعتين. كان أس- سام ينظر برهبة. لم يسبق لي أن رأيت شيئًا كهذا. كان هناك فيراغ بالطبع، لكن مع مقاتلي السلطة يلتفون في الأرجاء، كان من الممكن التعرف إليهم من خلال الرقعات الموجودة على أكمامهم والتي تحتوي على ورقة نبات حمراء. كانت مجموعة دارف الأخرى، ليه كوينز، ترتدي الملابس نفسها، لكن مع رمز آخر إلى جانب ورقة النبات؛ نوع من الورود ثلاثية البتلات، وكانت تقف في جانب من جوانب الردهة العظيمة قرابة خمسين امرأة، يرتدين لباسًا عسكريًا، يزيّن خلفيات قمصانهن شعار الشمس المشرقة، وكانت هناك مجموعة أكبر من الرجال والنساء، داكني البشرة من الشمس لكن شعورهن ذات لون فاتح، تتجمع في النهاية البعيدة للردهة وهم يتحدثون بهدوء.

لقد افترضت من التصميم الذي يحتوي على تاجٍ وحزمة قمح والذي تمت خياطته يدويًا على ستراتهم أنهم الفصيل المتمرد الذي يدعى ذا ويت كينغز. في المقابل، كانت هناك مجموعة أخرى من الأشخاص الذين يضحكون بهدوء، مجتمعين حول رجل بدا وكأنه يُلقي قصة جيدة، يحرك يديه على نطاق واسع، لم يمتلكوا أي علامات مميزة، لكنهم كانوا طويلي القامة جميعًا، يمتلكون العيون الزرق نفسها التي تمتلكها سيريدوين، لذا خمنّت أنهم من ذا روك.

تألفت المجموعة الأخيرة من رجال خشني المظهر ونساء يرتدين معاطف ثقيلة وينتعلن أحذية طويلة، وهي ملابس سميكة بالنسبة للجو في الردهة، لكن لم يبدُ أنهم منزعجون من هذه الملابس. كانوا متوزعين وسط الحشد، يتحركون بصمت، ويحمل كل واحد منهم ما بدا وكأنه جهاز لوحيّ بلاستيكي شفاف يحتوي على الصور، والكلمات، والأضواء. رأيته عندما اقترب أحدهم من بعض أفراد الويت كينغز. ضغط على الجهاز اللوحي وأضاءه؛ أشار إلى شيء، محركًا إصبعه على سطحه، كان يتحدث إليهم وهو يقوم بذلك، ثمّ هزّوا رؤوسهم فيما بدا وكأنه اتفاق، اتجه بعدها إلى مجموعة أخرى. مع هذا النوع من التكنولوجيا، لا بد أنه من الإنوكسوك.

كنت أقف هناك مع روغان وأس- سام، ونشاهد من محيط الردهة، عندما لفت دارف نظري. كان مع شخص مسنّ؛ على الرغم من أنه كان يوليني ظهره، إلّا أنني كنت متأكدة أنه واحد من مجموعة ليه كوينز وهذا بسبب الإشارات الموجودة على كمّ قميصه. كان دارف

يمسك بيده، ويتحدث إليه، بعد ذلك اقتربت واحدة من مجموعة الإنوكسوك منهما مع جهازها اللوحي؛ استدارا لمواجهتها ومن مكاني كنت قادرة على رؤيتها بوضوح. لقد كان الرجل من أحلامي، الرجل ذو الندبة على وجهه والذي سحب المرأة بعيدًا عنّي، شهقت بصوت مسموع من الدهشة، إن كان هذا حقيقيًا، فإن المرأة من أحلامي حقيقية أيضًا. من كانت؟ هل كانت والدتي حقًا؟

نظر روغان إليّ بسرعة. وسألني: "ما الخطب؟ ماذا هناك؟".

"أنا.." لم أعرف ماذا أقول. كنت بحاجة إلى أن أعرف الحقيقة، وكانت هناك طريقة واحدة لمعرفتها فقط. توجهت صوب دارف والرجل الذي كنت أراه في أحلامي. رآني قادمة، نظر إليّ وتجعد جبينه. مع اقترابي، قلت له: "أنا أعرفك".

ثم نظر إلى دارف، الذي قال: "سيغوين، هذه... ابنتي دي".

نظر إليّ هذا الرجل، سيغوين، وقلت، بغضب: "لقد كنت معها في ذلك اليوم، أليس كذلك؟ هل كانت فكرة التخلي عنّا فكرتك؟".

نظر سيغوين إلى دارف وقال له شيئًا بلغة كاباك، فتنهّد دارف وهزّ رأسه، ثم قال سيغوين ببساطة: "كان هذا لحمايتكما، لقد بكت لأسابيع، لا تلوميها هي ووالدك على شيء أصبح من الماضي".

شددت قبضتي غاضبة، من كان هذا الشخص بحق الجحيم، لكي يقول لي شيئًا كهذا؟ استدرت وخرجت من الردهة من دون أن أقول شيئًا، كان الصخب يجتاح دماغي، حاولت الوصول إلى سي بكل طاقتي، إنه يقع الآن ضمن مسافة تسمح لي أن أستشعر كيف كانت

مشاعره، أو أن أكوّن انطباعًا عن شكل والدتنا. في الحلم، سقطت دموعها على وجهي، هل كان هذا حقيقيًا أيضًا؟ ركّزت بشدة، محاولةً أن أُثبّتَ أفكاري، وببطء، بدأت أتلقى شيئًا من مشاعر سي؛ في البداية، كانت عبارةً عن ومضات صغيرة، لكنها بدأت تتدفق بوتيرة أسرع مع الوقت. فجأة، بدا الأمر وكأن أحدهم فتح بوابة سدٍ ما، وأصبح رأسي مليئًا بالغضب حتى ترنحّت من ذلك.

علمت أنه يجب عليّ الذهاب إليه؛ لم أهتم بما قاله دارف، ولا بما كانت الخطة. لقد كان أخي وكان بحاجة إليّ؛ لن أسامح نفسي إن مات قبل أن تسنح لي فرصة رؤيته مجددًا. نظرت إلى الأعلى، ورأيت لوحة على أعلى الممر المقوّس فوقي، لقد كانت صورة باهتة للبرج، مع سهم يشير إلى الأمام. انطلقت، وأنا أركض بشكل أعمى، أسفل القناطر وفي الممرات، أتعقب الموجودة على اللوحات. مع كلّ خطوة أصبح أكثرَ قربًا منه، كان بإمكاني سماع سي في رأسي بوضوح أكبر، وكانت مشاعره تنتقل إلى رأسي، مع صوت متصاعدٍ بشكل كبير لدرجة أنني لم أستطع سماع شيء آخر غيره. استدرت عند إحدى الزوايا، ثم وصلت فجأة إلى منطقة مفتوحة. توقّفت، باحثةً عن لوحة لكي تدلني على الطريق الصحيح، ثمّ ومن خلفي، وبشكل قاطع لنشاز العلامات الموسيقية في رأسي، سمعت صوتًا آخر.

قال الصوت: "ماذا لدينا هنا، يا أولاد؟". عندما استدرت ظهر أمامي أحد البلوز، كان ضخمًا. ثم أكمل "إحدى حثالة العمال الأحرار تحاول التسلل من الباب الخلفي، أليس كذلك؟". ثم انضم إليه بلوز

آخر، ظهر فجأة وبصمت من خلف دعامة كبيرة. اقترب مني، فركضت بالاتجاه المعاكس باتجاه ممر مفتوح، لكنّ حارسين إضافيين ظهرا فأصبحت محاصرة.

وقفت، وأنا أجد صعوبة في التنفس، بحثت حولي عن مهرب، بدأوا يضيقون الخناق عليّ، ضحك كبيرهم وهو يقترب مني، لم يكن لديّ خيار؛ حاولت أن أهرب إلى المكان الذي أتيت منه، لكن البلوز كان سريعًا جدًا. اندفع إليّ بينما ركضت إلى جانبه، فالتقطني من خصري، ثم تعثرنا أرضًا. قال في أذني وهو يسحبني: "أوه، ستدفعين ثمن هذا".

صرخت وتحركت بسرعة، محاولةً ركله، لكنه تحرّك إلى واحد من الآخرين الذي أخرج من جعبته غطاء رأس أسود اللون، وغطى به رأسي، لم أستطيع رؤية شيء، لكنني بقيت أهاجم وأصرخ باضطراب، بعدها صُفِعْتُ وجُررت بعنف، قال البلوز الضخم الذي كان يحملني: "توقفي الآن، وإلّا سأصفعك مجددًا، إلا أنني لن أكون لطيفًا هذه المرة" هدأت، وأنا أعلم أن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن يغمى عليّ، وعندها لن يكون هناك أي فرصة للهرب.

قال أحد الحراس: "هل تظنون أن هذه هي العاملة الحرة التي كان يبحث عنها سايكلوبس العجوز؟". ضحك البلوز الذي يمسك بي بصوت عالٍ. "ربما. لن يضرّنا أخذها إلى هذا الوغد الصغير المخيف، حتى وإن لم تكن الشخص المطلوب، يمكن أن تُعجبه على أية حال، وربما كان في هذا منفعة لنا أيضًا. ابدأي بالمشي". أمرَني، ثم دفعني إلى الأمام. "هناك شخص علينا أن نقابله".

30 سي

صحت بوجه فارما: "هل فقدت عقلك أنا لا أصدقّك. دوراند؟ لقد ضرب تريك، وكسر أضلعه".

هزّ فارما كتفيه: "صدق أو لا تصدق. يؤدي دوراند دوره بشكل جيد، تعتمد حياتنا وحياته على حسن أداء دوره. هل يمكنك أن تتخيل ما يمكن أن يحدث عندما يكتشف أحد أنه عضو في مجموعة ليه كوينز؟ وثِق بي، ضِلع مكسور هو ثمن بخسٌ تدفعه مقابل إسقاط الاتحاد".

أمسك بيدي، ودفعني إلى الفناء الإسمنتي حيث كان دوراند ينتظر، إن لم تكن نظرة التحقير على وجه دوراند حقيقية، فإنه ممثل أفضل من فارما.

همست: "لماذا لم يقل تريك شيئًا؟ كنت متأكدًا أن دوراند سيرمينا من البرج معًا، إن أتيحت له نصف فرصة كان بإمكانه أن يخبرني".

"ويعرّض كل شيء للخطر؟ إن أظهرتَ أي شيء أقلّ من الخوف الذليل، كان سونغي سيعلم بكل شيء في لحظة. لقد كنّا محتاجين لإخراجكما من المنصة بأمان".

كانت السماء صفراء داكنة وتلوح في الأفق عاصفة وشيكة، كان بإمكاني سماع أصوات الرعد في المدى، ونحن نمشي نحو دوراند كان هو

يتحرك صوبنا، وبدا على وجهه الازدراء. قال فارما: "نحن جاهزون".

سألته: "انتظر لحظة. أين تريك؟".

تلفّت دوراند سريعًا إلى جانبي الفناء، ثم صفعني بقوة على رأسي، فدفعني إلى الخلف، وقال بصوتٍ عالٍ: "لا تقلق بشأن صديقك الصغير أيها العامل الحر. ستراه قريبًا جدًا". أمسك بذراعي، وجذبني معه إلى النفق، ومشى فارما خلفنا.

ترك دوراند ذراعي، ثم استدار إليّ بمجرد دخولنا النفق، بعيدًا عن أي شخص يمكنه رؤيتنا أو سماعنا. وقال بفظاظة: "ثاديوس في منطقة الاحتجاز. سآخذك إلى هناك الآن".

لا يزال رأسي يؤلمني من ضربته، لكنني وقفت بشكلٍ مستقيم، لقد عرفت أنني كنت أخاطر بالتعرض لضربةٍ أخرى على جمجمتي لكن فضولي كاد يقتلني. سألته بهدوء: "هل أنت مع المتمردين حقًا؟ هل تعرف... والدي؟".

تفحصني دوراند بنظراته، محتارًا هل يرد أم لا. أخيرًا قال: "نعم".

لم أستطع كبح نفسي، فإذا كنت سأموت قريبًا، فإنني بحاجةٍ إلى معرفة أن الرجل الذي كان يرسلني إلى الموت، استحقّ كل هذا العناء. قلت: "كيف يبدو؟".

تنهد دوراند بنفاد صبر. وقال: "إنه رجلٌ قاسٍ، لكنه طيب القلب، لا نملك الوقت لهذا الحديث". أولاني ظهره، وابتعد بخفة.

أومأ فارما ثم قال بحزم: "اقترب، فقد يرانا شخصٌ ما، يجدر بنا الإسراع".

تبعنا دوراند، في محاولةٍ لمواكبة وتيرته. همست لفارما: "لدي سؤالٌ أخير. لماذا يسمي دوراند تريك *ثاديوس* دائمًا؟ لا أعرف أي شخصٍ آخر يناديه باسمه الحقيقي".

أجاب فارما بصوتٍ منخفض: "إنه نوعٌ من الاحترام، وهو الشخص الوحيد الذي يستطيع دوراند أن يحترمه من دون التخلي عن القضية بأكملها".

شعرت فجأة بتعاطفٍ هائل مع دوراند، لقد اضطر إلى إيذاء شخصٍ كان يهتم لأمره، كان مجبرًا على الحفاظ على مظهرٍ خارجيٍ مقيت من أجل قضيةٍ آمن بها بشكل كامل، سرنا وراءه بضع دقائق أخرى على طول الطريق الخارج من النفق.

كلما صعدنا أكثر، أمكنني سماع قعقعة الحشد الخافتة، وخطوات مكتومة فوق رؤوسنا، وأصوات تتحدث وتضحك بحماسة. مجددًا شعرت بالتوعك في معدتي، حاولت السيطرة على خوفي، ولكن كل ما كنت أفكر فيه هو صراخ الحشد من أجل رؤية الدماء، استدرنا وتوقف دوراند أمام مجموعةٍ من الأبواب المزدوجة، ثم قال بينما كان يفتح الأقفال ويدفعها جانبًا: "ستنتظر هنا". أوقفني قبل أن أدخل وقال بهدوء: "هناك كاميرا مراقبة في الداخل، لا تنقل الصوت، بل الصورة فقط. لا أعرف إن كان أحدٌ يشاهد بالفعل، لذلك يجب أن نتوخّى الحذر للغاية، انتبه لتصرفاتك".

في الداخل، رأيت تريك يجلس منحنيًا على مقعدٍ صغير، هرعت إليه، فنظر إليّ وابتسم ابتسامة شاحبة. لقد بدا أسوأ من آخر مرة رأيته

فيها. جلست إلى جانبه وسألته: "هل أنت بخير؟".

استقام وكبت أنينه، وأجاب: "سأكون بخير. إنه يمتلك قبضة محكمة"، مشيرًا إلى دوراند، الذي كان يقف عند المدخل مستاءً.

قال: "ثاديوس أنا...".

قاطعه تريك ملوحًا له: "أعلم. لقد كان ذلك ضروريًا".

تضخم صدى خطوات الأقدام وطنين الحشد فوقنا، نظرت إلى السقف، وعندما عاودت النظر إلى الأسفل، أدركت أن هناك شاشةٌ سوداء كبيرة على الحائط المقابل لنا.

قال فارما، وقد لاحظ ما كنت أنظر إليه: "سيبدأ العرض قريبًا. ستشاهده من هنا".

تقدم دوراند إلى الأمام، والتقط قرصًا بلاستيكيًا صغيرًا من أحد الرفوف على الجانب الآخر من الباب.

أشار إلينا، وقال آمرًا: "انظرا مباشرةً إلى الأمام"، ثم ضغط على زر على الجهاز اللوحي فأضاءت الشاشة. قال: "حان الوقت ليختار كل واحد منكما سلاحه، لقد ربطت المشاهد بمستودع أسلحةٍ افتراضي، مهما يكن السلاح الذي سيختاره كل واحد منكما من الشاشة، فسيجده داخل القبة".

ظهرت صورةٌ على الشاشة؛ سكينٌ من نوع ما. أشار فارما إلى الشاشة قائلًا: "إن هذا خنجر، بسيطٌ لكنه قاتل، وهو فعالٌ جدًا في القتال القريب، له نصلٌ مسننٌ صغير بالقرب من المقبض لسفك أكبر قدرٍ من الدماء".

تغيرت الشاشة مرةً أخرى لتظهر قفازًا غريب المظهر مزودًا بمسامير. قال فارما: "آه. أما هذا فهو سلاح كلاسيكي للغاية، يُعرف باسم قفاز المسامير، لطالما استخدمه المصارعون القدامى. مثاليٌ لتهشيم جمجمة خصمك". بدا تريك متوترًا، وشعرت بالدم ينزف من وجهي.

ضحك فارما قائلًا: "هيا يا شباب! عليكما أن تقدما للجمهور شيئًا يصرخون من أجله". وتابع عندما ظهر السلاح التالي. لقد كان سلاح الليزر، فشعرت بدفقة من الأدرينالين.

قال: "هذا ليس شيئًا نقدمه عادةً، ولكنه أُضيف خصيصًا لك يا سي، من الواضح أن لديك بعض الخبرة في استخدام هذا السلاح، وفقًا لما قاله الملازم جوف العزيز. لقد كان شديد الإصرار على أن نضعه في الترسانة". جلست ولم أقل شيئًا، ازداد توعك معدتي، استخدمت سلاح الليزر للمرة الأخيرة في اليوم الذي أقسمت فيه أنني لن أمارس العنف مجددًا. لقد تمكن سونغي أن يسخر مني من خلاله الآن.

قال: "حسنًا يا سي، ما رأيك؟ هل ترغب بقطع أطراف الرجل الصغير هناك؟".

مدّ ذراعه بشكلٍ مبالغٍ به من أجل الكاميرا، فحدقت إليه. ثم قال متابعًا: "حسنًا، التالي..".

قاطعه تريك قائلًا: "أعط كلًا منا شفرة وحسب". أومأت بموافقة صامتة.

قال فارما: "كما تشاء، ستفي الشفرة بالغرض، ستضيء شاشة الحائط بمجرد أن يبدأ العرض، لن تكون قادرًا على سماع أي تعليق من دون شرائح البروباغندا الترفيهية، ولكن ضجيج الجمهور سيصل إلى هنا، سنعود بعد قليلٍ لنأخذكما".

استدار ودوراند ليغادرا، تردد الأخير عندما وصلا إلى المدخل بعيدًا عن مجال الكاميرا. نظر إلينا وقال: "أنا أرفض". بالكاد أومأت له، بعد ذلك توارى في النفق المظلم.

نظر تريك إليّ بحدة، وشرع يقول: "لا"، لكني قاطعته.

قلت: "هذا يكفي، لن يموت أحد منا اليوم، استمع الآن فلديّ الكثير لأخبرك به".

نظر إليّ بفضولٍ شديد وسألني: "هل هذا صحيح؟ هل كانت تلك والدتك؟".

سردت له قصة أحداث الأمسية السابقة، تحدثت بسرعةٍ وهدوء عما أخبرتني به فرانس، وما يتوجب عليّ فعله. عندما انتهيت، بدا تريك شارد الذهن.

قال: "الآن، بدأت الأمور تتضح، لهذا السبب لم يتحدث أحد عنها، فلن يتمكن أحدٌ من التعرف إليها إذا كانت متخفيةً جيدًا، خاصة أنك ودي لا تعرفانها".

قلت: "إليزيا هو اسم دي الحقيقي، وأنا أدعى نيكو".

رفع حاجبيه وقال: "قد يستغرق الأمر بعض الوقت لأعتاد على ذلك".

كنت على وشك الرد بـ: "وأنا أيضًا".

فجأةً، صدر صوتٌ عالٍ من فوقنا، وأضاءت الشاشة مجددًا، استدرتُ وتريك لنر ما يُعرض عليها، كان مقدم الأثرياء الرئيسي يظهر في لقطةٍ قريبةٍ على الشاشة، وظهرت صورة غير واضحة للمئات وربما الآلاف في الخلفية. من خلال فتحة السقف، بدت السماء الواسعة أكثر ظلمةً وملبدةً بالسحب الكبريتية، يمكنني أن أتخيل هديرها المشؤوم رغم أنني لا أستطيع سماعه.

رأيت المُقدم يتحدث، ولكنني لم أسمع صوته، لقد كان ذا رأس أصلع تغطيه الوشوم، ويرتدي بلوزةً خضراء اللون. كان يتحدث بحماسة شديدة، مشيرًا إلى الجماهير خلفه، ويضحك بشدة الأمر الذي جعل جبهته تتجعد، ثم ظهرت على الشاشة صورة لثلاثة ثنائيات: رجلان، أحدهما بدا كبيرًا في السن، ومراهقتان يعتلي الخوف ملامحهما، ورجلٌ وامرأة، بدوا أعضاء في عصابة الأطفال الموتى، سُلّطت الأضواء على الثنائيات الواحد تلو الآخر، بدا أن مُقدم الأثرياء يخبر الجمهور عنهم، وفي كل مرةٍ كان الجمهور يهتف بصرخات مكتومة. تمنيت لو أنني أسمع ما يقوله، لأتعرف إلى الجريمة التي قادتهما إلى هنا، لا بد أنها كانت سرقةٌ؛ فقد كان الشاب من عصابة الأطفال الموتى مبتور إحدى اليدين، وهذا يعني أنه سبق له أن سرق.

بينما كنت أحول توقع من سيفوز في كل نزال، ظهر ثنائي جديد على الشاشة، فأصبح الجمهور أكثر حماسة وبدا جامحًا للغاية، ثم ظهرت على الشاشة صورتي وتريك التي التقطها لنا دوراند بواسطة

الحاسوب اللوحي، كان وضع الشريحة مفيدًا لكي نتمكن من سماع ما كان يقوله مقدم الأثرياء الآن.

ثم اختفت الصور، وعاود المقدم الظهور، وقد زاد حماسه إلى حدٍ أكبر من ذي قبل حيث بدأ آلاف الناس فوقنا يضربون بأقدامهم. أظهرت الشاشة لقطة لأرضية القبة. ظهر الرجلان، ووقف كل واحد منهما عند أحد جانبي الميدان، ظهرت صورة قريبة ثم بعيدة لهما، ورأيت وتريك الرعب على وجه الأكبر سنًا.

ثم ظهرت صورة بعيدة تظهر أكثر ما يمكن إظهاره من الميدان، فظهر الشخص الآخر المشارك في النزال متأهبًا، وبدا من ملامحه أنه روسي، عندها شرع الشخص الأول- الأكبر سنًا- بالركض، فصدحت ضحكات الجماهير وصرخات استهجانهم، ولكن الروسي كان أكثر سرعة، فأمسك بخصمه، وطرحه أرضًا، وجلس على صدره، أظهرت الشاشة لقطة للمُقدم، الذي بدا فرحًا وهو ينظر باهتمام، عندما أظهرت الشاشة مجددًا صورة الثنائي، بدا الأكبر سنا وهو يعاني أسفل الروسي، أظهرته لقطة قريبة وهو يبكي، وكأنه يتوسل خصمه كي يفلته، ولكن الأخير جلس بهدوء ينظر إلى الأمام، وقد عقد ذراعيه أمام صدره العامر، متجاهلًا التوسلات، بدا لنا أن الجماهير تهتف بشيءٍ مثل: "اختر، اختر، اختر، اختر!". أخيرًا، ركض اثنان من الحراس إلى الميدان، وسحبا الروسي واقتاداه بعيدًا، تاركين الأكبر سنًا ملقىً على الأرض، بذل قصارى جهده ليقف، وكان يبكي. فجأة نظر برهبة إلى إحدى الجهات، حيث ظهر على الشاشة أحد البلوز وهو يحمل طاولةً صغيرة ذات سطحٍ

خشبيٍ سميك وملطخ، ثم أظهرت الشاشة حارسًا آخر من البلوز يحمل شيئين مختلفين في يديه، ودنا من الأكبر سنًا.

سألتُ تريك، ولم أكن واثقًا أنني أريد أن أعرف الإجابة: "ماذا سيحصل؟".

أجابني: "حصل على منشار عظم وليزر كي، المنشار لإرضاء المتعطشين للدماء من الجماهير، والليزر ليبقى على قيد الحياة حتى يكون بمثابة عبرة للآخرين، لم يكتشف هؤلاء الحمقى بعد أن القبة ليست رادعة"، وتابع بازدراء: "لقد جعلوها رمزًا للقمع يستحق التدمير".

بينما كان تريك يتحدث، بدأ الرجل الأكبر سنًا في الابتعاد عن الحارسين، وهو يبكي بشدة، وقد جحظت عيناه من الخوف، لكنهما أفلتا ما كانا يحملانه وأمسكا به، ورفعاه في الهواء، وألقيا به على الطاولة، ثم سألاه عن شيءٍ ما، فهزّ رأسه بقوة.

تململ أحدهما، فثبت ذراع الرجل إلى سطح الطاولة التي أدركت للتو أنها ملطخة بالدماء، عندها التقط الحارس الآخر المنشار، وشرع ينشر يد الرجل، تطايرت الدماء في كل مكان، وصاحت الجماهير بفرح عندما اقتربت الكاميرا من وجه الرجل الذي يصرخ، ثم ظهرت على الشاشة لقطة مقربة للمنشار وهو يقطع العظام.

اعتقدت أنني سأتقيأ وامتلأ رأسي بالرعب حتى اعتقدت أنه سينفجر، عندها شرعت الأرض تهتز، فرفع تريك يده وصرخ أعلى من ضوضاء الجماهير فوقنا: "توقف! إذا أسقطت القبة الآن، فسنسحق تحتها!".

تنفست بعمق، وحاولت تهدئة نفسي. كان تريك محقًا، لم يكن هناك فائدة من فعل أي شيء قبل أن نصبح بأمان في وسط الميدان. بنيت جدارا ذهنيًا بكل ما أوتيت من قوة، وكنت آمل أن تخفي أصوات الجماهير أي اهتزازات قد لا أتمكن من كبحها. شاهدنا الثنائي التالي، تعاركت الفتاتان الصغيرتان بصمت، ثم وقفت الخاسرة بقوةٍ وشجاعة، واختارت يدها أيضًا، وصرت أسنانها من شدة الألم حتى أغمي عليها. بدت الجماهير أكثر هدوءًا هذه المرة، ولكنها ما لبثت أن هدرت عندما دخل الثنائي التالي الحلبة؛ إنه الثنائي الذي اعتقدت أنه جزءٌ من عصابة الأطفال الموتى، تعاركا بشراسة، وفي النهاية، تغلبت المرأة على الرجل بعد أن لكمت وجهه وأفقدته الوعي، ولكن عندما حاول الحراس إبعادها عنه، أفلتت منهم، وركضت نحوه، واحتضنته وانتحبت، دفع رأسه في شعرها، وقال شيئًا ما، عندها سحبها الحراس، وعرضت الشاشة صورة واسعة للميدان، كان وجهه مليئًا بالغضب عندما أومأت بشكل وقح للجمهور بيده المتبقية، ثم أشار إلى عينه. فانتشى الحشد من شدة الإثارة.

عندما فُتح الباب، أشحت بوجهي غير راغب بمشاهدة المزيد، وقف فارما ودوراند بالباب، وبدت عليهما الكآبة. قال فارما بهدوء: "لقد حان الوقت، تسلحا بالقوة".

اقتادانا عبر النفق إلى مفترق طرق حيث افترقنا. قال تريك وهو ينقر على رأسه بإصبعه مرة أخرى: "أراك في الميدان". أومأت موافقًا، وشعرت بالتوعك في معدتي، وجف فمي من شدة الخوف. مشينا إلى

نهاية النفق، وكلما اقتربنا من نهايته ازداد الضجيج، توقفنا وقال فارما: "أنت وحدك من الآن فصاعدًا، يجب أن أنضم إلى الآخرين".

قلت: "شكرًا، شكرًا على كل شيء". ابتسم لي، وتنفس بشدة، ثم عاد إلى الطريق الذي أتينا منه، وتركني وحدي. ترددت للحظة، ثم خرجت إلى النور، صاحت الجماهير عندما رأتني، من حيث أقف استطعت رؤية تفاصيل وجوه الجماهير، وكلهم يصرخون مطالبين برؤية القتل، بالكاد استطعت رؤية تريك ينتظر بعيدًا عبر الميدان. عرضت شاشةٌ عملاقة تعلونا صورتي وتريك تلك الصورة التي سبق لنا أن رأيناها على الشاشة المعلقة على حائط الغرفة. فجأة دوى صوتٌ عالٍ عبر الميدان: "أيها المتقاتلان، انتقيا أسلحتكما" نظرت حولي، ورأيت حاملًا عليه النصل الذي اخترته، وفي الوقت نفسه التقط تريك نصله، شرعنا ندنو من بعضنا ببطء، وقد خيّم الصمت على القبة، لم يعد هناك من صوت مسموع سوى صوت قصف الرعد، لن يمضي وقت طويل قبل أن تبدأ العاصفة.

أخيرًا، التقيت وتريك في منتصف الميدان، بدا الحشد وكأنه يحبس أنفاسه في انتظار إشارةٍ من نوع ما، ثم جاءت الإشارة مع ارتفاع الصوت مرة أخرى: "ابدأا".

تبادلت وتريك النظرات وقال: "بغض النظر عما سيحدث، لقد تشرفت بمعرفتك. هل أنت متأكد؟".

أجبت: "نعم. عند رقم ثلاثة. واحد، اثنان، ثلاثة...".

ألقينا سلاحينا، واستدرنا لمواجهة مقصورة كبار الشخصيات، وصرخنا في الوقت نفسه: "أنا أرفض!".

دوى الصوت عبر القبة بأسرها، حتى أعلى المقاعد. شهقت الجماهير، وتمتمت.

ارتد الصوت مرة أخرى: "قاتلا أو ستموتا".

صرختُ وتريك مرة أخرى في انسجام تام: "أنا أرفض".

بدأت أولى قطرات المطر الحارة تهطل بغزارة.

قال تريك: "لقد حان الوقت. افعلها الآن" بدا القلق على وجهه، وبدأت الجماهير تطلق صيحات الاستهجان. تركتُ الجدار في ذهني ينهار، وحاولتُ التركيز، لم يحدث شيءٌ باستثناء اهتزاز بالكاد ملحوظ.

صرخ تريك على الجماهير: "ما الخطب؟!".

صرخت مجددًا: "لا أعلم". لكني كنت أعلم؛ لم يسبق لي أن كنت خائفًا ومرعوبًا مثل الآن. لست خائفًا مما يريدني أن أفعله، بل خائفًا لأنني إذا فعلت ذلك، فسأخالف العهد الذي قطعته على نفسي، فأنا لم أكن أستخدم يديّ وحسب لارتكاب أعمال عنف هذه المرة، بل كنت أستخدم كياني بالكامل، سيموت كثيرون، وهذا يناقض كل ما كنت أؤمن به، بشأن الشخص الذي حاولت أن أكونه جاهدًا خلال العامين الماضيين.

صرخ: "قم بذلك الآن". ثم حدق إلى وجهي بشدةٍ، واقترب مني ممسكًا بأضلاعه، وتنفس بصعوبة، وهمس بيأس: "أرجوك، وإلا فسيذهب كل شيءٍ سدى".

لقد كان تريك محقًا، فكّرت في والدتي، وفي دوراند، وفي بكل الأشخاص الآخرين الذين ضحوا، وفعلوا ما لا يمكن تصديقه حتى

نصل إلى هذه اللحظة، فنحيت مخاوفي وشكوكي جانبًا لمرةً واحدةً وإلى الأبد. ضاعفت من جهودي، وركّزت على غضبي، والغضب الذي شعرت به تجاه دور العمل، والجوع معظم الوقت، واضطرار دي للسرقة والمخاطرة بنفسها، والحماة والأوصياء الذين تركونا نتدبر أمرنا بمفردنا، والأهم من ذلك كله، فكّرت في سونغي، ووجهه الساخر، وما قرأته من تصرفات دي منذ سنوات عديدة. في البدء، بدأت الأرض تهتز ببطء، ثم أخذ الاهتزاز يزداد حدة، رأيت الجماهير القلقة، وما لبثت أن اهتزت القبة، وانشقت الأرض تحت قدمي وأخذت ترتفع، وأخذت جدران الطوابق العليا تتهاوى بعد أن انهارت أرضياتها.

نظر الأثرياء من الجماهير حولهم قبل أن يبدأوا بالتدافع فوق بعضهم ليبلغوا أرض الميدان.

رأيت قطعة إسمنت تطير وتصيب أحد الرجال، فانهار أرضًا ولكنه لم يمت، سيطر الغضب والألم على رأسي، بدا الخوف على تريك الذي يقف أمامي حيث انهار جزء من السقف وتدلى، وتساقطت أجزاء منه على الميدان حولنا، ثم ما لبث أن ضحك في تناقض ظاهر مع صوت الصراخ والدمار، ورفع ذراعيه إلى الأعلى، تساقطت الأمطار الساخنة، وفجأة ظهر وميضٌ أحمر، وسقط تريك على الأرض، يتلوى من شدة الألم.

نظرت نحو مصدر الضوء الأحمر وشهقت، فرأيت سونغي في المقصورة العليا، وفرانس ملقاة خلفه على الكرسي، وكان يحكم قبضته على رقبة شخص ما؛ إنها دي ركضت صوب المقصورة، فانحنى

سونغي إلى مكبر الصوت ودوى- صوته - مرةً أخرى: "توقف عن تحطيم قبتي، ولن أؤذي أختك الجميلة. وإذا لم تتوقف سأقتلها، وسأحتفظ بها لنفسي. في كلتا الحالتين، سأفوز. انتشر العديد من الحراس في البرج، لقد خسرت حتى قبل أن تبدأ". مرر أصابعه من خلال شعر دي الطويل، ثم أمسك به بقوة، وجذب رأسها إلى الخلف، أصبحت أسفل المقصورة مباشرةً. ابتسم في وجهي، ثم انحنى وقبّل جبينها، وأبقى شفتيه على جلدها. قاومته بشدة، وبصقت عليه، فأفلت شعرها، لكنه لا يزال يحكم قبضته على عنقها على الرغم من محاولاتها للإفلات.

صرخت مجيبًا: "كلا، لديك خيار بسيط، أطلق سراحها وإلا سأشطرك إلى شطرين". لا أعلم إن كان هذا ممكنًا، لكنني تخيلته ينفجر من الداخل، وأعدت تركيز طاقتي، تحطمت النافذة الزجاجية في الغرفة العليا، وفجأة جحظت عينا سونغي، ورأيت دي تفر منه، ومجددًا انبثق ضوءٌ أحمر من الغرفة العليا مجددًا.

31 دي

كنت أفعل ما بوسعي لأبقى هادئةً، ولا أسبب مشاكل، أمسك الحارس الذي قبض عليّ بذراعي، وسحبني معه، وشدني بقوة فتعثرت، كان ملمس يده على جلدي يجعلني أريد الصراخ، وكنت أعض شفتي تحت القلنسوة السوداء، يوترني جهد الحفاظ على تماسكي، ثم بدأوا بالجدال بعد ذلك.

تذمر أحدهم: "هذا ليس منصفًا. أظن أننا يجب أن نجرب *البضائع* أولًا".

صرخ الحارس الذي كان يمسك بي في وجهه: "كلا! لدينا أوامر". اشتدت قبضته على ذراعي، وعضضت شفتي بشكل أقوى، لأسحب الدماء.

أضاف أحدهم: "بربك يا لافوند، لن يعلم سايكلوبس الكهل بذلك". كان يسخر منه هو والحارسان الآخران. ارتخت قبضة لافوند عن ذراعي بعض الشيء بينما بدا أنه يفكر في الأمر. ثم بدأ حديثه قائلًا: "حسنًا...". استغللت تشتت ذهنه المؤقت، وحررت نفسي، مزقت قلنسوتي، ولذت بالفرار، رأيت نفقًا في الأعلى، فاتجهت إليه مسرعة، لاحقني الحراس بسرعة، وصرخوا عليّ وهم يلحقون بي.

صرخ لافوند عليهم: "أيها الحمقى! لن أتحمل المسؤولية إذا فقدناها".

أوشكت الوصول إلى النفق حين سمعت صوت شيءٍ يعمل للتو. ثم صُعقت من الخلف، وشعرت بالخدر في كل جسدي، ووقعت أرضًا.

سمعت لافوند يقول: "رائع. كيف يفترض بنا أن نفسر هذا؟!". بدا أنه يتكلم من مكان بعيد، ثم تحول كل شيءٍ إلى سواد.

لم أكن متأكدةً كم من الوقت قد مرّ عندما فتحت عينيّ مجددًا، كنت أجلس على كرسيٍ معدني بارد في وسط غرفةٍ مظلمة، وكان هناك ضوءٌ قوي مصوب نحو وجهي، فلم أستطع الرؤية، حاولت الوقوف، ولكنني أدركت أن يديّ وقدميّ مثبتتان على الكرسي بأصفاد اللوبوت، حاولت شدّ الأصفاد وسحبها، لكنها كانت ضيقةً للغاية، ثم سمعت صوتًا.

"حسنًا، أليست هذه مفاجأةٌ جميلة!". بدا الصوت منخفض الطبقة شريرًا ومألوفًا، لكنني لم أستطع رؤية صاحبه، كان الضوء الذي يعميني شديد السطوع، حاولت أن أرى، لكن من دون طائل، تابع الصوت: "كنت أتساءل إن كنت سأراكِ مرةً أخرى... لقد مر وقت طويل منذ ذلك اليوم حلوى *للحلوة* أتذكرين؟".

شعرت بالرعب والدوار عندما عرفت صاحب الصوت، وتمنيت من كل قلبي أن أجد سي، لكنني لم أستطع الشعور به. كافحت بشدة لأتخلص من أصفاد اللوبوت، فاكتفى سونغي بالضحك وقال: "لا تحاولي، إنها مشفرة. أنا الوحيد القادر على إطلاق سراحك، ولا نية لي في ذلك". استطعت سماع صوت حذائه ينقر على الأرض.

انطفأ الضوء الساطع، وخيّمت العتمة، ثم أضاء سونغي مصباحًا شمسيًا ووقف في وهجه. شهقت عندما رأيت أحد جانبي وجهه المليء بالندوب الباهتة، وكان هناك وميضٌ أحمر في الضوء الخافت كما لو كان هناك نوع من الأجهزة حيث كانت عينه. كنت أعلم أن سي ألحق به ضررًا، لكنني لم أكن أعرف التفاصيل، ولم أرغب بذلك. عندما غادرت المستوصف، كان قد أُرسل إلى الشمال.

همست بخوف: "ماذا تريد؟".

استند إلى الحائط، وجمع ذراعيه أمام صدره، ونظر إلى السقف، وبدا أنه يفكّر في السؤال الذي طرحته عليه ثم قال: "همم. من أين أبدأ؟". حدقت إلى وجهه، وازداد الدوار سوءًا، أخيرًا قال ببطء وبشيء من المرارة: "أولًا، أعرف كل شيءٍ عن الخطة التي وضعتها أنت وأصدقاؤك الصغار، ولسوء الحظ، تتعارض خطتك مع خطتي. وهو أمرٌ مزعجٌ بشكلٍ رهيب. كنت على وشك اغتيال القائد الإقليمي والسيطرة على مقاطعة تريليوم، فأتيتِ أنتِ والدومينيون لتدمير كل شيء، ولولا ذلك لكنتُ سيد القبة، وكان والدي سيتقبلني أخيرًا، ويعيدني إلى المنزل بدلًا من تركي لأعيش منبوذًا في هذه الأرض القاحلة الفاحشة. لكن الآن...".

قلت بهدوء: "لقد فات الأوان. سيدمرون كل شيء".

فجأةً صاح: "أعلم ذلك"، ابتعد عن الحائط، وتقدم صوبي، وانحنى فوقي، ووضع إحدى يديه على ذراع الكرسي، ارتجفت عندما شعرت بحرارة جلده، تنفس بحدة، وقرّب وجهه من وجهي وهمس:

"إنهم يريدون من أخيك أن يدمر كل ما بنيته ويجعلني سيد الهباء، لكني أريد الحصول على القبة، وسأحصل عليها، البلوز في طريقهم إلى البرج الآن. يمكنك القول إنني أعد لهم نوعًا من حفلة استقبال إن أردتِ تسميتها كذلك".

أغمضت عيني، وابتعدت عنه، لا بد أنه شعر بخوفي واشمئزازي، لأنه استقام وابتعد، وأولاني ظهره، وقال بمرارة: "يعتقد أخوكِ أنه في غاية الذكاء، ولكن اسمعي.. يمكنه أن يفعل ما يحلو له، ولكنه إذا حاول تفجير القبة، فسأقطعك إلى قطعٍ صغيرةٍ جدًا أمام عينيه. سيعرف... "قد ارتفع صوته، بنشيجٍ غاضبٍ بدا وكأنه يمزقه، "سيعرف والدي من أنا!".

في تلك اللحظة، بدا لي أن مسًا من الجنون أصابه، جنون ناجم عن احتقار الذات وفسادها، وهذا ما ضاعف من رعبي، همست متجاهلةً ما قاله للتو: "ماذا ستفعل؟".

استدار وقال ببراعة: "أعتقد أن الوقت قد حان للمّ شمل الأسرة. عندما يراكِ سي.. آه، عندما يرى تلك النظرة على وجهي سيدرك أن قوته لا تعني شيئًا!".

قلت بغضب: "أنت لا تعلم ما يمكنه أن يفعل".

قال مستمتعًا: "في الواقع، أظن أنني أعلم، ولا يمكنني الانتظار حتى أوقفه، تخيلي كم سيكون والدي فخورًا، عندما أنقذ القبة، وأنهي التمرد".

صمت، وحدق إليّ مطولًا قبل أن يتابع: "هل تعلمين كيف اكتشفت خطتكم؟ إنه صديقكم تريك".

صرخت بصدمة: "أنا لا أصدقك".

هزّ سونغي كتفيه وتابع: "حسنًا، لقد كنت أعرف بعض الشيء عن الخطة من خلال أحد الجواسيس، لكن كل شيءٍ اتضح بفضل تريك، لم يكن الأمر سهلًا، كما تعلمين. لقد عذبته، وأمرت بكسر ضلوعه، وكل أنواع الأشياء، ولم ينطق ببنت شفة. حتى أنني أرسلت جاسوسي إلى المنصة، فقتله، عندما رماه من أعلى البرج، توليت الأمر بعدها، وعذّبته بطريقتي الخاصة الفريدة، ومع ذلك، رفض التحدث، بغض النظر عما فعلته به، هل تعرفين لماذا تحدث في النهاية؟".

هززت رأسي غير مصدقة. ضحك سونغي وقال: "قلت له إذا لم يخبرني بما يخطط له الدومينيون، فسيشاهدني وأنا أقطع أوصال أخيك ببطءٍ. لم أكن أهدد، بل عنيت كل كلمة قلتها، وكان واثقًا من أنني أعني ما أقوله، فاعترف بكل شيء، كانت المرة الوحيدة التي رأيته فيها يبكي". توقف وتنهد. ثم تابع: "على أي حال، كنت سأقتله على الفور، ولكن، من أنا حتى أحرم الجمهور من تسليتهم؟".

صرخت في وجهه قائلة: "أنت مجنون".

ابتسم بتكلف: "كلا، كلّ ما في الأمر أنني شخص عملي، فبمجرد أن علمت بمجيء أخيكِ، رتبت لمباراة الموت، لأنني كنت واثقًا أنك ستأتين متسللةً. سمه القدر، سمه الحظ، أطلقي عليه ما تريدين، ولكنني لطالما علمت في أعماقي أننا سنلتقي مجددًا. بالطبع، اعتقدت أنها ستكون حفلةً لشخصين، ولكن تبين لي أنك لن تكوني ضيفتي الوحيدة، بل سيرافقك جيش من الضيوف، وأحدهم مميزٌ للغاية". فك أصفاد

اللوبوت عن معصمي وكاحلي، لقد كنت حرةً، وحاولت القفز عن الكرسي، لكنه رفع يده مانعًا إياي.

قال: "لا تحاولي التصرف بسخافة". ومضت عينه، فانطلق شعاعٌ من الضوء الأحمر، واصطدم بالكرسي فثقب المعدن، حدقت إلى الكرسي فزعة، فأدركت أنه إذا فعل ذلك بالمعدن فما عساه يفعل بجلدي؟ لم يكن لديّ خيارٌ سوى مجاراته، على الأقل في الوقت الحالي.

فتح الباب، وقادني إلى ممرٍ طويلٍ مفتوح، كنت أسمع ما بدا من بعيدٍ وكأنه هتاف الجماهير. سألت مصدومة: "هل نحن في القبة؟!".

بدا مندهشًا، وهو يشير إلى الممر ويسألني: "أين كنت تعتقدين أننا كنا؟ إن هذا الطريق يؤدي إلى أفضل المقاعد".

مشينا عبر الممر، فازداد هتاف الجماهير، وخيّم الذعر على تفكيري، نظرت إلى أسفل نحو الميدان، لكن سي لم يكن هناك، رأيت رجلًا وامرأة يتعاركان بوحشية، أمسك الرجل المرأة من شعرها، وضرب رأسها بالأرض، اشمأززت ونظرت بعيدًا، وحاولت التواصل مع سي، لماذا لم أستطع الشعور بسي؟ يجب أن يكون هنا في مكان ما! كانت السماء مظلمة لأن عاصفة كانت على وشك الوصول، وكان بإمكاني سماع صوت الرعد يقترب. دفعني سونغي عبر مجموعة من الجماهير الأثرياء، الذين يصرخون ويهتفون وهم يشاهدون العراك في الأسفل.

أشار إلى المقصورة العليا. وقال: "سنتوجه إلى هناك". بسرعة أفسح لنا الجمهور الطريق، عندما رأوا زي الملازم مدير دور العمل

الرسمي، أخفض أحد الرجال رأسه المحلوق والموشوم باحترام بينما مررنا، ونادى آخر: "عرضٌ رائع!".

عندما وصلنا إلى المقصورة، دفعني، وأغلق الباب خلفنا. كانت هناك امرأةٌ تقف بجانب النافذة، عند سماع صوت الباب، استدارت لتواجهنا، واعتلت الصدمة ملامحها، حدقت إليّ مصدومة، كانت المرأة التي أراها في أحلامي موجودةٌ أمامي. ضحك سونغي وقال لي مشيرًا إلى المرأة: "أعتقد أن التعريف ضروري. إنها عزيزتي القائدة، فرانس دولاك".

نظرت إليّ، وجحظت عيناها الخضراوان وقالت: "ما الذي يجري أيها الملازم؟! لماذا لست في البرج؟".

دفعني سونغي نحو كرسي وقال: "اجلسي".

جلست، واستدرت لأرى المرأة. سألها: "هل تعرفين هذه الفتاة؟ التقيت بها منذ عدة سنوات، في دار العمل حيث تخلت عنها والدتها". شدد على كلمة *والدة* وابتسم بخبث.

اتسعت عينا المرأة وهمست: "إليزيا؟".

قال سونغي بصوتٍ مليءٍ بالرعب الساخر: "حسنًا، هل تعرفينها؟ يا للأسف، أيها القائد. إن افتقارك إلى الولاء أمرٌ مذهلٌ حقًا!". رمقته المرأة، فرانس، بنظرةٍ حادة، واستعدت لتوبيخه عندما قاطعها قائلًا: "أوه، دعكِ من هذا، أعرف كل شيء عنك وعن مؤامرة الدومينيون، كنت سأغضب لو لم أكن قد خططت لقتلك بالفعل".

تراجعتْ خطوةً إلى الوراء، محاولةً ترك أكبر مسافةٍ ممكنة بينها وبين سونغي داخل المقصورة العليا.

ضحك سونغي بشدةٍ وقال: "من الواضح أنني لن أفعل ذلك الآن، لأنني قد أحتاج إليك رهينة، لذا ابقيِ في مكانك، وإلا سأضطر إلى إحداث ثقبٍ فيك". تحرك نحو النافذة وقال: "دعونا نرى ما يحدث أدناه". حدقت فرانس إلى وجهي متسائلةً، ثم سمعت صوتها في رأسي تقول: "لا تتفوهي بشيء، إذا كنت تستطيعين سماعي، أغمضي عينيك".

أغمضتُ عينيّ بسرعة، وفتحتهما مجددًا، عاجزة عن قول أي شيء، لم يلحظ سونغي ذلك، لأنه كان مشغولًا بما يُعرض على الشاشة العملاقة فوق الميدان. انتهى القتال، ومن المدهش أن الرجل الخاسر كان يشير إلى عينه بينما كان الحشد غاضبًا. صفق سونغي بيديه بفرح وقال: "أوه، عين. أنا بالتأكيد أعرف كيف يشعر والفضل يعود لأخيك العزيز". نظرت إلى المرأة. فرانس دولاك. التي هي والدتي. ملأ صوتها رأسي مرةً أخرى: "هل يمكنك الرد؟".

ركزّت وفكرّت، ثم قلت: "لا أعلم". لكنها ابتسمت، وأومأت برأسها مرةً واحدة، لذلك لا بد أنها سمعتني.

قالت: "استمعي بعناية، يجري كل شيء كما هو مخططٌ له، لم يكن مخططًا أن تكوني هنا، لكن يمكننا الارتجال..".

سألت بحدة: "أين سي؟!". لم أكن أقصد إرسال الفكرة بقوة فتراجعت قليلًا.

ألقتْ نظرة خاطفة على سونغي، الذي كان يصفق مع الجماهير بينما قاد الحراس الرجل بعيدًا وهو يمسك وجهه ويئن. قالت: "إنه هنا. إنه على ما يرام. ويعرف ماذا يفعل.." شعرت بالاشمئزاز. فقالت لي:

"لم يسبق لي أن كنت قريبة منه إلى هذا الحدّ، إن عقله شرٌ مطلق".

التفت سونغي إلينا غافلًا وابتسم. قال: "لقد حان الوقت". بدا وكأنه بالكاد يستطيع تدارك حماسته.

سألته: "حان الوقت ماذا؟"، فأدركت بعد ذلك أن الخصمين الجديدين نزلا إلى الميدان، عرضت الشاشة العملاقة وجهيهما، إنهما سي وتريك جنبًا إلى جنب، بدوا متباينين بشكل واضح أحدهما طويلٌ، خفيف الشعر، والآخر قصيرٌ وأسمر، لم يكن هناك شيء مشترك بينهما سوى الضعف والإرهاق.

كانت شفة تريك مشقوقة ونازفة، وكان أحد جانبي وجه سي متورمًا، وظهرت الكدمات البنفسجية الداكنة بوضوح على بشرته التي تعرضت لحروق الشمس، حاولت التواصل معه، لكن بدا الأمر وكأنني أصطدم بجدارٍ من الطوب.. لا شيء! كان هناك وحدة تحكمٍ صغيرة أمام نافذة المقصورة، انحنى سونغي إلى مكبر الصوت المثبت عليها ودوى صوته: "أيها المتقاتلان، خذا سلاحيكما".

خفق قلبي بسرعة، وتواصلت مع فرانس: "ألا تستطيعين إيقاف هذا؟! أرجوكِ". لكنها هزت رأسها بخفة وردت: "كلا. إنه جزء من الخطة، بل هو أهم جزء منها، ينتظر الدومينيون وحلفاؤهم في الخارج للسيطرة على البرج وتأمين المدينة، ومن أجل القيام بذلك، يتعين على سي أن يكون مصدر إلهاء، ويسقط القبة، ويحدث الفوضى التي نحتاج إليها".

رددت منفعلة: "لكن الحراس متأهبون، لديهم قواتٌ في طريقهم إلى دارف والبقية بالفعل!".

أجابت بهدوء: "نحن نعلم، سونغي ليس الوحيد الذي لديه جواسيس، نحن جاهزون لهم، لا تقلقي!".

بدأت تمطر، تساقطت القطرات الساخنة من سماءٍ كانت تضيء كل بضع ثوانٍ بواسطة شرارات البرق، انحنى سونغي فوق الميكروفون، وارتفع صوته فوق صمت الحشد: "ابدأا".

تراجع متعجرفًا، وعبس. ظهر سي وتريك على الشاشة، وقفا بلا حراك. ثم، كما لو كانت هناك إشارةٌ ما، ألقيا سلاحهما في الوقت نفسه، وصرخا: "أنا أرفض!" أظهرت الجماهير استهجانها وعدم رضاها.

لمع البرق مجددًا، وشعرت بالكهرباء التي في الهواء تخز جلدي، وهو ما لم يسبق لي أن شعرت به.

تنفست فرانس بعمق، وقال سونغي، مخاطبًا نفسه: "أوه لا، لن يحدث أيٌّ من هذا الهراء المثير للسخرية!" انحنى على الميكروفون مرة أخرى وصرخ: "تعاركا أو ستموتا!" فصدحت صرخات الجماهير المتحمسة.

صرخ سي وتريك مرةً أخرى: "أنا أرفض!" هدرت الجماهير مُعبّرة عن استهجانها وعدم رضاها، لمع البرق مجددًا، فشعرت بالطاقة تزلزل كياني مجددًا، وبالغربة والدوار وكأنني انفصل عن جسدي، أغمض سي عينيه، فاهتزت القبة، وفجأة انهار الجدار غير المرئي، فشعرت بغضبه الهائل، وازدادت الاهتزازات، وتزلزلت الأرض، فتأرجحت المقصورة، وبدأت القبة تنهار.

استدار سونغي ليمسك بي وصرخ: "كفى!". حاولت فرانس التدخل، فومضت عين سونغي وصدمتها موجةٌ من الضوء الأحمر،

الأمر الذي جعلها تنهار على الكرسي. فتواصلت معي ذهنيًا: "البرق!" ثم سقطت أرضًا، لم أعرف إن كانت فاقدة للوعي أم ميتة.

صرخت مرعوبة، وركضت صوب باب المقصورة، لكن سونغي أمسك بذراعي وجذبني إلى الخلف، رأيت أشخاصًا يفرون مذعورين، وأجزاء من القبة تتساقط وكأنها أمطار حارة، أمسك سونغي برأسي، وأحكم قبضته على رقبتي، فلم يعد بإمكاني التنفس، انطلق شعاع أحمر أمامي، ورأيت تريك يسقط أرضًا. انحنى سونغي مجددًا فوق الميكروفون وقال: "توقف عن تحطيم قبتي، ولن أؤذي أختك الجميلة. وإذا لم تتوقف سأقتلها، وسأحتفظ بها لنفسي. في كلتا الحالتين، سأفوز. انتشر العديد من الحراس في البرج، لقد خسرت حتى قبل أن تبدأ". ثم جذب رأسي إلى الخلف ووضع شفتيه على جبهتي وأبقاهما هناك. أدرت رأسي وبصقت عليه، لكنه ضحك فقط. سمعت فرانس تئن من ورائي، لم تكن ميتة. كان صوتها في رأسي يصرخ: "إليزيا! أخوكِ يتحكم في الأرض يمكنك التحكم بما فوق الأرض، البرق هو سلاحك".

في الوقت نفسه، كان بإمكاني سماع صراخ سي، وهو يهدد سونغي. لم أكن أعرف ما تعنيه فرانس. صرخت مرةً أخرى: "البرق هو سلاحك. ركّزي يا إليزيا!".

فجأةً، انفجرت نافذة المقصورة، وتطاير الزجاج في كل مكان، تركني سونغي واستقام. بدا صوته وكأنه يختنق، واتسعت عيناه، وومض الشعاع الأحمر الرهيب في الميدان مجددًا. رأيت سي يطير إلى الوراء ثم يسقط ساكنًا. لم أعاود سماعه في رأسي، وصرخت. فررت من

المقصورة، وتركت سونغي ممسكًا برأسه، وركضت على الدرجات الإسمنتية نحو العاصفة، حيث كان سي ممددًا على الأرض. لمع البرق كل بضع ثوانٍ، ومزق الهواء وملأه برائحةٍ لاذعة، وفي كل مرة لمع فيها، شعرت وكأنني أُحلّق. شعّت بشرتي بالطاقة المنبعثة من البرق، وعندما وصلت أخيرًا إلى سي، جثوت على ركبتي، هززته، فلم يستجب، لم أعرف إن كان يتنفس أم لا، فبكيت وضربت الأرض بقبضتي، عندها ضربت صاعقة أخرى أعلى القبة، شعرت عندها أنني مفعمةٌ بالكهرباء، وسمعت صوت فرانس في رأسي مرةً أخرى، كان بعيدًا ولكنه مميز، تقول: "إنها قوتك. ركزي على البرق!".

لم أعرف إن كنت أستطيع القيام بما تطلبه مني، لكنني صفيت ذهني، وتناسيت سي، وتريك، ودارف، والدومينيون وسونغي، فلم يبقَ شيءٌ سوى العاصفة، استمددت القوة منها، وشعرت بالطاقة تسري عبر جسدي، وعندما لم أستطع احتواءها، أطلقتها، فاصطدمت بسقف القبة، وأحدثت ثقوبًا في الدعامات. عاودت استجماع الطاقة، ووجهتها هذه المرة نحو الشاشة العملاقة، فحطمتها، وتساقطت شظايا الزجاج على أرض الميدان.

عندما أدركت أنني أستطيع أن أنهي ما بدأ به سي، ضحكت متهكمة، ونظرت إلى حيث كان سونغي يقف في المقصورة، وأنا أفيض كراهية، شعرت بالطاقة تتجمع مجددًا، وارتجفت من شدة التركيز، فتدفقت الكهرباء من قدميّ إلى الميدان، وبدونا كيانًا واحدًا مدمرًا، سمعت دوي الانفجارات حول البرج، وعندها بدأ الدخان يتصاعد من

أرض القبة، التي لم يبق فيها سوى الجثث المنتشرة بين الأنقاض. نظرت إلى سونغي وصرخت: "سيد الغبار، ما رأيك بما آلت إليه حال مملكتك؟!". وأطلقت دفقًا من الطاقة صوبه، فانفجرت أرضية المقصورة، وانهارت القطع الإسمنتية.

نظر سونغي إليّ بازدراء، وغادر المقصورة، ونزل عبر الدرج، وعندما بلغ الميدان، صرخ: "سأعطيكِ خيارًا واحدًا. توقفي، وسأدعكِ تعيشين".

صحت: "لن أتوقف أبدًا". كان الهواء حولي مشحونًا بالكهرباء، وهو ينتظرني أن أستغله.

قال ساخرًا: "هذه المرة، سيمضي التحدي حتى النهاية". تقدم نحوي، ثم توقف على بعد أمتارٍ قليلة. وصرخ مشمئزًا: "لماذا لا يمكنكِ أن تفعلي ما يقال لك لمرةٍ واحدةٍ فقط؟ لطالما كان الأمر على هذا النحو معكم؛ دائمًا غاضبون، دائمًا تجادلون، وتنكرون حقيقة وجودكم، لقد حاربتم كل شيء، كما لو أنكم تتفوقون علينا، لا عجب أنني احتقرتكم. هل تعلمين لماذا أقدمت على هذا؟ لا لشيء سوى الإطاحة بك، كي تعي أنك لستِ مميزة، ولستِ شيئًا، لقد كنت حاميًا ولم تمنحيني حتى القليل من الوقت، حتى أنك لم تنظري إليّ".

أجبته بحنق: "كن حذرًا في ما تتمناه، ظننت أنك تستطيع تدميري، وتحويلي إلى لا شيء، ولكن كيف يمكن لأمثالك أن يفهموا حقيقة ما أنا عليه؟ أنا العاصفة التي لا يمكنك أن تحتويها، والتي لا ترى أمامها الآن سواك".

تصلب وجهه. وقال: "فلتأتي بعاصفتك إليّ، وسيكون الفشل حليفك كما كان حليف أخيك، لطالما انتظرت هذه اللحظة، التي بنهايتها ستكونني لي، ستجثين طالبة الرحمة، عندما يعجز الجميع عن إنقاذك بما في ذلك الدومينيون".

أومضت الطاقة الكهربائية في عينيّ، بعد أن عبرت جسدي، فضحكت متغطرسة وسألته: "هل قلت الدومينيون؟! أنا الدومينيون".

استجمعت كل خيوط البرق بينما ومضت عين سونغي، وأشرت إليه بذراعيّ، انطلق ضوءٌ أبيضٌ ناصع من أطراف أصابعي ليلتقي بشعاعه الأحمر، اصطدم الضوء الأبيض بالأحمر، ودفع به إلى الخلف، فحولهما التيار إلى رمحين أبيض وأحمر انطلقا صوبه، رفع يديه ليصد ما لا يُصد، ولكنه لم يستطع فأصاب الرمحان هدفهما. خارت قواه من شدة الألم، فانهار أرضًا، وأمسك برأسه، قبل أن تندلع النيران في محجري عينيه عندها صرخ: "لقد خرّبتِ كل شيء".

كافح ليقف على قدميه، ومشى مترنحًا نحوي، أطلقت دفعةً أخيرةً هائلةً من ذهني، ولففته في سحابة من الألسنة البيضاء المتراقصة، عندها سقط أرضًا، وهو يتلوى من شدة الألم في الوقت الذي اندلعت النيران في جسده. همستُ: "حلوى للحلوة"، فنظر إليّ مرعوبًا للمرة الأخيرة، بينما كانت النيران تلتهم جسده، محولة إياه إلى رماد.

لا تزال العاصفة بصخبها حولي، ولكن لم يكن بوسعي السيطرة عليها، كان مذاق الهواء معدنيًا، مشحونًا بضوءٍ ساطعٍ خالطته الأمطار الساخنة، من خلال كل ذلك رأيت شخصًا يركض عبر الميدان نحوي،

إنه روغان. ناديته باسمه، لكن صوتي لم يصله. لقد كنت منهكة، فانهرت أرضًا بجوار سي، حاولت التواصل معه، لمعرفة إن كان حيًا، لكن العالم تلاشى. قبل أن أفقد وعيي بقليل، شعرت بشخصٍ ما يضغط على يدي. أحسست بشعور الطمأنينة، ثم لم أشعر بأي شيءٍ آخر.



32 سي

استيقظتُ مشوشًا وشعرت أن رأسي على وشك الانفجار، ومجرد تحريكه كان يؤلمني، سمعت شهيقًا بدا لي وكأنه تنهد، حاولت معرفة مصدره، وعندما حرّكت رأسي، سطعت الأضواء أمام عينيّ، وتأوهت من شدة الألم، ثم شعرت بشيءٍ في رأسي، وبقلق عميق. احتضنني أحدهم بذراعيه، فشعرت بالطمأنينة مجددًا، وتحول القلق إلى سعادةٍ عارمة.

قالت دي التي خنقتها العبرات: "ها قد استيقظت أخيرًا، لقد مضى أيام على فقدانك الوعي".

قلت مبتهجًا أيضًا: "على رسلكِ"، حاولت أن أضحك، لكن بالكاد استطعت أن أُخرج صوتًا، خففت دي من شدة عناقها، وجلست على حافة السرير الذي كنت مستلقيًا عليه.

رأيت وجهها الذي بدا متعبًا، لكن عينيها الخضراوين لمعتا بإثارة وهي تضع حافة كوب على فمي، ارتشفت منه برضى وسعادة، رطّب الماء البارد حلقي الجاف، وكانت أشعة الشمس تغمر الغرفة التي تدفقت من خلال النوافذ الكبيرة، وكانت السماء في الخارج زرقاء صافية. سألتها بمجرد أن انتهيت من الشرب: "أين نحن؟".

قالت: "نحن في البرج. أنا سعيدةٌ جدًا لأنك..".

قاطعتها محاولًا الجلوس: "البرج! لماذا نحن في البرج؟! هل نحن مسجونون؟". تحولت الفرحة إلى رهبة؛ بعد كل شيءٍ مررنا به، لم يتغير شيء. حاولت تهدئتي قليلًا، فاستلقيت مرةً أخرى، وأغمضت عيني متجاهلًا قلبي الذي يخفق بشدة.

قالت: "كل شيءٍ على ما يرام. لقد سيطرنا على البرج، وأنا في غاية السعادة لأنك استيقظت. لم تعرف آنا - هذا هو اسم طبيبة إنوكسوك التي كانت تعتني بك - كم من الوقت ستظل فاقدًا للوعي، لقد تعرض دماغك لصدمات قوية".

قلت: "ليس دماغي من ضُرب فقط، بل سائر أنحاء جسدي، تخيلي أن أناملي تؤلمني".

أمسكت دي بيدي، وقالت في تعاطفٍ ساخر: "هل ترغب في بعض التاستيروم واللولياس؟".

قلت: "آه، لا! مهلًا، هل قلت طبيبة إنوكسوك؟".

ضحكت دي مليًّا وقالت: "أوه. لدي الكثير لأخبرك به".

كنا على وشك البدء في سد الثغرات في قصص بعضنا عندما دخلت الطبيبة، آنا، إلى الغرفة. تفاجأت عندما رأتني مستيقظًا، ثم فحصت جهازًا لوحيًا يأخذ قراءاتٍ من سوارٍ حول معصمي، وأومأت لنا وابتسمت، قبل أن تغادر.

قالت لي دي: "يمتلك الإنوكسوك تقنياتٍ مذهلة، لكنهم قليلو الكلام، كنت ستلقى حتفك لولا آنا، كنت بالكاد تتنفس عندما عثر علينا روغان وأس - سام".

سألتها: "هل روغان وأس - سام بخير؟ يسعدني سماع ذلك".

سألتني دي بتردد: "لم تعد غاضبًا من روغان، أليس كذلك؟".

هززت رأسي، ثم كشّرت عندما اشتد الألم، ثم ضحكت بوهن: "ربما لن يضر القليل من التاستيروم، أما بالنسبة إلى روغان فلم أعد غاضبًا منه، لقد سامحته في اللحظة التي علمت فيها أنه جلب لك الدواء. كدت أنسى، أين هو تريك؟ آخر ما أذكره أنه تعرض للصدم بالطاقة، هل هو بخير؟

أصفرّ وجه دي، وقالت: "لم ينجُ".

اتسعت عيناي من الصدمة، سألتها عاجزًا عن التصديق: "ماذا؟!".

قالت دي وهي تمسك بيدي: "يؤسفني قول ذلك، لقد بذل أطباء إنوكسوك كل ما في وسعهم لإنقاذه، ولكن يبدو أن الطاقة التي صدمته، سببت له نزيفًا داخليًا. قالت آنا إنه أمر لا يعقل؛ كيف بقي واقفًا بثبات ناهيك عن المشي عبر ميدان القبة".

أشحت بنظري عنها، وأغمضت عيني، وتذكرت نزوله إلى الميدان، وغمرني الشعور بالذنب. كان يفترض بي أن أحميه بطريقة ما، من غير المنصف، أن تكون نهايته هكذا، بعد كل ما مرّ به، فلولاه ما كنت لأصل إلى القبة، ولما عرفت القوة التي أختزنها والتي أتاحت لي تدميرها، كان يستحق مصيرًا مختلفًا. مرت في ذهني صورة له وهو يقدم لي قطعة الكعك بالشوكولاتة، فلم أستطع كبح دموعي.

بعد لحظات، قالت دي، وقد ترقرقت عيناها بالدموع: "أنا آسفة بشأنه، لقد كان شجاعًا، كلاكما كنتما شجاعين".

مسحت الدموع عن خديّ. وقلت: "كيف يتقبل أس – سام الأمر؟".

قالت: "إنه بالكاد يستطيع الكلام، لقد أخبرني، بما قام به تريك لأجله ولأجل أمه، بعد مقتل والده في القبة وأطلعني على قصة جيش الجمجمة، إنه محبط، فقد كان يحب تريك كثيرًا".

بقينا صامتين لمدة، ولكن بعد ذلك انتابني الفضول. سألت: "جيش الجمجمة؟ ينذر الاسم بالشؤم من هؤلاء؟".

أجابتني: "قصتهم طويلة، ربما علينا البدء من البداية".

بدأنا من النقطة التي تركتها تذهب فيها رفقة روغان إلى ليبرتي، وظللنا نتحدث حتى المساء، أخبرتها عن البرج، وسونغي، وكيف دفع تريك ليتل جيمي خارج المنصة، وكيف قابلنا فرانس واكتشافي لقوتي، وأخبرتني بدورها كل شيء عن دارف ومالاخي ثوران والفيراغ وقوتها الخاصة.

سألتها متحمسًا: "إنه البرق أليس كذلك؟ لماذا لستُ متفاجئًا؟ لطالما جعلتُ الأرض تهتز، وإن لم أكن أعلم، لماذا تكونين قادرة على استخدام البرق سلاحًا؟ لماذا لم تتمكني من القيام بذلك من قبل؟".

أجابتني: "تقول فرانس إن قواك ناتجة عن غرسة، لكن قوتي. حسنًا، إنها ما هي عليه. كل هذا جزء من..." أشارت بإصبعها بين رأسي ورأسها: "تقول فرانس إنها كانت تعلم دائمًا أن لدي قدرةً ما، لكنها لم تعلم لا هي ولا دارف كيف ستظهر في النهاية حتى حصلت العاصفة. تفاجأ دارف كما فرانس!". أضافت دي: "ستقابله قريبًا، لقد كان... قلقًا جدًا عليك. أعتقد أنك ستحبه".

جعلتني الطريقة التي تحدثت بها عنه أسألها: "هل يعجبك؟".

قالت: "... لا بأس به"، ثم تابعت ضاحكةً: "أعتقد أنني وإياه متشابهان إلى حدٍ كبير، لا يستمع إلى أيّ شخصٍ مثلي، وعندما يتخذ قراره.."

أنهيت جملتها: "لا يمكنك تغييره، يذكرني بشخصٍ أعرفه بالتأكيد. لكن كيف استولوا على البرج؟ علم سونغي بالخطة، لقد أرسل مجموعات من الحراس لاعتراض الدومينيون، كما زعم".

ضحكت دي بمرارة: "سونغي". قالتها كما لو أن الاسم بحد ذاته ترك طعمًا سيئًا في فمها. ثم تابعت: "لم يدرك اللقيط المتعجرف أن الحراس يكرهونه، لقد بدّل معظمهم ولاءهم منذ فترةٍ طويلة، بمجرد أن تأكدوا أن معركتهم خاسرة، فرّ أولئك الذين لم ينضموا إلى دارف".

عند ذكر سونغي، شعرت بظلمةٍ في عقلها، لا يمكن تفسيرها إلا بطريقة واحدة. قلت: "لقد قتلته"، دون أن أضطر لسؤالها.

أومأت برأسها وقالت ببساطة: "لقد مات".

سألتها: "بماذا تشعرين؟".

أرسلت لي إحساسًا بالرضا مصحوبًا بالغضب، وفجأةً، تحول الإحساس إلى صورة أظهرت نهاية سونغي، فرأيت النيران تندلع في رأسه، ويصرخ قبل أن يستحيل في النهاية كومة من الرماد، نظرت إليها متفاجئًا وسألتها: "صورٌ مرئية؟ متى تعلمتِ فعل ذلك؟!".

أجابت مبتسمة: "لقد كنت أتدرب مع والدتنا فرانس". أرسلت صورةً أخرى، لكن هذه المرة لكلبٍ أبيض صغير، يهزّ ذيله بسرعة.

قلت بسعادةٍ غامرة: "احتفظتِ به؟! أين هو؟".

أرسلت صورةً أخرى لها وهي تحمل الكلب وقالت: "إنه هدية *الشفاء* الخاصة بك. إنه ليس هنا، ولكن لا تقلق، إنه في أيدٍ أمينةٍ الآن. ستراه عمّا قريب". تنهدت وقد غمرني الشوق.

قلت بحزن: "لا أطيق الانتظار للعودة إلى ديفينيتي، إنني أفتقدها". كنت قد نسيت مقدار ما تعنيه لي فكرة المنزل والحياة البسيطة، وكنت أتوق للعودة إلى الخيمة، والقيام ببعض النحت، والذهاب إلى تاب، والأهم من ذلك كله، رؤية سارة.

أمسكت دي بيدي وقالت بجدية: "لكنك بحاجةٍ إلى أن تحضّر نفسك، لم تعد ديفينيتي كما تركناها، عندما فرّ الموالون للاتحاد، عاثوا فيها فوضى، لقد تضررت ديفينيتي كثيرًا، لكن بإمكاننا إصلاحها. في الواقع، لقد بدأت أعمال الإصلاح بالفعل، ولكن هناك شيءٌ واحدٌ يجب أن تعرفه". ترددت. ثم قالت: "لقد ماتت العمة ماي".

صرخت: "لماذا يقدم أي شخص على قتلها؟!".

هزّت دي رأسها بحزن وقالت: "تعلم كيف كانت، لا تستطيع تقبّل التهديدات من أيّ شخص، وإن كانت من الحراس، حاولوا تدمير خيمتها، فلم تستطع أن تقف مكتوفة اليدين، تصدت لهم بهراوتها، فأطلقوا عليها الرصاص".

قلت: "هذا مروع. لا أستطيع أن أصدق أنه حتى الحراس أقدموا على قتل امرأةٍ عجوز بدمٍ بارد هكذا".

أجابت دي بغضب: "حسنًا، لم ينجوا بفعلتهم، شاهدت مجموعة من الملّاك أولئك الحراس وهم يهربون من السوق المخفية وتغلبوا

عليهم، لم يتمكنوا من المقاومة طويلًا".

تنهدت وأومأت. شعرت بتحسنٍ في رأسي في الواقع، على الرغم من أنني كنت منهكًا، ومرهقًا تمامًا.

شعرت دي بذلك على الفور وقالت: "سأدعك تنام قليلًا. لن نبقى هنا لفترة طويلة، عدة أيام فقط، وستكون الأخبار السارة آخر ما سأطلعك عليه اليوم: عندما بدأت القبة بالانهيار، هرب بعض الأثرياء الذين كانوا بين صفوف الجماهير، فتمكن جيش الجمجمة الخاص بمالاخي من القبض على كثيرين منهم، بما في ذلك أقارب بعض أعضاء الاتحاد رفيعي المستوى. ونجحت مفاوضات الفيراغ بخصوص التبادل، وقد وصلت المجموعة الأولى من أطفالهم بالفعل إلى فوجيان".

سألت مصدومًا: "حقًا؟ لماذا رضخ الاتحاد بهذه السهولة؟".

قالت: "كانت الخيارات المتاحة أمامهم محدودة، فقد وصلت الاضطرابات إلى ذروتها في دول الاتحاد. بعد أن استولى الدومينيون على البرج، أرسلوا رسالة عبر أدناك، واكتشفوا أن الوضع كان كذلك في كل مكان لذلك لم يكن هناك سوى عدد قليل من الحراس، فقبض على معظم الأثرياء بسهولة. احتشدت مجموعات المتمردين في جميع أنحاء البلاد، واستولت على الأبراج الثمانية بأكملها، تاركة الاتحاد بلا سلطةٍ تقريبًا في أدناك. إنهم مشغولون جدًا في خوض معاركهم الخاصة بحيث لن يتمكنوا من إزعاجنا بعد الآن. غادرت آخر وسائل نقلهم بالأمس، وسمحنا لهم بالذهاب مع تحذيرٍ شديد اللهجة بألا يعودوا أبدًا".

سألتها متشككًا: "ولكن كيف نتأكد أنهم لن يفعلوا؟ فلا يمكننا الوثوق بالاتحاد!".

ضحكت دي، وطمأنتني قائلةً: "لسنا بحاجة للوثوق بهم، فكل ماكنت تفعله في القبة، شعر به سائر سكان الأرض. لقد تلقينا رسائل من المملكة القديمة ومرسيليا تطالب بمعرفة ما الذي يحدث، وعندما ردّ دارف وأخبرهم بما يحدث، عرضوا دعمهم. كانت أداة البروباغاندا الخاصة بالاتحاد تخفي الحقيقة عنا لسنوات، وهي أن معظم البلدان الأخرى عبر البحار شكلت تحالفها الخاص ضد الاتحاد. نحن الآن بحماية التحالف، ولا أعتقد أن الاتحاد سيخاطر بحربٍ شاملةٍ مع التحالف، فهم ليسوا أغبياء".

أجبتها: "كلا، لا أعتقد ذلك"، ثم تثاءبت بشدة.

قالت دي وهي تداعب جبهتي بلطف: "نم الآن". انحنت وقبّلت وجنتي، ثم نهضت، وتوجهت نحو الباب، ونظرت إليّ بسعادة قبل أن تغادر.

للمرة الأولى منذ فترة طويلة، أغمضت عيني من دون خوف ونمت بسلام، حالمًا بكلبٍ أبيض صغير وفتاة ذات شعرٍ بني.

33 دي

القلب يغني، والأقدام ترقص.

إنها ليلة الاحتفال، وتاب ممتلئة. لقد خرج الناس ورقصوا في الشوارع.

مرت أسابيع على سقوط القبة والاستيلاء على البرج، وبمجرد أن تحسنت حالة سي بما يتيح لنا السفر، أسرعنا بالعودة إلى ديفينيتي، عندما خرجنا من أولد كي، ولاحت في الأفق أطراف مدينة الخيام، ففز قلبي من الفرحة. يمكنني أن أشعر بحماسة سي أيضًا مع تسارع وتيرة حركته. كنت أعرف مدى قلقه من العودة، فقد ظل يصر على أنه لا يطيق الانتظار لرؤية تيتوس الصغير، لكنه لم يستطع إخفاء الحقيقة عني، فقد كان يُفكّر بسارة سواء اعترف بذلك أم لا.

التقى دارف في اليوم التالي لاستيقاظه، وبدا الأمر وكأنهما لم يسبق لها أن افترقا يومًا، حصل دارف على بعض أدوات النحت من مكان ما، وبينما كان سي يتعافى، كان الاثنان يجلسان على منصة البرج، حيث كان سي ينحت، ودارف يروي له القصص عن نشأته في تريبون، وعن والدته - جدتنا - التي كانت فنانةً أيضًا.

بين الحين والآخر، كنت أنضم إليهما، وأكتفي بالإصغاء والمشاهدة، وقد أدهشني كم كانا متفاهمين، وأكثر ما أدهشني السهولة التي سامح فيها

سي كلًا من دارف وفرانس على الطريقة التي تركانا فيها. شخصيًا تقبلت ما أقدما عليه، وتفهمت أسبابهما، ولكنني لا أزال مستاءة. شعرت فرانس بذلك، وبذلت جهدًا حقيقيًا لتكوين رابطةٍ بيني وبينها. كان لدينا دروسٌ يومية حيث ساعدتني على تقوية قدراتي، ولا بد أن شكلنا بدا غريبًا، ونحن نسير معًا، متشابهتين تمامًا، لم يتحدث أي منا مطلقًا عن الأمر، ولكننا نتفجر ضاحكتين بين الحين والآخر أو ننظر إلى بعضنا متفاجئتين.

أخيرًا، بدأ أس-سام في الخروج من قوقعته، بعد أن حبس نفسه في غرفته خلال الأسابيع القليلة الأولى، ولم يخرج إلا ليجلب شيئًا يأكله، ولم يتحدث إلى أحدٍ أبدًا، واحمرت عيناه وتورمتا. أخيرًا، جعلته يفتح الباب ويسمح لي بالدخول. تحدثنا لبعض الوقت، في الحقيقة، كنت أنا من تحدثت وهو من أصغى، واتفقنا على إقامة حفلٍ لإحياء ذكرى تريك، ويبدو أن مساعدتي في تنظيمه منحته بعض الراحة.

ذات ليلة، اجتمعنا جميعًا عند أطلال القبة حيث دفنت جثة تريك ليرقد بسلام مع جميع الذين ماتوا في ذلك اليوم؛ الجماهير الأثرياء أو الحراس أو الدومينيون، واحتفلنا بحياة صديقنا. تناوبنا جميعًا في الحديث عن تريك وما يعنيه لنا، عندما حان وقت أس-سام للتحدث، لم يستطع أحد توقع ما سيقول، لكنه وقف منتصب القامة فخورًا، ولم يتلعثم عندما تحدث عن تريك وصداقته وولائه الذي جعل الجميع يبكون وخاصةً دوراند.

لم أخبر أحدًا بما قاله سونغي عن تريك بتاتًا، وأنه خان الدومينيون في النهاية، فقد كنت أعلم أنه فعل ذلك فقط لإنقاذ سي، ولم يكن الأمر مهمًا على أي حال.

في الأسابيع القليلة الماضية، قضيت الكثير من الوقت مع روغان، أشعرني الوجود بالقرب منه بالسكينة، وساعدني في الشفاء من جروح الماضي، لقد كان خائفًا بشكلٍ لا يوصف عندما هربت، ولكن في الوقت الذي أدرك فيه أنني ذهبت وحاول ملاحقتي، كان الحراس قد اختطفوني بالفعل. مؤخرًا لم يعد دارف يستغني عنه، وذلك بعد أن أصيب سيغوين، نائب القائد دارف، بجروحٍ خطيرة أثناء الهجوم، وهو لا يزال في مرحلة التعافي والنقاهة.

أدرك دارف مدى دهاء روغان، وبدأ يعتمد عليه كثيرًا، وكان بمثابة صدى أفكاره لإعادة بناء أدناك، حتى أنه أخذ بنصيحة روغان في بعض الأحيان، وهذا ما فاجأني وأنت العالمة بمدى قوة دارف. أحرز روغان تقدمًا الأسبوع الماضي عبر اتباعه خطةً للاستفادة من البيوت البلاستيكية في ليبرتي لزراعة المحاصيل الصالحة للأكل، بينما بقيت مع سي. كان عليّ أن أقر لنفسي كم كنت أفتقد روغان، الأمر الذي فسر تسارع دقات قلبي مع اقترابنا من المنزل.

لقد مضى الآن أسبوع على عودتنا، وتنامى شعور الترقب، حيث استقطع الناس اليوم وقتًا من العمل، لمناقشة الاحتفال حتى انتشرت الكلمة أخيرًا عبر ديفينيتي:

"ليلة الترك في تاب".

شققت طريقي عبر الحشد بحثًا عن مالاخي، لقد انضم هو وكثيرون من الفيراغ إلى عملية إعادة البناء بينما كانوا ينتظرون وصول أطفالهم. كانت المجموعة الأولى قد صعدت في عربة نقل شمسي أول

أمس، وكان لقاء لم الشمل حميميًا. لقد تجول مالاخي في المكان، وانهمرت دموعه، وهو يحمل الأطفال، وبكى آخرون غير مصدقين أعينهم وهم يعانقون الوافدين الجدد، الذين تراوحت أعمارهم بين ست سنوات وسن المراهقة. لقد بدوا مرهقين ومتعبين، لكنهم كانوا متحمسين في الوقت نفسه، كان معظمهم الليلة في تاب، يستمتعون بالموسيقى، ولكنهم يقفون بالقرب من والديهم كما لو كانوا مرعوبين من أن شخصًا ما قد يأخذهم بعيدًا مرة أخرى.

وجدت مالاخي بجانب فتاةٍ جميلة تبلغ من العمر عشرين عامًا تقريبًا، محاطة بهالة من الشعر الداكن المجعد المتناثر حول وجهها، عندما دنوت منهما عرّفني بها، وكان صوته الخشن مليئًا بالفخر والإعجاب: "إليزيا! هذه حفيدتي، أورورا" ابتسمت بخجل، وبدا القلق في عينيها.

تساءلت عن المدة التي سيستغرقها أطفال الفيراغ ليشعروا بالأمان مجددًا، وبأنهم جزءٌ من عائلة مرةً أخرى، وخاصة أولئك الذين رحلوا لفترةٍ طويلة، تحدثنا لدقيقة ثم انتقلت، بحثًا عن سي.

شيئًا فشيئًا بدأت أعتاد على من ينادوننا *إليزيا ونيكو*، لكنني لم أستطع مناداته بنيكو، سنكون دائمًا سي ودي داخل رأسي، التوأم، أحدهما هادئٌ وثابت، والآخر عنيدٌ ومفعمٌ بالطاقة. بعد ذلك، رقص دارف وفرانس، إحدى رقصات الفالس السريعة مع بقية الراقصين. كان دارف، الذي عادة ما يكون جادًا للغاية، يضحك على ما قالته فرانس، وقد ثبّت عينيه عليها وبدا متيمًا بها، رآني ونادى عليّ، وهما يدوران بحماسة: "انضمي إلينا يا عزيزتي!".

إنهما والداي، لا أزال عاجزة عن تصديق ذلك، ابتسمت وواصلت المسير حتى وجدت سي، كان يجلس في زاويةٍ مضاءة بشكلٍ خافت مع سارة، واستخدم الاثنان ضجيج الموسيقى كحجةٍ للاقتراب والتحدث في آذان بعضهما، لقد استلقى تيتوس الصغير عند قدميّ سي، راضيًا على الرغم من الزحام والضجيج، وضع سي ذراعه على كتف سارة، وهمس لها بشيءٍ جعلها تضحك، ولمس الخرزة الخشبية المصقولة التي كانت تتدلى من عنقها، فداعبت خصلةً من شعره بشكلٍ عرضي. ومن حيث أقف رأيته يحمرّ خجلًا، فطار قلبي فرحًا، وأنا أره سعيدًا بعد كل ما مرّ به، ثم شعرت أن أحدهم يلكمني برفقٍ على ذراعي.

قال روغان ساخرًا: "لا أزال أعتقد أنه كان علينا بيعه إلى الجزار، كنا سنحصل على بعض النقود الوفيرة مقابل تلك الكرة الصغيرة من الزغب".

ضحكت ولكمته وقلت: "لن يغفر لك سي أبدًا، أتعلم، لقد سمح لهذا الكلب بمشاركته السرير والنوم إلى جانبه؟".

ضحك روغان، وقال بجدية: "كيف حالك؟ هل هذا كثيرٌ عليكِ؟ دعينا نذهب إلى مكان أكثر هدوءًا لبعض الوقت". أخذ ذراعي برفقٍ، وقادني إلى كهفٍ بجانب الرواق.

اعترضت بقليلٍ من المزاح وقليلٍ من الجدية: "أوه، كفّ عن التصرف وكأنك أمي، أنا بأحسن حال، تسعدني رؤية الجميع مستمتعين".

قال مشيرًا إلى مجموعةٍ من أعضاء فرقة موسيقى الروك، الذين من الواضح أنهم كانوا قد تناولوا التسيرام، والذين كانوا يغنون بصوتٍ أعلى

من الموسيقى وهم يتجولون خارج الباب: "البعض يستمتع أكثر من البقية". كانت سيريدوين أحد المتواجدين مع المجموعة، وكان غطاء رأسها متدليًا، وبدت على وجهها علامات الارتباك والبهجة عندما أخذوها معهم. قال دارف إنها عندما رأتهم للمرة الأولى، توجهت إلى أحدهم من دون تردد وسألت: "*من فضلك، قل لي ما الذي يربطني بك؟ هل أنت من بلدي؟ ما هو اسمك؟ من هم والداك؟*"

فأجاب قائدهم، وهو رجلٌ صارمٌ اسمه بريnان: "يا للروعة! موسيقى الروك تعيش فيك كما تعيش فينا!". لقد أخذوها على الفور وكأنها تنتمي إليهم، من دون أيّ تردد، ويبدو أنهم يفهمون كل ما قالته، بالرغم من غموضه.

بعد ذلك، استدار روغان إليّ، ورمقني بنظرةٍ غريبةٍ على وجهه. وقال: "كما تعلمين، بعد أن وجدتك، عندما كنت فاقدةً للوعي، جاءت سيريدوين وقالت: "إن مصيرنا ليس معلقًا ما بين النجوم، بل إنه في أنفسنا، والآن أعتقد أنني عرفت ما الذي كانت تعنيه".

سألته: "وما هو؟". اقترب مني، وشعرت بالقشعريرة تسري في جسدي.

ازدرد لعابه بتوتر وقال: "يجب عليّ أن أتصرف، وأكف عن الانتظار، رغبت في قول هذا منذ مدةٍ طويلة، لكن كل شيءٍ كان... في غاية التعقيد. أنا.. أنت... انظري. أنت أكثر شخص روعةً وغضبًا وشجاعةً عرفته على الإطلاق، لم أستطع أن أتخيل يومًا لا أرى وجهك فيه. عندما فقدتك في المحطة، ظننت أنني سأُجن، وعندما وجدتك في

القبة، كنت أعلم أنني لن أعيش أبدًا من دونك، أنتِ كل شيءٍ بالنسبة إليّ، كل شيء". توقف قليلًا. ثم تابع: "إذن ها هو...".

عانقته بشدة قبل أن تتاح له الفرصة لقول أي شيءٍ آخر. وهمست له: "بالنسبة إلى شخصٍ يصعب فهمه، قدمت سيريدوين نصيحةً جيدةً حقًا". أمسكت بيده، وأخرجته من الكهف إلى حلبة الرقص، استطعت الشعور بسي في رأسي، وأرسلت إحساسًا بالبهجة بينما كان روغان يراقصني، أعاد لي سي الشعور نفسه، إلى جانب شعورٍ آخر مألوفٍ أكثر. لا يزال هناك كثير من الأشياء لننجزها، ولا يمكن لأحدٍ تخمين ما يحمله المستقبل، لكن كلانا يعرف شيئًا واحدًا؛ نحن في المنزل.



تدور أحداث هذه الرواية في العام 2135، بعد قرابة أربعة عقود على انتهاء حروب المياه، وتحوّل جزء كبير من الأراضي إلى أراضٍ بور قاحلة. أدناك هي إحدى المناطق القليلة الباقية التي تصلح للسكن، ولكنّ الاتحاد الحاكم يحكم قبضته الحديدية عليها.

بطلا هذه الرواية هما التوأم سي ودي، وهما يتمتعان بقوة خاصة بهما تميزهما عن الجميع؛ إنهما يستطيعان التواصل ذهنياً بغض النظر عن المسافة التي تفصل بينهما، تُركا ليترعرعا في دور العمل، حيث ذاقا الأمرّين، ولكنهما فرا منها، ليعيشا في أكبر مدينة خيام في مقاطعة تريليوم، حيث كسب كل منهما رزقه بطريقة مختلفة: كانت دي تسرق برفقة صديقها روغان، أما سي فكان ينحت منحوتات خشبية ويبيعها للأثرياء.

عندما تجبر الظروف التوأم على الانفصال، تتدهور الأمور بشكل مأساوي، ولكن ظهور دارف بوشار، يكشف بعض الحقائق التي يعجز العقل عن تصورها، وما بدا أنه شائعة تتداولها الألسن يتبيّن أنه حقيقة، وفجأة يتبيّن أن من كانا يظنانه عدواً هو في الحقيقة صديق مخلص.

في هذه الرواية، يواجه كلٌ من سي دي ماضيهما بكل آلامه، ويسعيان لبناء مستقبل مختلف لهما، ولكل أدناك.

سوزان كريغ وايتوك



أحبت الأدب والكتابة منذ صغرها، وهذا ما جعلها تدرس الأدب الإنكليزي، وتحصل على درجة البكالوريوس مع مرتبة الشرف. أمضت معظم سنوات حياتها تعمل في مجال التدريس، حيث درّست طيلة عشرين عاماً في ثانوية أونتاريو، وكتبت في مجال الأدب الواقعي والخيالي، بالإضافة إلى الشعر، والقصص القصيرة، والمواد الأكاديمية. صدرت روايتها الأولى الابتسامة في العام 2017.





